الدكتور مصطفى السباعي

القلائد
من فرائد الفوائد



دار ابن حزم

الدكتور مصطفى السباعي

القلائد
من فرائد الفوائد

دار ابن حزم



بسم الله الرحمن الرحيم

طبع بإذن خطي من ورثة المؤلف

١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م

ISBN 978-9953-81-881-8

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



بيروت: تلفاكس: 701974 (9611+) - ص.ب: 14/6380
الرياض: هاتف: 4162527 (9661+) - ص.ب: 250641 الرمز 11391
دمشق: هاتف: 2230914 (96311+) - ص.ب: 7603
E.mail:msibaic@hotmail.com

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد الذي جاءنا بكتاب مبين، أعجز العالمين بما حواه من علوم وآداب، وبما امتاز به من روعة البيان وبلاغة التعبير حتى ذهلت له الألباب، وعنت لإعجازه عقول المفكرين، وبلغاء المتكلمين، ومتقدمو الكتَّاب، وعلى آله وصحبه حمَلَة هذا التراث الإنساني الرائع، وحمَلَة هذا الوحي الإلهي الخالد، وجمعنا بهم وبرسوله ﷺ في مستقر الخلد والرضوان، ورضي الله عمن تبع هذا الهدى، وحمل لواءه، وأعلى شرعته، وبدّد بنوره دياجير الشك والحيرة والأوهام.

أما بعد.. فقد كان دأب طلاب العلم - ولا يزالون كذلك - أن يقيدوا ما يجدونه من فوائد متناثرة خلال مطالعاتهم؛ في أوراق خاصة يرجعون إليها عند الحاجة لها، وقد كان مما يوصي به علماؤنا طلابهم: «قيدوا العلم بالكتابة».

ودرجت على ذلك منذ طلبي للعلم، فتجمع لي من ذلك قدر كبير ضاع أكثره في سنوات من السفر والسجن والمرض، وقد كنت بما جمعت حفياً، وعليه حريصاً.

١

ولما أصدرت مجلة «حضارة الإسلام» في دمشق منذ سنتين، رأيت أن أجعل من أبوابها باباً لفوائد مجموعة من كتب متعددة في أبحاث متنوعة، واخترت عنواناً لها «فرائد الفوائد» وأخذت أتابع نشر ما أختاره بقدر ما يتسع له نطاق المجلة، وكان لهذا الباب أثره المستحب في نفوس جمهرة القراء، حيث كان أحب أبواب المجلة إليهم، وأقربه إلى نفوسهم، وكانوا أسرع إلى قراءته من كل باب آخر من أبواب المجلة.

ولعل سر إقبال القراء عليه وحفاوتهم به، أنه متنوع الفائدة، طليُّ المادة، مُزجت فيه الحكمة بالأدب، وضمت فيه الطرائف والمِلَح إلى عيون من مسائل التفسير والحديث والفقه والعقيدة وغيرها من علوم الشريعة، ولم يخل من عبرة تاريخية، أو أثر أدبي، أو بحث لغوي، مما تناثر في بطون أمهات الكتب وكبريات المراجع.

٢

وقد استحسن كثير من قراء «حضارة الإسلام» أن تنشر هذه الفوائد في كتاب مستقل، لتعمَّ به الفائدة ويسهل الرجوع إليه، وتعهده بالمطالعة فترة بعد أخرى.

ورأيت في هذه الرغبة تحقيق ما أصبو إليه وأعمل له، من نشر الثقافة الإسلامية والعربية الأصيلة، ولفت أنظار المثقفين ذوي الاتجاهات الإسلامية إلى ما في تراثنا الإسلامي

من غذاء روحي وفكري عظيم، وما في تاريخنا الإِسلامي من مفاخر الأخلاق الكريمة، ومحاسن الآداب العالية، مما يجدر بشبابنا أن يطَّلعوا عليه، ويفيدوا منه في حياتهم الفكرية والأخلاقية.

وها أنذا أصدر الجزء الأول من هذه الفوائد، وهو يحتوي على ما نشر في السنتين الأولى والثانية من «حضارة الإِسلام» مضافاً إليه ما يعادل ضعفها من فوائد لم تُنشر من قبل. وقد أسميته: «القلائد من فرائد الفوائد»، راجياً من الله أن يمدني بعون من رحمته لأتمكن من الاستمرار في متابعة نشر هذه الفوائد، في أجزاء متتابعة، كلما تجمع منها قدر كاف لإِصداره في كتاب في مثل حجم هذا الكتاب.

٣

إن هذا الكتاب ليس لي فيه إلا الاختيار مما قرأت وطالعت، فقد اخترت فيه كل ما اعتقدت أن جيلنا الإِسلامي في حاجة إلى معرفته من علوم وآداب ولغة وتاريخ بأسلوب لا يملُّون من قراءته، حيث يتنقلون فيه من زهرة إلى زهرة، ومن روضة إلى روضة، وبقدر لا يضيف عبئاً ثقيلاً إلى أعباء الثقافة المتنوعة المطلوبة منهم في عصرنا الحاضر.

لقد نثرت هذه الفوائد كما اتفقت من غير ترتيب ولا جمع الشبيه إلى ما يشبه، إذ رأيت ذلك أنشط للقارىء، وأبعث له على متابعة القراءة، وقديماً سارت كتب الأدب ـ وبخاصة

كتب الأمالي ـ على هذا النهج، وإنك لتجد من المتعة في قراءة كتاب كـ «الأمالي» لأبي علي القالي، أو «الكامل» للمبرد، أو «الحيوان» للجاحظ، أو «البيان والتبيين» له، ما لا تجد من المتعة في كتاب علمي مرتب الأبحاث والمسائل.

٤

ويتلخص غرضي من نشر هذه السلسلة الفكرية من الفوائد الثقافية فيما يلي:

١ ـ تزويد الشباب المسلم بثقافة إسلامية شاملة، تجعل منه مشاركاً للمختصين في الدراسات الإسلامية بالمعلومات الضرورية منها أو المسائل الطريفة فيها.

٢ ـ إطلاع الشباب المسلم على روائع الخُلُق الإسلامي الأصيل، حين كان الإسلام في صفائه وقوته يوجه المسلمين في حياتهم الخاصة والعامة إلى أن يكونوا أقرب إلى الكمال الإنساني من كل الأجيال التي تربيهم المبادىء الدينية والفلسفية والخلقية الأخرى، وفي ذلك دعوة غير مباشرة إلى العودة لأخلاق الإسلام في عصوره الذهبية، فليس أجدى في التربية من أن نجعل شبابنا يعيشون في أجواء عظمائهم، لينشؤوا عظماء في أخلاقهم وسلوكهم وأهدافهم، ولينهضوا بعبء الرسالة التي كلفهم الله بحملها في كل جيل: رسالة الريادة الفكرية والخلقية والاجتماعية نحو حياة كريمة، وعيش رغد، ومستقبل سعيد.

٣ ـ التوجيه الروحي النبيل من معدنه الصافي، لهذا الجيل من شبابنا المسلم، وهو الذي يعيش في بيئة ابتعدت كثيراً عن النبع النمير لنهرنا المتدفق، وفي ظل حضارة مادية ونُظُم مختلفة لا تحفل بالقيم الروحية والإنسانية كثيراً، مما جعل شبابنا يعيشون في خلق نفسي يعرضهم لكثير من الانحرافات في سلوكهم الاجتماعي، إذا لم تلقح أرواحهم نسمات من الجنة تنعش قلوبهم، وتحيي نفوسهم، وتصعد بأرواحهم نحو آفاق السمو والنبل والكمال.

٤ ـ تقوية الشاب المسلم في لغته العربية مادة وأسلوباً، بحيث يستطيع فهم كتاب الله وتذوق بلاغته واحتذاء أسلوبه، عسى أن تعود للبيان العربي اليوم جزالته وسلامته وعذوبته، كما كان في الصدر الأول، وعسى أن يعود تأثير القرآن في نفس قارئه المسلم كما كان له في نفوس المسلمين الأوائل، فصنع منهم المعجزات، وأنبت بهم الجنات، وسطّر بهم روائع المكرمات.

وقد تصاعدت الشكوى من جهل أبنائنا المثقفين بلغتهم جهلاً معيباً، لا يستطيعون معه فهم بيت من الشعر العربي القديم، أو قطعة من الأدب «الجاحظي» أو «المقفّعي» البديع، بله آية من كتاب الله، وهو كتاب العربية الأكبر، وسفر الإنسانية الخالد.

ويقيني أن تغيير النفس المسلمة والعربية المعاصرة،

وتخليصها من العيوب النفسية والخلقية والفكرية لن يتم إلا بأن تعود إلى التأثر ببلاغة القرآن الكريم وأسلوبه. فكل تقوية للغة العربية الفصحى في أساليبها البليغة، هو تمهيد لصنع المعجزة الإنسانية مرة أخرى بالقرآن ورسوله العظيم.

٥ ـ الترويح عن النفس ببعض المِلَح المستطرَفة، مما يشبه الهزل وليس بالهزل، فالنفس تملُّ من الجد في التفكير، كما يملُّ الجسم من الجد في العمل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**روِّحوا القلوب ساعة فساعة**»[1]. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لأجم فؤادي ببعض الباطل (أي: اللهو الجائز) لأنشط للحق، وقال علي كرّم الله وجهه: أجمُّوا هذه القلوب (أريحوها) والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل (تكل) كما تمل الأبدان، والنفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهوينى، جانحة إلى اللهو، أمّارة بالسوء، مستوطنة للعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها (أتعبتها وأبليتها) وإن أهملتها أرديتها.

وقال بكر بن عبد الله المزني: لا تكدوا هذه القلوب (لا تشتدوا عليها) ولا تهملوها، وخير الكلام ما كان عقيب جمام. ومن أكره بصره عشي (ضعف) وعاودوا الفكرة عند نبوات القلوب، واشحذوها بالمذاكرة، ولا تيأسوا من إصابة الحكمة

---

(١) رواه أبو داود مرسلاً عن ابن شهاب الزهري، قال المناوي في شرح «الجامع الصغير»: ويشهد له ما في مسلم وغيره: يا حنظلة! ساعة وساعة.

إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق، فإن من أدمن قرع الباب ولج.

وليس المزاح البريء والأحاديث المستطرَفة مما يتنافى مع كمال الأدب وحسن الخلق، وقد كان رسولنا ﷺ - وهو المثل الأعلى للكمال الإنساني - يمازح أصحابه، ويداعب نساءه، وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان يبتسم لدعابات بعض صحابته معه مثل «نعيمان»، وكان ذلك دليلاً على ما يتمتع به عليه الصلاة والسلام من حلاوة النفس، ودماثة الخلق، ورقة الشمائل، ولطف المعاشرة، وكذلك درج على سيرته الصحابة والتابعون وعلماء الإسلام وأئمته المقتدون.

إن التحرج من المزاح أو الدعابة المحتشمة كما يفعل بعض المتظاهرين بالوقار، مرض نفسي ينشأ من جفاف الروح وانحراف المزاج واعتلال الصحة، وأعظم الناس تزمتاً في المجالس العامة لا يستغني عن المرح والدعابة ورواية المِلَح والطرائف والحكايات المضحكة في مجالسه الخاصة، وإني لأكره هؤلاء الذين يرون في التزمُّت وعبوس الوجه دليل الجد وعنوان الوقار والكرامة، ولو كان هذا صحيحاً لكان أجدر الناس به رسول الله ﷺ. كما أني لا أحب الذين يفرطون في طلب النوادر المضحكة وحكايتها وقتل أوقاتهم في المزاح والدعابة، والخير وسط بين الأمرين. وقد قال مطرف بن عبد الله لولده: يا بني إن الحسنة بين السيئتين - يريد بين المجاوزة والتقصير - وخير الأمور أوساطها، وشر السير الحقحقة (شدة السير).

وقد اقتصرت فيما اخترته من الفوائد، على تراثنا العربي دون الغربي، لا لشيء من كره التراث الأجنبي أو عدم الاعتداد به، بل لأن الأدب الغربي قد كثر مترجموه وناقلوه وناشروه والمقتبسون منه في أوساطنا الثقافية، حتى اعتبر عند كثير من الناس هو الأدب الإنساني وحده دون أدبنا العربي.

ولست هنا في سبيل مناقشة هذا الرأي، ولكني أحببت أن أعرض صفحة من تراثنا العربي، منوعة المادة، غزيرة الفائدة، ليعلم الذين يجهلون هذا التراث من مصادره الأولى أية خسارة فكرية ونفسية تلحق بهم من جهلهم به وإعراضهم عنه، ونحن نخوض اليوم معارك عديدة في سبيل الاحتفاظ بسيادتنا وشخصيتنا ومقومات حياتنا، والمعركة الثقافية أشد هذه المعارك خطورة وأبعدها آثاراً، وإذا كانت الأمم الحية لا تعيش في بيت مقفل يسد عليها منافذ الهواء والنور، بل تأخذ من كل الثقافات، وتطلع على نتائج العقل الإنساني أنى كان وكيفما كان، فإنها أشد حرصاً على معرفة تراثها الإنساني والتزود منه، وبخاصة إذا كان هذا التراث عنواناً لحضارة إنسانية من أسمى الحضارات الإنسانية في التاريخ، فإذا رأيت أمّة تريد الحياة والبقاء والإسهام في ركب الإنسانية السائر، ثم هي تزدري أدبها الرائع، وتحتقر تراثها الفني، وتهمل نتاجها الفكري الخصيب، فاعلم أنها أمة هازلة جاهلة بأقوى عوامل بقائها ومقومات وجودها، وهي كالتاجر الذي يريد أن يزاحم كبار التجار وليس له مال يتجر به.

وقد كنت أود أن أذكر تراجم موجزة للأعلام الذين تضمنهم هذا الكتاب، ولكني وجدت ذلك يكلفني أمراً عسيراً لا تتحمله حالتي الصحية، ولعلي أفعل ذلك في الأجزاء التالية إن شاء الله.

وأخيراً فإني حرصت على طبع الكتاب بحجم يسهل معه حمله في جيب القارىء أو حقيبة كتبه، ليكون سميره في الأسفار والمتنزهات ومجالس السمر، فيجمع بين متعة الجسم ومتعة الفكر.

وإني لأسأل الله أن يؤدي هذا الكتاب أغراضه ويتقبله لوجهه الكريم.

دمشق: ١ ربيع الأول/١٣٨٢هـ = ١ آب/ ١٩٦٢م.

الدكتور مصطفى السّباعي

١ ـ مذاهب العلماء في التفسير

الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»:

إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين، وسلكوا طريقين: فالفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية.

والفريق الآخر جرَّدوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً، ولم يصحِّحوا لها أساساً، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما يتم بدونه كمال الانتصاب؛ فإن ما كان من التفسير ثابتاً عن رسول الله ﷺ كان المصير إليه متعيناً، وتقديمه متحتماً، غير أن الذي صح عنه من ذلك إنما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن، ولا يختلف في مثل ذلك من أئمة هذا الشأن اثنان.

وأما ما كان منها ثابتاً عن الصحابة رضي الله عنهم، فإن كان من الألفاظ التي قد نقلها الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه فهو مقدم على غيره، وإن كان من الألفاظ

التي لم ينقلها الشرع، فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب، فبالأولى تفاسير من بعدهم من التابعين وتابعيهم وسائر الأئمة.

وأيضاً، كثيراً ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه العلم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تتبين بها دقائق العربية وأسرارها، كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا بمحض الرأي المنهي عنه.

وقد أخرج سعيد بن منصور في «سننه» وابن المنذر والبيهقي في كتاب الرؤية عن سفيان قال: ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا. وأخرج ابن سعد في «الطبقات» وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً. وأيضاً لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف، بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن، ولا اعتبار بما لم يصح كالتفسير المنقول بإسناد ضعيف ولا بتفسير من ليس بثقة منهم وإن صح إسناده إليه.

وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين؛ وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين.

٢ ـ تقدير العلم والعلماء

الخطيب البغدادي في «تاريخه»:

كان طاهر بن الحسين حين مضى إلى خراسان نزل بـ«مرو» يطلب رجلاً ليحدثه ليله، فقيل له: ما هنا إلا رجل مؤدِّب فأدخل عليه أبو عبيد القاسم بن سلام، صاحب كتاب «الأموال» فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه، فقال له: من المظالم تركك بهذا البلد، فدفع إليه ألف دينار وقال له: أنا متوجه إلى خراسان إلى حرب، وليس أحب استصحابك شفقاً عليك، فأنفق هذا إلى أن أعود إليك. فألَّف أبو عبيد «غريب المصنف» إلى أن عاد طاهر بن الحسين من خراسان فحمله معه إلى «سُرّ من رأى». وكان أبو عبيد ديِّناً ورعاً جواداً.

٣ ـ وفاء وسخاء!

الحافظ الذهبي في «تاريخ دول الإسلام» كما جاء في التقديم لكتاب «الأموال»:

كان أبو عبيد القاسم بن سلَّام مع عبد الله بن طاهر، فبعث إليه أبو دلف يستهديه أبا عبيد شهرين، فأنفذه إليه فأقام شهرين، فلما أراد الانصراف وصله بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال: أنا في جنبة رجل لم يحوجني إلى صلة غيره، فلما عاد ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار فقال: أيها الأمير قد قبلتها ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرك، وقد رأيت أن

أشتري بها سلاحاً وخيلاً وأوجه بها إلى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير، ففعل.

٤ ـ فساد الشعب بالتجسس عليه

أخرج الإمام الطحاوي في «مشكل الآثار»:

بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم**»، ثم قال الطحاوي رحمه الله: معنى ذلك عندنا أن الله تعالى قد أمر عباده بالستر وأن لا يكشفوا عنهم ستره الذي سترهم به فيما يصيبونه مما قد نهاهم عنه لمن سواهم من الناس، فكان الأمير إذا تتبع ما قد أمر الله بترك تتبعه امتثل الناس ذلك منه وكان في ذلك إفسادهم.

٥ ـ نعمت الإمارة وبئست

أبو عبيد في «الأموال»:

عن عطاء بن يسار قال: قال رجل عند رسول الله ﷺ: بئس الشيء الإمارة! فقال النبي ﷺ: «**نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحلِّها وحقها، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها وحلِّها، تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة**».

٦ ـ القيام بالواجب خير من التفرغ للعبادة

وفيه أيضاً:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لَعمل الإمام العادل في**

رعيته يوماً واحداً أفضل من عبادة العابد في أهله مائة عام ـ أو خمسين عاماً» الشك من هشيم أحد الرواة.

٧ ـ رابطة العقيدة أقوى من رابطة الدم

وفيه أيضاً:

عن أبي البُختري قال: حاصر سلمان رضي الله عنه حصناً من حصون فارس؛ فقال: حتى أفعل بهم كما كان رسول الله ﷺ يفعل، فأتاهم فقال: إني رجل منكم أسلمت فقد ترون إكرام العرب إياي، وإنكم إن أسلمتم كان لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وإن أبيتم فعليكم الجزية، فإن أبيتم قاتلناكم.

٨ ـ جهد الشعوبية في محو العربية

ابن أبي الحديد في شرح «نهج البلاغة»:

كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني: «إن استطعت أن لا تدع بخراسان أحداً يتكلم بالعربية إلا قتلته فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار، فأبِد خضراءهم ولا تدع على الأرض منهم ديّاراً».

٩ ـ الأمويون والعباسيون

الجاحظ في «البيان والتبيين»:

دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان عربية أعرابية.

١٠ ـ بهذا تقوى الدول

الطبري في «تاريخه» عن يحيى بن سليم قال:

لم يُر في دار المنصور لهوٌ قط، ولا شيء يشبه اللهو والعبث واللعب إلا يوماً واحداً، فإنا رأينا ابناً له يقال له: عبد العزيز (توفي وهو حدث) قد خرج على الناس متنكباً قوساً، متعمِّماً بعمامة متردياً برداء، في هيئة غلام أعرابي راكباً على قَعود بين جُوالقين فيهما مقل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب، فعجب الناس من ذلك وأنكروه، فعبر الغلام الجسر وأتى المهدي بالرصافة فأهدى إليه ذلك، فقبل المهدي ما في الجوالقين وملأهما دراهم، وانصرف الغلام، فعلم أنه ضرب من عبث الملوك.

١١ ـ وبهذا تنهار الدول

أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني»:

بلغ مجموع ما أخذه إبراهيم الموصلي من الرشيد أكثر من مائتي ألف دينار!..

١٢ ـ أتلحنين وأنت شريفة؟

الشريف المرتضى في «أماليه»:

تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها: أتلحنين وأنت شريفة وفي بيت قيس؟ قالت: أما سمعت قول أخي «مالك» لامرأته الأنصارية:

منطق صائب وتلحن أحيا   ناً وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج: إنما عنى أخوك اللحن في القول إذا كنَّى المحدث عما يريد، ولم يعن اللحن في العربية، فأصلحي لسانك.

١٣ ـ كيف لي بما سارت به الركبان

وفيه أيضاً:

قيل للجاحظ: مثلك في عقلك وعلمك بالأدب ينشد قول مالك بن أسماء الفزاري ـ البيت السابق ـ ويفسره على أنه أراد اللحن في الإعراب، وإنما أراد وصفها بالظرف والفطنة؛ وأنها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح؟ فقال الجاحظ: قد فطنت لذلك بعدُ، قيل: فغيّره من كتابك! فقال: كيف لي بما سارت به الركبان! قال الصولي: فهو في كتابه على خطئه..

١٤ ـ توبة الفرزدق من الهجاء

وفيه أيضاً:

عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه، فسمعت صوت حديد يتقعقع، فتأملت الأمر فإذا هو مقيد الرِّجلين، فسألت عن السبب في ذلك فقال: إني آليت على نفسي ألا أنزع القيد من رجلي حتى أحفظ القرآن.

وعن سلام بن مسكين قال: قيل للفرزدق: علام تقذف

المحصنات؟ فقال: والله لَلّهُ أحب إليَّ من عينيَّ هاتين، أفتراه يعذبني بعدها؟

وروي أنه تعلق بأستار الكعبة، فعاهد الله على ترك الهجاء والقذف وقال:

ألم ترني عاهدت ربي وإنني ... لبين رِتاج قائم ومقام[1]

على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ... ولا خارجاً من فيّ زور كلام

أطعتك يا إبليس تسعين حجة ... فلما قضى عمري وتم تمامي

فزعت إلى ربي وأيقنت أنني ... ملاق لأيام الحتوف حِمامي

وعن إدريس بن عمران قال: جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله، فكان أوثقنا بالله، فلما قيل له في ذلك مع قذفه وهجائه، قال: أترونني لو أذنبت ذنباً إلى أَبويَّ أكانا يقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك؟ فقلنا: لا، بل كانا يرحمانك، قال: فأنا والله برحمة ربي أوثق مني برحمتهما.

ولما توفيت زوجته النوَّار قال له الحسن البصري - وكان فيمن حضر جنازتها - وهو عند القبر: ما أعددت لهذا المضجع يا أبا فراس؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة. فقال له الحسن: هذا العمود فأين الطنب[2]؟ وفي رواية أنه قال له: نِعمَ ما أعددت! ثم أنشد الفرزدق في الحال:

---

(١) هكذا جاءت رواية هذا البيت في الديوان. ورواه في «اللسان»:

ألم ترني عاهدت ربي وإنني ... لبين رتاج مقفل ومقام

والرتاج: الباب العظيم، وقيل: الباب المغلق.

(٢) الطنب: حبل الخباء.

أخاف وراء القبر إن لم يعافني
أشد من الموت التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد
عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى
إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلى نار الجحيم مسربلاً
سرابيل قطران لباساً محرقا

قال: فرأيت الحسن يدخل بعضه في بعض، ثم قال: حسبك!

١٥ ـ معنى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾

الشوكاني في «فتح القدير» بعد أن ذكر الأقوال في ذلك إنه الإسلام، أو القرآن؛ أو النبي:

وجميع ما روي في تفسير هذه الآية ما عدا هذا المروي عن الفضيل، وهو قوله: الصراط المستقيم: طريق الحج ـ يصدق بعضه على بعض، فإن من اتبع الإسلام أو القرآن أو النبي فقد اتبع الحق، وقد ذكر ابن جرير نحو هذا فقال: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي معنياً به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له ممن أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وفق إليه ممن أنعم الله عليه من النبيين والصدِّيقين والصالحين فقد وفق

للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم. اهـ.

١٦ ـ أحكام البسملة(١) والحمدلة(٢)

ابن عابدين ـ من فقهاء الحنفية ـ في حاشيته على «الدر المختار»:

تأتي الأحكام الشرعية (أي: الخمسة) في كل من البسملة والحمدلة.

أما البسملة فتجب في: ابتداء الذبح، ورمي الصيد، والإرسال إليه (أي: إرسال كلب الصيد) لكن يقوم مقامها كل ذكر خالص. وفي بعض الكتب أنه لا يأتي بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لأن الذبح ليس بملائم للرحمة؛ لكن في «الجوهرة» أنه لو قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فهو حسن، وفي ابتداء الفاتحة في كل ركعة، قيل: وهو قول الأكثر، لكن الأصح أنها سنة.

وتسن في: ابتداء الوضوء، والأكل، وفي ابتداء كل أمر ذي بال.

وتجوز أو تستحب فيما بين الفاتحة والسورة على الخلاف في ذلك.

---

(١) هي: بسم الله الرحمٰن الرحيم.

(٢) هي: الحمد لله رب العالمين. وما أشبهها من عبارات الحمد.

وتباح في: ابتداء المشي، والقيام، والقعود.

وتكره عند: كشف العورة، أو في محل النجاسات، وفي أول سورة (براءة) إذا وصل قراءتها بـ(الأنفال) كما قيده بعض المشايخ. قيل: وعند شرب الدخان، أي: ونحوه من كل ذي رائحة كريهة كأكل ثوم وبصل.

وتحرم عند استعمال محرم، بل في «البزازية» وغيرها: يكره من بسمل عند مباشرة كل حرام قطعي الحرمة، وكذا تحرم على الجنب إن لم يقصد بها الذكر.

وأما الحمدلة فتجب في الصلاة، وتسن في الخطب، وقبل الدعاء، وبعد الأكل، وتباح بلا سبب، وتكره في الأماكن المستقذرة، وتحرم بعد أكل الحرام، بل في «البزازية» أنه اختلف في كفره.

١٧ ـ عي المقال وعي الفعال

الجاحظ في «البيان والتبيين»:

ومما ذموا به العي قوله:

وما بي من عيّ ولا أنطق الخنا
إذا جمع الأقوامَ في الخطب محفلُ

وقال الراجز وهو يمتح[١] بدلوه:

(١) يستقي من البئر بالدلو.

علقتُ يا حارث عند الورد[1]

بجابىء[2] لا رفلِ التردّي

ولا عييّ بابتناء المجد

وهذا كقول بشار الأعمى:

وعيّ الفعال كعيّ المقال

وفي الصمت عيّ كعيّ الكلم

١٨ ـ كلب الله!

أبو المنصور الثعالبي في «ثمار القلوب»:

قال الجاحظ: يروى أن النبي ﷺ قال لعتيبة ابن أبي لهب: «**أكلك كلب الله**» فأكله الأسد، وفي هذا الخبر فائدتان: إحداهما أنه ثبت بذلك أن الأسد كلب الله، والثانية أن الله تعالى لا يضاف إليه إلا العظيم من جميع الأشياء من الخير والشر، أما الخير فقولهم «بيت الله» و «أهل الله» و «زوار الله» و «كتاب الله» و «أرض الله» و «خليل الله» و «روح الله» وأشباه ذلك. وأما الشر فكقولهم: دعه في لعنة الله تعالى وسخطه وأليم عذابه، ودعه في نار الله وسقره.

١٩ ـ نهر الله!

وفيه أيضاً:

من أمثال العامة والخاصة: إذا جاء نهر الله بطل نهر

---

(١) عند ورود الماء.

(٢) الجابىء: المفاجىء.

معقل، وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى، ونهر معقل بالبصرة، ونهر عيسى ببغداد، وعليهما أكثر الضياع الفاخرة، والبساتين النزهة ببغداد و(البصرة) وإنما يريدون: نهر الله البحر والمطر والسيل فإنها تغلب سائر المياه والأنهار وتطم عليها، ولا أعرف نهراً مخصوصاً بهذه الإضافة سواهما. ومما يجري مجرى المثل المذكور قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا

فقد بطل السحر والساحر

٢٠ ـ أخشن من مضغ الحديد!

الصفدي في «الوافي بالوَفيَات» في ترجمة «محمد بن إبراهيم بن عمران القفصي المغربي»:

ذكره ابن رشيق أيضاً فقال: شاعر متقدم، علامة بغريب اللغة؛ قادر على التطويل، يضع القصيدة تبلغ المائة وأكثر في ليلتها ويحفظها فلا يشذ عنه منها شيء، ويسرد أكثر مسائل كتاب «العين» للخليل بن أحمد، أورد له قوله:

ومن غِيَرِ الأيام أنِّيَ شاعر

أديب بسربال الخمول مُسربَلُ

أروم على إكداء حالي تجملاً

وأخشن من مضغ الحديد التجملُ

٢١ ـ صدقات في عيد الفطر

وفيه أيضاً في ترجمة «صدر الدين القنائي» (توفي سنة ٦٧٢هـ):

وكان كثير الصدقة، وكانت له معصرة يرسل غلمانه يجعلون في دهليز كل بيت من الفقراء قادوس محلب وطنّ قصب في ليلة عيد الفطر.

٢٢ ـ لغويات..

الأنباري في «كتاب الأضداد»:

و«النَّدُّ» يقع على معنيين متضادَّين، يقال: فلان نِد فلان إذا كان ضده، وفلان نده إذا كان مثله، وفسر الناس قول الله جل وعز: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] على جهتين:

قال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس: معناه فلا تجعلوا لله أعدالاً، فالأعدال جمع عِدْل، والعِدل: المثل.

وقال أبو العباس عن الأثرم عن أبي عبيدة: «فلا تجعلوا لله أنداداً» أضداداً! ويقال: فلان نِدّي، ونديدي، ونديدتي، فالثلاث لغات بمعنى واحد.

قال حسان لأبي سفيان بن الحارث:

أتهجوه ولست له بندٍّ؟
فشرُّكما لخيركما الفداء

وقال لبيد:

أحمد الله فلا نِدَّ له
بيديه الخير ما شاء فعل

وقال الآخر:

أتَيْماً تجعلون إليَّ نداً
وما تيمٌ لذي حسبٍ نديدُ

وقال لبيد في إدخال الهاء:

لكي لا يكون السَّندريّ[1] نديدتي
وأشتم أقواماً عموماً عماعِما

العماعم: الجماعات، ويروى: «وعُمّاً عماعماً»، فالعُمّ الرجال البالغون، ويستعمل في غير الرجال أيضاً. اشترى بعض الشعراء نخلاً، بعضه بالغ وبعضه غير بالغ، فعذل في ذلك فقال:

فعُمٌّ لِعُمّكم نافع
وطِفل لطفلكُم يؤمل

أراد: فالبالغ من النخل ينفع الرجال البالغين، والذي ليس ببالغ ينفع الأطفال ويؤمّل بلوغُه لهم.

وإنما دخلت الهاء في «نديدة» للمبالغة، كما قالوا: رجل علّامة ونسّابة، وجاءني كريمة القوم، يراد به: البالغ في الكرم،

(١) هو شاعر كان مع علقمة بن علاثة، وكان لبيد مع عامر بن الطفيل، فدعي لبيد إلى مهاجاته فأبى.

المشبه بالداهية. ويقولون في الذم: رجل هِلبَاجة، إذا كان أحمق فيشبهونه بالبهيمة.

ويقال في تثنية الند: ندّان، وفي جمعه: أنداد، ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه ولا يؤنثه، فيقول: الرجلان نِدِّي، والرجال نِدِّي، والمرأة نِدِّي، والنساء ندي؛ كما قالوا: القوم مثلي، والقوم أمثالي؛ قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾، وقال تبارك وتعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

ومجرى «ند» إذا وحِّد مجرى قولهم: رجلٌ كَرَمٌ، ورجال كَرَمٌ، ونساءٌ كَرَمٌ، ومنزلٌ حَمَدٌ، ودارٌ حَمَدٌ، أي: محمودة، ورجال شَرَطٌ وقَزَمٌ، إذا كانوا سُقَّاطاً لا أقدار لهم.

قال الأموي:

تمنَّيتُمُ قومكم فخراً بأمكمُ
أُمٌّ لَعمري حَصَانٌ[1] برَّة كرمُ
هي التي لا يوازي فضلها أحدٌ
وبنت النبي وخير الناس قد علموا

وأنشدنا أبو العباس:

سقى الله نجداً من ربيع وصيِّف
وماذا ترَجّي من سحاب سقى نجدا

---

(١) عفيفة.

بـلـى إنـه قـد كـان لـلـعـيـش مـره
وللبيض والفتيان منزلة حَمدا

وقال الكميت:

وجدت الناس غير ابنَي نزار
ولم أذممهمُ شَرَطاً ودونا

السكّيت:

لقد زاد الحياة إليَّ طيباً
بناتي إنهن من الضِّعاف
مخافة أن يذقن البؤس بعدي
وأن يشربن رنقاً[1] بعد صاف
وأن يَعْرَين إن كُسي الجواري
فتنبو العين عن كرم عِجاف

٢٣ ـ من أين لهم هذا؟

القاضي الرشيد بن الزبير في: «الذخائر والتحف»:

وكان لأحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف أيام ولايته الكرخ اسطبلات تشتمل على أكثر من عشرين ألف دابة. وكان ربما حمل في اليوم الواحد على أكثر من ألف فرس، وكانت له خزانة سروج فيها ستة آلاف سرج وخمسمائة سرج، سوى المخلَّع منها والمصاغ الذي لم يركب. وكان في بيت ماله ستة

(١) كدراً.

آلاف ألف (ستة ملايين) درهم، وخمسمائة ألف دينار في بعض أوقاته، سوى ما عنده من خزائن السلاح والكسوة والطيب والشراب والفرش والطرائف وغير ذلك مما لا تحدُّ قيمته.

٢٤ ـ تركة!..

نقل محمد كرد علي في «الإسلام والحضارة العربية»:

أن الوزير التركي «سنان باشا» الذي كان والياً على الشام ومصر وفتح اليمن وتونس وتولى الصدارة (رئاسة الوزراء) غير مرة قد خلَّف تركة كان فيها:

- مائة وستون مصحفاً مرصعاً بالدر والجواهر.
- وثلاثون طستاً وإبريقاً من الذهب مرصعة بالدر والياقوت.
- وخمسة صناديق زبرجد عليها خمسة أقفال من الذهب مرصعات بالجوهر، وفي داخل كل صندوق منها مائتا مثقال من الإكسير، كل مثقال منها على ألف قنطار من الحديد يستحيل ذهباً خالصاً.
- وشطرنج بيادقه البيض ماس، وبيادقه السود لعل (كذا).
- ومائتا مرآة مرصعة بالدر والياقوت.
- واثنان وثلاثون زوجاً من الركابات ذهباً مرصعة بالدر والياقوت.

- وستون «رختاً» من الذهب مرصعة بالجواهر.
- ومثلها سلاسل ذهبية.
- وأربعمائة «رخت» فضة مطلية بالذهب.
- ومائة وستون رشمة ذهب.
- وأربعمائة رشمة فضة.
- ومائة وستون سرجاً مرصعة بالدر والياقوت.
- ومائة وستون عباءة مكللة باللؤلؤ الرطب.
- ومائة وستون سكيناً ذهباً مرصعات بالدر والياقوت.
- وثلاثمائة وأربعون تاجاً مرصعة بالجواهر.
- ومائتان وستون «حمايليا» مرصعة بالدر والجواهر.
- ومائة وستون خنجراً ذهباً مرصعة بالماس.
- ومائتان وثلاثون زناراً من الجوهر.
- ومائتان وستون «بازونه» مرصعة بالجواهر.
- وخمسة وثلاثون صندوق كتب مرصعة بالياقوت والمعدن.
- وسفرة صحون وثلاث صوان من ذهب وجميعها مرصعة.
- وعشر طاسات بأغطية وتحتها صوانيها من ذهب مرصعة بالدر والجواهر.

- وعشر مباخر، وعشر قماقم ذهب مرصعة بالدر والجواهر.
- وخمسة وستون خاتماً من الماس.
- ومائة وأربعة وأربعون خاتماً من الياقوت الأحمر.
- ومائتا خاتم من لعل. ومثلها من الياقوت الأصفر والأزرق والزمرد الخالص.
- وسبعون وسادة كل واحدة بمائتي دينار.
- ومائتان وستون وسادة مرصعة بالجواهر.
- وستون قفلاً ومفتاحاً مرصعات بقطع ماس في كل قفل منها نحو ألف دينار.
- وقبضة ماس مقدار كف الإنسان لا نظير لها.
- وأربعة شماعدين من ذهب وتحتها سفرها مرصعة بالجواهر قوَّموها بمائة ألف دينار.
- ومائة وخمسون خلعة صراصر كل واحدة منها تساوي مائة دينار.
- وسبعون خلعة مرصعة بالجواهر قيمة كل واحدة ألف دينار.
- وثلاث صور عجاب قيمتها ثلاثة آلاف دينار.
- وثلاثمائة فروة سمور قيمة كل واحدة منها خمسمائة دينار.

- وأربعمائة فروة وشق قيمة كل واحدة ثلاثمائة دينار.
- وأربعمائة فروة ناقة وغيرها قوّمت كل واحدة بسبعين ديناراً.
- وثمانية أباريق كبيرة من نحاس أصفر في جوف كل إبريق منها مائة ألف دينار.
- وستة وسبعون كيساً في كل كيس ثلاثة آلاف دينار.
- وثلاثة وثلاثون كيساً في كل كيس منها اثنا عشر ألف دينار.
- وثلاثمائة شمامة من العنبر.
- إلى غير ذلك من الأمتعة والعود الخالص المختوم.
- وثمانية آلاف جمل.
- وألف بغل.
- وتسعمائة فرس وحصان لركوبه خاصة بسرج حرير.
- وما عدا الصيني والنحاس والبندق المجوهر والدروع والقامات والسناجق المذهبة وعدة «الشكار» مع طاساتها الذهب، وأشياء كثيرة لا يمكن حصرها.

قال المرحوم كرد علي عن هذه الثروة: إن أقل ما يقال فيها: إنها مجموعة ثروة قسم عظيم من الولايات العربية، إذا وجد بعضها في أحد متاحف الغرب عُدَّ غنياً بما في تركته من غرائب.

وأقول: إن هذا الوزير هو الذي بنى مسجد السنانية المعروف في دمشق. فهل بناه ليغفر الله له ما سلبه من أموال الناس؟ وهل يفعل الله ذلك؟

٢٥ ـ يعيش مائة وثلاثين سنة

الحافظ الذهبي في «العبر» في حوادث سنة مائة:

وفيها (توفي) أبو عثمان النَّهدي عبد الرحمٰن بن مُلّ بالبصرة، وكان قد أسلم وأدى الزكاة إلى عمال النبي ﷺ، وحج في الجاهلية، وعاش مائة وثلاثين سنة، وصحب سلمان الفارسي اثنتي عشرة سنة.

٢٦ ـ يعدد ذنوبه!

وفيه أيضاً في حوادث سنة ثلاث ومائة:

وفيها (توفي) مقرىء الكوفة يحيى بن وثّاب الأسدي، مولاهم، أخذ عن ابن عباس وطائفة. وقال الأعمش: كنت إذا رأيته قد جاء قلت: هذا قد وقف للحساب. كان يعد ذنوبه رحمه الله.

٢٧ ـ يفطر خمسمائة إنسان في كل ليلة

وفيه أيضاً في حوادث سنة عشرين ومائة:

وفيها (توفي) فقيه الكوفة أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان الأشقري مولاهم (شيخ الإمام أبي حنيفة) صاحب إبراهيم النخعي، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب

وطائفة، وكان سرياً محتشماً، يفطّر كل ليلة في رمضان خمسمائة إنسان . رَحِمَهُ اللهُ.

٢٨ ـ شدة في الحق.. مع شدة في الفقر

وفيه أيضاً في حوادث سنة تسع وخمسين ومائة:

وفيها توفي الإمام أبو الحارث محمد بن عبد الرحمٰن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب: هشام بن شعبة القرشي العامري المدني الفقيه، ومولده سنة ثمانين، روى عن عكرمة ونافع وخلقٍ.

قال أحمد بن حنبل: كان يشبَّه بسعيد بن المسيب، وما خلَّف مثله، كان أفضل من مالك، إلا أن مالكاً أشد تنقية للرجال.

وقال الواقدي: كان ابن أبي ذئب يصلي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة، فلو قيل: إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد من الاجتهاد، وأخبرني أخوه أنه كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً ثم سردَه، وكان شديد الحال، يتعشى بالخبز والزيت، وكان من رجال العالم صرامة وقولاً بالحق، وكان يحفظ حديثه لم يكن له كتاب.

وقال أحمد: دخل ابن أبي ذئب على أبي جعفر ـ يعني المنصور ـ فلم يؤهّله أن قال: الظلم ببابك فاشٍ، وأبو جعفر أبو جعفر (أي: مشهور في شدته وبطشه).

٢٩ ـ أنواع مرض القلوب

📖 **ابن القيم في «زاد المعاد»:**

والمرض نوعان: مرض القلوب ومرض الأبدان، وهما مذكوران في القرآن، ومرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما في القرآن.

قال تعالى في مرض الشبهة: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

فهذا مرض الشبهات والشكوك.

وأما مرض الشهوات، فقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾، فهذا مرض شهوة الزنى، والله أعلم.

٣٠ ـ الطب الروحي

📖 **وفيه أيضاً:**

وأين يقع هذا وأمثاله (الطب المادي) من الوحي الذي

يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضره، فنسبة ما عندهم (الأطباء) من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل ههنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم تهتد إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم: من الأدوية القلبية والروحية، وقوة القلب، واعتماده على الله، والتوكل عليه والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لم يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه.

وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة؛ ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية؛ بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة الأدوية الطرقية عند الأطباء.

وهذا جارٍ على قانون الحكمة الإلهية، ليس خارجاً عنها، ولكن الأسباب متنوعة، فإن القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء؛ كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه، المعرض عنه.

وقد علم أن الأرواح متى قويت، وقويت النفس والطبيعة

تعاونا على وضع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه؛ وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به وحبها له، وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه، أن يكون ذلك من أكبر الأدوية، وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية؛ ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس وأعظمهم حجاباً وأكثفهم نفساً، وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإِنسانية.

٣١ ـ ظرف الأعراب من الجوع..

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

قال العُتبيّ: قلت لرجل من أهل البادية: يا أخي! إني لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا؛ وعوامّكم أظرف من عوامّنا؛ ومجانينكم أظرف من مجانيننا. قال: وما تدري لمَ ذاك؟ قلت: لا؛ قال: من الجوع؛ ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه!..

٣٢ ـ أعرابي يدركه رمضان في المدينة

وفيه:

قدم أعرابي على ابن عم له بالحضر، فأدركه شهر رمضان، فقيل له: أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان. قال: وما شهر رمضان؟ قالوا: الإِمساك عن الطعام؛ قال: أبالليل أم بالنهار؟ قالوا: لا؛ بالنهار؛ قال: أفترضون بدلاً من الشهر؟ قالوا: لا؛ قال: فإن لم أصم فعلوا ماذا؟ قالوا: تُضرب

وتُحبَس! فصام أياماً، فلم يصبر فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بني عمي وقد زرت مصرهم
تهيأُ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومِزوَدي
سلام عليكم فاذهبوا بسلام
فبادرت أرضاً ليس فيها مسيطر
عليَّ ولا منَّاعُ أكل طعام

٣٣ ـ لماذا سمنوا؟

وفيه:

قيل لرجل رُئي سميناً: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحارّ، وشربي القارّ (البارد)، واتكائي على شمالي، وأكلي من غير مالي...

وقيل لآخر: ما أسمنك؟ قال: قلة الفكرة؛ وطول الدَّعَة؛ والنوم على الكِظَّة[١].

قال الحجاج للغضبان بن القبعثرى في حبسه: ما أسمنك؟ قال: القيد والدَّعَة؛ ومن كان في ضيافة الأمير فقد سمن!

وقال آخر لرجل رآه سميناً: أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك!

---

(١) الكظة: شيء يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.

٣٤ ـ الثريد ومرق اللحم

وفيه:

قيل لأعرابي: ما لكم تأكلون اللحم وتَدَعون الثريد؟ فقال: لأن اللحم ظاعن، والثريد باقٍ!

وقيل لآخر: ما تسمُّون المرق؟ قال: السخين، قال: فإذا برد؟ قال: لا ندعه يبرد!.

٣٥ ـ دعاء على جار بخيل!

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

كتب أبو الأسود الدؤلي إلى رجل يستسلفه، فكتب إليه: المؤونة كثيرة، والفائدة قليلة، والمال مكذوب عليه. فكتب إليه أبو الأسود: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً.

٣٦ ـ تعصيه في الخير وتطيعه في الشر

وفيه أيضاً:

سأل عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة، فلم يقضها، فتشفع إليه برجل فقضاها، فقال:

ذُممتَ ولم تُحمَد وأدركتُ حاجتي

تولى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسبَ المجد رأيٌ مقصر

ونفسٌ أضاق الله بالخير باعها

إذا هي حثته على الخير مرة

عصاها وإن همَّت بشرٍّ أطاعها

٣٧ ـ أب يسرُّ بوفاة ابنه

أبو عمر بن قدامة المقدسي في «مختصر منهاج القاصدين» لابن القيم:

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دفنه عمر وسوَّى عليه (التراب) ثم استوى قائماً، فأحاط به الناس، فقال: رحمك الله يا بني! قد كنت براً بأبيك، والله ما زلت مذ وهبك الله لي مسروراً بك، ولا والله ما كنت قط أشد منك سروراً، ولا أرجى بحظي من الله تعالى فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيَّرك الله إليه.

٣٨ ـ طول ليل الحزين

أبو عليّ القالي في «أماليه»:

وأنشدنا أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدنا أبو حاتم ـ ولم يسمِّ قائله ـ في طول الليل:

ألا هل على الليل الطويل معين

إذا نزحَتْ دارٌ وحنَّ حزين؟

أكابد هذا الليل حتى كأنما
على نجمه - ألَّا يغور - يمين

فوالله ما فارقتكم قالياً لكم
ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكون

وقد ذكر الفرزدق العلة في طول الليل فقال:

يقولون طال الليل والليل لم يَطُل
ولكنَّ من يبكي من الشوق يسهرُ

٣٩ ـ من أيمان العرب

وفيه أيضاً:

من أيمان العرب: لا والذي أخرج العذق من الجريمة (أي: النخلة من النواة) والنار من الوثيمة (أي: قدح حوافر الخيلِ النارَ من الحجارة).

ويقولون: لا والذي شق خمساً من واحدة، يعنون: الأصابع.

ويقولون: لا والذي أخرج قائبة من قوب، يعنون: فَرْخاً من بيضة.

ويقولون: لا والذي وجهي زَمَمَ بيته، أي: قصده وحذاءه.

٤٠ ـ أحق الناس

قال ابن المقفع في «الأدب الصغير»:

أحق الناس بالسلطان أهل المعرفة (أي: أحقهم بالملك والحكم أهل المعرفة بسياسة الملك) وأحقهم بالتدبير العلماء،

وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله، وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديباً، وأحقهم بالغنى أهل الجود، وأقربهم إلى الله أنفذهم في الحق علماً وأكملهم به عملاً، وأحكمهم أبعدهم من الشك في الله، وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله، وأشدهم انتفاعاً بعلمه أبعدهم عن الأذى، وأرضاهم في الناس أفشاهم معروفاً؛ وأقواهم أحسنهم معونة، وأشجعهم أشدهم على الشيطان، وأفلحهم بحُجةٍ أغلبهم للشهوة والحرص؛ وآخذهم بالرأي أتركهم للهوى، وأحقهم بالمودة أشدهم لنفسه حباً، وأجودهم أصوبهم بالعطية موضعاً، وأطولهم راحة أحسنهم للأُمور احتمالاً، وأقلهم دهشاً أرحبهم ذراعاً، وأوسعهم غِنًى أقنعهم بما أوتي، وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الإِفراط، وأظهرهم جمالاً أظهرهم حصافة، وآمنهم في النُاس أكلُّهم ناباً ومِخلَباً، وأثبتهم شهادة عليهم أنطقهم عنهم؛ وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم، وأحقهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها.

٤١ ـ أمارات السلاطين لندمانهم إذا أرادوا النهوض

الراغب الأصبهاني في «محاضراتِه»:

كان لكل ملك أمارة يستدل بها أصحابه إذا أراد أن يقوموا عنه، فكان أزدشير إذا قام تمطى قام سمَّاره، وكان «كيشاسف» يدلك عينيه، و «يزدجرد» يقول: شب بشد (مضى الليل) و «بهرام» يقول: خرَّم (المسرور، ومستريح الحال) و «سابور» يقول: حسبك يا إنسان، و «أبرويز» يمد رجليه،

و «قباذ» يرفع رأسه إلى السماء، و «أنو شروان» يقول: قرَّت أعينكم، وكان عمر يقول: قامت الصلاة، وعثمان يقول: العزة لله، ومعاوية يقول: ذهب الليل، وعبد الملك يقول: إذا شئتم، والوليد يلقي المخصرة، والرشيد يقول: سبحان الله، والواثق يمس عارضيه. وحكي عن بعض البخلاء أنه سئل: ما أمارتك لقيامنا؟ قال: قولي: يا غلام هات الطعام!

٤٢ ـ يوم الأذان!

وفيه أيضاً:

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال له: اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان! قال: وما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فبكى سليمان وأزال ظلامته.

٤٣ ـ عاقٌّ يحتج لعقوقه!

وفيه أيضاً:

ضرب رجل أباه فقيل له: أما عرفت حقه؟ قال: لا، لأنه لم يعرف حقي. قيل: فما حق الولد على الوالد؟ قال: أن يتخير أمه، ويحسن اسمه، ويختنه، ويعلمه القرآن، ثم كشف عن عورته فإذا هو أقلف، وقال: اسمي «برغوث» ولا أعلم حرفاً من القرآن، وقد استولدني من زنجية، فقيل للوالد: احتمله فإنك تستاهل..

٤٤ ـ الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي

أبو عبيد في «الأموال»:

أُتي عمر بن الخطاب بمال كثير ـ قال أبو عبيد: أحسبه قال: من الجزية ـ فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس! قالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفواً صفواً، قال: بلا سوط ولا نوط[(١)]؟ قالوا: نعم! قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني.

٤٥ ـ هكذا يكون الإيمان الصادق

وروى أبو عبيد في «الأموال» بسنده إلى الليث بن سعد عن محمد بن عجلان أن عمر رضي الله عنه فضَّل أسامة بن زيد في فرض العطاء على ولده عبد الله بن عمر، قال:

فلم يزل الناس بعبد الله بن عمر حتى كلم عمرَ فقال: أتفضل عليَّ من ليس بأفضل مني؟ فرضتَ له في ألفين، وفرضتَ لي في ألف وخمسمائة، ولم يسبقني إلى شيء؟ فقال عمر: فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عمر، وأن أُسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر!.. وفي رواية أخرى: أن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وإن أُسامة كان أحب إليه منك!..

---

(١) النوط: العلاوة بين عدلين، والجلة الصغيرة فيها التمر، ومنه المثل: إن أعيا البعير فزده نوطاً، أي: لا تخفف عنه إذا تلكأ في السير «قاموس».

٤٦ ـ الشعر عند أدباء الكتاب

الصفدي في «شرح لامية العجم»:

قال الجاحظ: طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب، كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك.

٤٧ ـ غرور الكيميائيين القدامى

وفيه أيضاً في ترجمة «الطغرائي» صاحب «لامية العجم»:

وقد ألَّف كتباً في الكيمياء. ومن شعره قوله:

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي
منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها
علماً أنار لي البهيم المظلما
وورثت هرمس سر حكمته الذي
ما زال ظناً في الغيوب مترجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنة
كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أُظهر معجزاً
من حكمتي يشفي القلوب من العمى

أهوى التكرم والتظاهر بالذي
عُلّمته والعقل ينهى عنهما
وأريد لا ألقى غبياً موسراً
في العالمين ولا لبيباً معدما
والناس إما ظالم أو جاهل
فمتى أطيق تكرماً وتكلما؟

٤٨ ـ دفاع عن المأمون

وفيه أيضاً:

حدثني من أثق به أن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها.

(قلت) إن المأمون لم يبتكر النقل والتعريب، بل نقله قبله كثير، فإن يحيى بن خالد البرمكي عرّب من كتب الفرس كثيراً مثل «كليلة ودمنة» وعرَّب لأجله كتاب «المجسطي» من كتب اليونان، والمشهور أن أول من عرَّب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية، كما أولع بكتب الكيمياء.

ثم قال الصفدي: والخلاف ما زال في هذه الأمة منذ توفي رسول الله ﷺ: في موته ودفنه، وأمر الخلافة بعده، وأمر ميراثه، وأمر قتال مانعي الزكاة، إلى غير ذلك، بل في نفس مرضه ﷺ لما قال: «ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا

تضلوا بعدي» على ما هو مذكور في مواطنه. وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه عليه أفضل الصلاة والسلام قال: «**إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن أُمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**». وهو ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، قد أخبر أن الأمة ستفترق، ومتى افترقت خالف بعضها بعضاً، ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج، وناظر كل فرقة من يخالفها، فانفتح باب الجدل، واحتاج كل واحد إلى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية، أو نقلية، أو مركبة منهما؛ فهذا الأمر كان غير مأمون قبل المأمون، ثم زاد الشر شراً، وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم، وأخذ أصحاب الأهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة، فأدخلوها في مباحثهم، وفرَّجوا بها مضايق جدالهم، وبنوا عليها قواعد بدعهم، فاتسع الخرق على الراقع، على أن السنة الشريفة مرفوعة المنار، وأهل السنة فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها، وذللوا بالشواهد الصادعة ما جمع من صعابها.

٤٩ - هذا رجل جائع!

وفيه أيضاً:

وأين هذا من فراسة أبي الحارث حمير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن الأحنف:

قلبي إلى ما ضرني داعي
يكثر أسقامي وأوجاعي

كـيـف احـتـراسـي مـن عـدوي إذا
كـان عـدوي بـيـن أضـلاعـي
إن دام بـي هـجـرك مـع كـل ذا
يـوشـك أن يـنـعـانـي الـنـاعـي

فبكى وقال: هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة. فقيل له: من أين لك هذا؟ قال: لأنه بدأ فقال: قلبي إلى ما ضرني داعي، وكذلك الإنسان تدعوه شهوته وقلبه إلى ما يضره من الطعام والشراب، فيأكل فتكثر عليه أوجاعه. وهذا تعريض، ثم صرح فقال: كيف احتراسي... إلخ البيت، وليس للإنسان عدو بين أضلاعه إلا معدته، فهي تتلف ماله، وهي سبب أسقامه، ومفتاح كل بلاء عليه، ثم قال: إن دام بي هجرك.. إلخ البيت، فعلمت أن الطباخة كانت صديقته فهجرته ففقدها وفقد الطعام، ولو دام عليه لمات جوعاً ونُعي..

٥٠ ـ من حكمة العرب

ابن نباتة في «شرح رسالة ابن زيدون» في الحديث عن ابن قيس سعيد بن تميم:

ومن كلامه: لا خير في لذة تُعقب ندماً، لن يفتقر من زَهد، اقبلوا عذر من اعتذر، ما أقبح القطيعة بعد الصلة، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك، لا تكونَنَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان، اعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، أنفق في حق ولا تكونن خازناً لغيرك، لا راحة

لحسود، ولا مروءة لكذوب، عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين.

ومن أقواله: ما نازعني أحد إلا وأخذت في أمره بثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

٥١ ـ لا يكلمه لأنه لم يره على باب عالم

ابن بشكوال في «صلته»:

عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: ما الناس إلا من قال: حدثنا، وأخبرنا (يعني المحدثين) وسائر الناس لا خير فيهم، ولقد التفت المعتصم إلى أبي، فقال له: كلّم ابن أبي داود، فأعرض أبي عنه بوجهه وقال: كيف أكلم من لم أره على باب عالم قط؟

٥٢ ـ بث الصنائع

وفيه أيضاً في ترجمة سراج بن عبد الملك:

أنشد أبو القاسم خلف بن محمد صاحبنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك لنفسه:

بُثّ الصنائع لا تحفل بموقعها
من آمِلٍ شكرَ الإخوان أو كفرا
فالغيث ليس يبالي أين ما انسكبت
منه الغمائم تُرباً كان أو حجرا

٥٣ ـ لا أجر على فعل الخير

ظهير الدين البيهقي في «تاريخ حكماء الإسلام» في ترجمة أبي علي «ابن الهيثم»:

وقد قصده من أمراء أسمنان[١] أمير يقال له «سرخاب» متعلماً. فقال له أبو علي: أطلب منك للتعليم أجرة وهي مائة دينار في كل شهر، فبذل ذلك الأمير مطلوبه وما قصر فيه، وأقام عنده ثلاث سنين، فلما عزم الأمير على الانصراف قال له أبو علي: خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها، وأنت أحوج إليها مني عند عودك إلى مقر ملكك ومسقط رأسك، وإني قد جربتك بهذه الأجرة، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم بذلت مجهودي في تعليمك وإرشادك، واعلم أن لا أجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير، ثم ودعه وانصرف.

٥٤ ـ اجتنب ثلاثة وعليك بأربعة

وفيه أيضاً في ترجمة الحكيم أبي الحسن البسطامي:

وقال: اجتنب ثلاثة وعليك بأربعة، ولا حاجة لك إلى الطبيب:

اجتنب الغبار، والنتن، والدخان. وعليك بالحلو، والدسم، والحمَّام، والطيب مع الاقتصاد.

---

(١) بلد يجاور قومس بين الري والدامغان.

٥٥ ـ ما تحمَّله الرسول ﷺ في سبيل الدعوة

الشيخ محمد يوسف الداعية الإسلامي الهندي الكبير في كتابه «حياة الصحابة»:

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص٢٤٣[١] عن عبد الرحمٰن العامري عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ، فقال: «**ممن القوم؟**»، قلنا: من بني عامر بن صعصعة، قال: «**من أي بني عامر؟**»، قلنا: بنو كعب بن ربيعة، قال: «**كيف المنعة فيكم؟**»، قلنا: لا يُرام ما قبلنا ولا يُصطلى بنارنا، فقال لهم: «**إني رسول الله ـ ﷺ ـ فإن أتيتكم تمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولم أكره أحداً منكم على شيء؟**»، قالوا: ومن أي قريش أنت؟ قال: «**من بني عبد المطلب**»، قالوا: فأين أنت من بني عبد مناف؟ قال: «**هم أول من كذبني وطردني**»، قالوا: ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك، ونمنعك حتى تبلغ رسالة ربك، فنزل إليهم والقوم يتسوقون (أي: يبيعون ويشترون) إذ أتاهم بجرة بن قيس القشيري فقال: من هذا الذي أراه عندكم؟ أنكره، قالوا: محمد بن عبد الله القرشي، قال: ما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنه رسول الله، يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه، قال:

---

(١) جاء في الكتاب الذي ننقل عنه أن هذا الخبر الذي أخرجه أبو نعيم وارد في «دلائل النبوة» ص١٠٠، والصواب هو ما ذكرناه من النسخة المطبوعة في الهند (الطبعة الثانية) ونعتقد أنها النسخة التي نقل عنها الأستاذ المؤلف.

فماذا رددتم عليه؟ قالوا: قلنا في الرحب والسعة، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا. قال بجرة: ما أعلم أحداً من أهل هذا السوق يرجع بشيء أشر من شيء ترجعون به! بدأتم لتنابذ الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة؟ قومه أعلم به، لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به؛ تعمدون إلى رهيق قوم[1] قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه؟ فبئس الرأي رأيتم! ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قم والحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك، قال: فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها فغمز الخبيث «بجرة» شاكلتها (أي: خاصرتها) فقمصت (نفرت) برسول الله ﷺ فألقته، وعند بني عامر يومئذٍ ضباعة بنت عامر بن قرط ـ كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة ـ جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت: يا آل عامر ولا عامر لي! أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم، لا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة نفر من بني عمها إلى بجرة ـ واثنان أعاناه ـ فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره، ثم علوا وجوههم لطماً، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء»**! قال: فأسلم الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء، وهلك الآخرون لعناً، واسم النفر الثلاثة الذين نصروا بجرة: فراس، وحزن بن عبد الله، ومعاوية بن عبادة، وأما اسم الثلاثة

(١) من معاني الرهق في اللغة: السفه والظلم والشر والكذب.

الذين نصروا رسول الله ﷺ: فقطريف وغطفان ابنا سهل، وعروة بن عبد الله.

وأخرجه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في «مغازيه» عن أبيه به، كما في «البداية» ج٣ ص١٤١.

٥٦ ـ معنى الحكمة

الإمام النووي في «شرح مسلم» عند قوله في الحديث: «الفقه يمانٍ والحكمة يمانية»:

وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن: العلم المتَّصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك. وقال أبو بكر ابن دريد: كل كلمة وعظتك وزجرتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبي ﷺ: «**إن من الشعر حكمة**»، وفي بعض الروايات: «**حكماً**» والله أعلم.

٥٧ ـ حكم اجتهاده ﷺ

وفيه أيضاً:

وهذه المسألة، وهي اجتهاده ﷺ، فيها تفصيل معروف:

فأما أمور الدنيا فاتفق العلماء ﷺ على جواز اجتهاده ﷺ

فيها ووقوعه منه، وأما أحكام الدين فقال أكثر العلماء بجواز الاجتهاد له ﷺ، لأنه إذا جاز لغيره، فله ﷺ أولى. وقال جماعة: لا يجوز له لقدرته على اليقين. وقال بعضهم: كان يجوز في الحروب دون غيرها، وتوقف في كل ذلك آخرون، ثم الجمهور الذين جوَّزوه اختلفوا في وقوعه. فقال الأكثرون منهم: وجد ذلك، وقال آخرون: لم يوجد وتوقف آخرون. ثم الأكثرون الذين قالوا بالجواز والوقوع اختلفوا هل كان الخطأ جائزاً عليه ﷺ؟ فذهب المحققون إلى أنه لم يكن جائزاً عليه ﷺ، وذهب كثيرون إلى جوازه ولكن لا يقر عليه، بخلاف غيره.

٥٨ ـ ثلاثة صحابة يروي بعضهم عن بعض

وفيه أيضاً عند شرح حديثٍ أورده مسلم وفي سنده: حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك:

وفي هذا الإسناد لطيفتان من لطائفه: إحداهما أنه اجتمع فيه ثلاثة صحابيون يروي بعضهم عن بعض، وهم: أنس، ومحمود، وعتبان، والثانية أنه من رواية الأكابر عن الأصاغر، فإن أنساً أكبر من محمود سناً وعلماً ومرتبة، رضي الله عنهم أجمعين.

٥٩ ـ ليس قِصَر الرجال بعيب

أبو إسحاق الحصري القيرواني في «زهر الآداب»:

وكان «كثيرٌ» قصيراً دميماً، ولذلك قال:

فإن أك معروق العظام فإنني
إذا ما وزنت القوم بالقوم وازنُ

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته فقال: أنت كُثَيِّر؟ فقال: نعم، فاقتحمه[1] وقال: «تسمع بالمَعيديّ لا أن تراه»[2]، فقال: يا أمير المؤمنين؟ كل إنسان عند محلّه رحْبِ الفِناء، شامخ البناء، عالي السَّناء، وأنشد يقول:

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطير إذا تراه
فيخلف ظنَّك الرجل الطرير[3]

بغاث الطير أطولها رقاباً
ولم تطُل البُزاة ولا الصقور[4]

خَشاش الطير أكثرها فراخاً
وأم الباز مقلاةٌ نَزور[5]

---

(١) ازدراه.

(٢) المشهور هو: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وكذلك ذكره القالي في «أماليه».

(٣) الطرير: من له هيئة حسنة.

(٤) البغاث: شرار الطير.

(٥) خشاش الطير: هي العصافير ونحوها، والمقلاة: التي لا يحيا لها ولد، والنزور: قليلة الأولاد.

ضِعاف الأُسْد أكثرها زئيراً
وأصرمها اللواتي لا تزير[1]

وقد عظُم البعير بغير لُبّ
فلم يستغنِ بالعِظم البعير

يُنوَّخُ ثم يُضرب بالهراوَى
فلا عُرفٌ لديه ولا نكير

يقوِّده الصبي بكل أرض
ويصرعه على الجنب الصغير

فما عِظم الرجال لهم بزينٍ
ولكن زينهم حسب وخِير

فقال: قاتله الله! ما أطول لسانه، وأمد عنانه، وأوسع جنانه، إني لأحسبه كما وصف نفسه.

٦٠ ـ لا خير في الجسوم من غير عقول

وفيه أيضاً:

وأنشد أحمد بن عبيد الله لشاعر قديم:

وعاذلةٍ هبَّت بليل تلومني
ولم يَغتمرني قبل ذاك عَذول[2]

---

(١) أصرمها: أشدها. ولا تزير: لا تزأر.

(٢) اغتمره يغتمره: عده غمراً ـ بضم الغين وقد تفتح ـ وهو من لم يجرب الأمور.

تقول: اتئد لا يَدْعُك الناس مملقاً

وتُزري بمن يا ابن الكرام تعول

فقلت: أبت نفسٌ عليّ كريمة

وطارق ليلٍ عند ذاك يقول

ألم تعلمي يا عَمْرَكِ الله أنني

كريم على حينَ الكرامُ قليلُ

وأنيَ لا أخزَى إذا قيل مملق

سخيّ وأخزى أن يقال: بخيل

فلا تتبعي النفس الغَوية وانظري

إلى عنصر الأحساب كيف يؤول

ولا تذهبن عيناك في كل شرمح

له قصَبٌ جُوف العظام أسيل[1]

عسى أن تمَنَّى عِرسه أنني لها

به، حين يشتد الزمان؛ بديل

إذا كنت في القوم الطوال فطلتهم[2]

بعارفةٍ حتى يقال طويل

ولا خير في حسن الجسوم وطولها

إذا لم تزِنْ حسنَ الجسوم عقول

---

(١) الشرمح: الرجل الطويل، والأسيل كأمير: الأملس المستوي. يقال: فلان أسيل الخد: إذا كان لين الخد طويله، وكل مسترسل أسيل.

(٢) في رواية القالي في «أماليه»: فضلتهم، ونحسب أنها أصح وأحسن.

فكائن رأينا من فروع طويلة
تموت إذا لم تحيهن أصول
فإلا يكن جسمي طويلاً فإنني
له بالفعال الصالحات وَصول
ولم أرَ كالمعروف: أما مذاقه
فحُلو وأما وجهه فجميل

٦١ ـ من الورع ما يبغضه الله

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

قال رجل: أفطرت البارحة على رغيف، وزيتونة ونصف، أو زيتونة وثلث، أو زيتونة وربع؛ أوَ ما علم الله من زيتونة أخرى، فقال له بعض من حضر المجلس: يا فتى؛ إنه بلغنا أنّ من الورع ما يبغضه الله؛ وأحسبه ورعك هذا!

٦٢ ـ أكرم على الله من إسحاق بن إبراهيم

وفيه أيضاً:

الأصمعي قال: وَليَ رجل مُقلٌّ قضاء الأهواز؛ فأبطأت عليه أرزاقه، وحضر الأضحى ليس عنده ما يضحّي به ولا ما ينفق، فشكا ذلك إلى امرأته، وأخبرها بما هو فيه من الضيق، وأنه لا يقدر على الأضحية، فقالت له: لا تغتم فإن عندي ديكاً جليلاً قد سمَّنته، فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه، فبلغ جيرانه الخبرُ، فأهدوا له ثلاثين كبشاً وهو في المصلَّى لا يعلم، فلما صار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي قال

لامرأتِهِ: من أين هذا؟ قالت: أهدى لنا فلان وفلان، حتى سمَّت جماعتهم، فقال لها: يا هذه تحفظي بديكنا هذا؛ فلهو أكرم على الله من إسحاق بن إبراهيم، إنه فُدي بكبش واحد، وقد فدي ديكنا هذا بثلاثين كبشاً!..

٦٣ ـ حسن الإجابة والمحاورة

أبو طاهر البغدادي في «قانون البلاغة» أوردها كرد علي في «رسائل البلغاء»:

إن من آلة الكاتب وأداته أن يضيف إلى الإحسان في المكاتبة مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة، حتى تكون ألفاظه مهذبة، وإشاراته مستعذَبة، والنفوس نحوه إذا نطق منصِتة، فمن المحاورة المستحسَنَة قول الفضل بن الربيع، فقد قال له الرشيد: كذبت! قال: يا أمير المؤمنين! وجه الكذوب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك (يعني به الرشيد نفسه) فإنه لا يقابل نفسه، ولسانه لا يخاطبه. فوصله وقال: كذَّبني فوصلته لحسن جوابه. ودخل سعيد بنُ مُرَّة على معاوية فقال له: أنت سعيد بن مرة؟ فقال: أنا ابن مرَّة وأنت السعيد، فوصله لحسن جوابه. وقال السفاح أو المنصور للسيد الباقر: أأنت السيد؟ فقال: أنا ابن أبي وأنت السيد، وقال النبي ﷺ لعمه العباس: «**أنت أكبر مني**» فقال: أنا أسنُّ وأنت أكبر مني، وقال سعيد بن عمرو بن عثمان لطُويس المخنث: أينا أسن؟ فقال: بأبي أنت وأمي؛ لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب! فلو

جعل الطيب وصفاً للأم قد هجَّن بالابن. وعلى حسب ما يستحسن هذا الجنس من الجواب يُستقبح ما كان خلافه من الخطاب، كما يروى أن رجلاً مر بأبي بكر أو بعمر ومعه ثوب وقال: تبيعه؟ قال: لا، عافاك الله، فقال: قد عُلِّمتم لو تعلمون، هلَّا قلت: لا وعافاك الله.

٦٤ ـ آلة البلاغة للخطيب والمتكلم

وفيه أيضاً:

ومما جاء في وصف البليغ وترتيب البلاغة ما أنا ذاكره: حكى الجاحظ عن بعض حكماء الهند أنه قال: أول البلاغة جماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون معه من القوة ما يُصرّف به لفظه في كل طبقة؛ حتى لا يدقق المعنى إذا خاطب أوساط الناس، ولا يدع ذلك إذا خاطب حكيماً أو كاتب فيلسوفاً.

٦٥ ـ الأوائل...

الشيخ علاء الدين علي دده السكتواري في «محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر»:

● أول من صلى بمكة جماعةً بعد الفتح: جبير بن عجلان الثقفي، أمره رسول الله ﷺ (نقله الطبري).

• أول من فرش المسجد بالحصباء عمر رضي الله عنه. وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا وجوههم بأيديهم، فأمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالحصباء قائلاً: حصبوه من الوادي المبارك من العقيق «أوائل السيوطي».

• أول من أسرج المسجد: تميم الداري رضي الله عنه في أيام عمر رضي الله عنه.

• أول من أحكم قوافي الشعر: امرؤ القيس وهو مقدم الشعراء عند علماء البصرة، والأعشى عند علماء الكوفة، وزهير عند أهل الحجاز وأهل البادية. «المزهر للسيوطي».

• أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن العبيد بلال، رضي الله عنهم أجمعين. «أوائل السيوطي».

• أول من كسا البيت (الكعبة) بالديباج: والدة العباس بن عبد المطلب، حين أضلّت العباس صغيراً، فنذرت إن وجدته لتكسونَّ الكعبة، فوجدته ففعلت «أوائل السيوطي».

٦٦ - ... والأواخر

وفيه أيضاً:

• آخر شيء نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، قال سعيد بن جبير: عاش

رسول الله ﷺ بعدها تسع ليالٍ ثم مات صلوات الله وسلامه عليه (السيوطي عن البخاري).

• آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة: الراضي بالله، وفي أيامه ضعفت الخلافة العباسية.

• آخر من قتله الحجاج بن يوسف: سعيد بن جبير التابعي الزاهد رحمة الله عليه، استشهد على نطع الحجاج، دعا عليه بقوله: اللهم لا تسلطه على أحد من بعدي يقتله، فما عاش الحجاج بعد إلا خمس عشرة ليلة.

٦٧ - لم يرد في فضل العقل حديث صحيح

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البُستي:

لست أحفظ عن النبي ﷺ خبراً صحيحاً في العقل، لأن الذين رووا الأحاديث في فضل العقل لست ممن أحتج بأخبارهم، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها**»، وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق، وكراهة سفسافها، هو نفس العقل.

٦٨ - درجات العقل والدهاء والجهل

ثم قال:

والعقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ، فإذا كان في أول درجته يسمى أديباً، ثم أريباً، ثم لبيباً، ثم عاقلاً.

كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قيل له: شيطان، فإذا عتا في الطغيان قيل: مارد، فإذا زاد على ذلك قيل: عبقري، فإذا جمع إلى خبثه شدة شر، قيل: عفريت.

وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته: المائق، ثم الرقيع، ثم الأنوَك، ثم الأحمق.

٦٩ ـ الجواني والبراني

في «لسان العرب»:

وفي حديث سليمان: من صلح جَوَّانيُّه أصلح الله برَّانيَّه.

قلت: فالبرَّاني والجوَّاني من العامية الفصحى، إلا أن العامة تضم الجيم.

٧٠ ـ غليان القلوب

قال مالك بن دينار:

إن القلب إذا لم يكن فيه حزن، خرب كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن، وإن قلوب الأبرار تغلي بأعمال البر وإن قلوب الفجّار تغلي بأعمال الفجور، والله يرى همومكم فانظروا ما همومكم رحمكم الله.

٧١ ـ علامة الحمق

قال محمد بن حبيب النيسابوري:

تقول العرب: فلان من فرط نَطاتِهِ لا يعرف قَطاتَه من لطاته.

أقول: هو في «مجمع الأمثال» للميداني، والثطاة (ويقال: النطاة والرطاة) هي الحمق، والقطاة: مقعد الرديف من الفرس، واللطاة الجبهة، وهذا مثل يضرب للأحمق، أي: إنه لحمقه لا يعرف مقدمه من مؤخره.

٧٢ ـ ما أحسن وقع السيوف على الأنوف

قال الصفدي في «الوافي بالوَفَيات»:

الأمير بدر الدين الهكاري، استشهد على الطور؛ وأبلى ذلك اليوم بلاءً حسناً، وكانت له المواقف المشهورة في قتال الفرنج، وكان من أكابر «المعظم» يصدر عن رأيه ويثق به لصلاحه، وكان سمحاً لطيفاً ديناً ورعاً باراً بأهله وبالفقراء والمساكين، كثير الصدقات، بنى بالقدس مدرسة للشافعية ووقف عليها والأوقاف، وبنى مسجداً قريباً من الخليل عليه السلام عند يونس عليه السلام على قارعة الطريق، وكان يتمنى الشهادة دائماً ويقول: «ما أحسن وقع سيوف الكفار على أنفي ووجهي!»، دفن بالقدس سنة أربع عشرة وستمائة.

٧٣ ـ الحرص على العلم

قال أبو بكر الخطيب في «تقييد العلم»:

قال المبرد: نظر أعرابي إلى رجل وهو لا يسمع شيئاً إلا كتبه فقال: ما تترك نُقارة إلا انتقرتها، ولا نُماصة إلا انتمصتها، وإنك لمَلْقَفَةُ الكلمة الشرود.

٧٤ ـ مجالسة الصحابة والتابعين

وقال الخطيب أيضاً بسنده إلى عبد الله بن المبارك:

قلنا لابن المبارك: إذا صليت معنا لماذا لا تجلس إلينا؟ قال: أذهب فأجلس مع التابعين والصحابة! قلنا: فأين التابعون والصحابة؟ قال: اذهب فأنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تجلسون تغتابون الناس، فإذا كان سنة مائتين.. فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله تعالى، فر من الناس كفرارك من الأسد، وتمسك بدينك يسلم لك لحمك ودمك.

قلت: فإذا كان سنة ١٣٨٠ فماذا؟ ولكن.. لا.. إن مجالسة الناس للتعليم والإرشاد أقرب إلى الله تعالى.

٧٥ ـ اكتب واحفظ وحدِّث

كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول: اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدِّث بأحسن ما تحفظ!

٧٦ ـ استعارة الكتب

جاء رجل إلى رجل يستعير منه كتاباً فأعاره وقال له: لا تكن في حبسك (الكتاب) كصاحب القربة!، قال: لا، ولا تكن في ارتجاعك (الكتاب) كصاحب المصباح، قال: لا..

وكان من حديث هذين أن رجلاً استعار من رجل قربة على أن يستقي فيها مرة واحدة ثم يردها، فاستقى فيها سنة ثم ردها إليه متخرقة.

وأما الآخر فإن رجلاً ضافه ضيف من النهار فاستعار من جار له مصباحاً ليسرجه لضيفه في الليل، فلما كان بعد ساعة أتاه وطالبه بردِّه، فقال له: أعرتني مصباحاً لليل أو للنهار؟ قال: لليل، قال: فما دخل الليل!

٧٧ ـ دقاقة الأعناق

كان العرب يسمون السبعين عاماً دقّاقة الأعناق! ولما دخل المنصور في سن الثالثة والستين قال: هذه تسميها العرب: القاتلة والحاصدة.

٧٨ ـ لا ينفع

قال الحافظ ابن حبان في «روضة العقلاء»:

لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق، ولا الجمال بغير حلاوة، ولا السرور بغير أمن، ولا العقل بغير ورع، ولا الحفظ بغير عمل؛ وكما أن السرور تبع للأمن، والقرابة تبع للمودة؛ كذلك المروءات كلها تبع للعقل.

٧٩ ـ بشرط أن لا يعلم أهل الجنة

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي:

خرجت حاجّاً فمللت المحمل، فنزلت أساير القُطُرات[1]، فأتانا أعرابي فقال لي: يا فتى! لمن الجِمال بما

(١) القطار من الإبل: قطعة منها يلي بعضها بعضاً على نسق واحد، جمع: قطر، وقطرات.

عليها؟ قلت: لرجل من باهلة. قال الأعرابي: يا لله! أن يعطيَ الله باهلياً كل ما أرى. قال سعيد: فأعجبني ازدراؤه بهم؛ ومعي صرة فيها مائة دينار فرميت بها إليه؛ فقال: جزاك الله خيراً، وافقت مني حاجة. فقلت: يا أعرابي! أيسرك أن تكون الجِمال بما عليها لك وأنت من باهلة؟ قال: لا، قلت: أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي؟ قال: بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة! فقلت: يا أعرابي الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة، فرمى الأعرابي بالصرة إليَّ، فقلت: سبحان الله! ذكرت أنها وافقت منك حاجة؛ قال: ما يسرني أن ألقى الله ولباهلي عندي يد!..

قال سعيد: فحدثت المأمون بهذا؛ فجعل يتعجب ويقول: ويحك يا سعيد؛ ما كان أصبرك عليه!

٨٠ ـ يتشممون الأماني

الحصري القيرواني في «جمع الجواهر»:

قال ابن أبي عتيق لامرأته:

تمنيت أن يُهدى إلينا مسلوخ (أي: شاة سلخ جلدها) فنتخذ من الطعام لون كذا، ولون كذا؛ فسمعته جارةٌ له، فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته؛ فانتظرت إلى وقت الطعام؛ ثم جاءت فقرعت الباب؛ وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها؛ فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الأماني.

٨١ ـ من بركة العلم

قال القرطبي في «تفسيره»:

فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فبقي من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال، حتى يضيفه إلى من خرّجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإِسلام.

٨٢ ـ المأدُبة والمأدَبة

وقال أيضاً:

قال أبو عبيد في غريبه (غريب القرآن) عن عبد الله (بن مسعود): إن هذا القرآن مأدبة الله ﷻ، فمن دخل فيه فهو آمن.

قال: وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع (طعام) صنعه الله ﷻ للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقال: مأدُبة ومأدَبة، فمن قال: مأدُبة، أراد الصنيع يصنعه الإِنسان فيدعو إليه الناس، ومن قال: مأدَبة، فإنه يذهب به إلى الأدب يجعله مفعلة من الأدب، ويحتج بحديثه الآخر: «إن هذا القرآن مأدَبة الله ﷻ فتعلموا من مأدَبته»، وكان «الأحمر» يجعلها لغتين بمعنى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره، والتفسير الأول أعجب إليّ.

٨٣ ـ لماذا وضع علم النحو

وقال أيضاً:

وعن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرأ مما أنزل الله على رسوله محمد ﷺ؟ قال: فأقرأه رجل سورة (براءة)، فقرأ: أن الله بريء من المشركين ورسولِهِ (بالجر)، فقال الأعرابي: أوَ قد بريء الله من رسوله؟ فإن يكن الله قد بريء من رسوله فأنا أبرأ منه! فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال له: يا أعرابي! أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقصَّ عليه الأعرابي القصة، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي! قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن الله بريء من المشركين ورسولَه (بالنصب)[1]، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه، فأمر عمر ألَّا يُقرىء الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو. اهـ.

قلت: والمشهور أن أبا الأسود وضع النحو بإشارة من علي رضي الله عنه.

٨٤ ـ بين أب مريض وابنه النحوي

أبو إسحاق الحصري القيرواني في «جمع الجواهر»:

كان رجل من التجار له ولد يتقعر في كلامه ويستعمل

---

(١) قرأ بنصب (رسولَه) يعقوب الحضرمي والحسن البصري، وبقية القرّاء العشرة قرؤوا بالرفع ﴿وَرَسُولُهُ﴾ كما في المصحف الشريف [المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني ص٢٢٥] (الناشر).

الغريب، فجفاه أبوه استثقالاً له وتبرماً به ومما كان يأتي به، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت، فقال: أشتهي أن أرى وُلدي، فأحضروهم بين يديه، وأُخِّرَ هذا ثم أُخِّر حتى لم يبقَ سواه، فقالوا له: ندعو لك بأخينا فلان؟ فقال: هو والله يقتلني بكلامه، فقالوا: قد ضمن ألَّا يتكلم بشيء تكرهه، فأذن له، فلما دخل قال: السلام عليك يا أبت! قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وإن شئتَ قل: أشهد أنَّ لا إله إلا الله، فقد قال الفراء: كلاهما جائز، والأولى أحب إلى سيبويه! والله يا أبتي ما شغلني غير أبي علي، فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس (أي: قدم له الهريسة والعدس) وأرزز وأوزز، وسكبج وسبج، وزربج وطهبج، وأبصل وأمصر، ودجدج وافلوذج ولوذج!..

فصاح أبوه العليل: السلاح! السلاح! صيحوا لي بجارنا الشماس لأوصيه أن يدفنني مع النصارى وأستريح من كلام هذا البندُق!..

٨٥ ـ جنية تتكلم الهندية

وفيه أيضاً:

هاج بأبي علقمة النحوي مِرار (المِرة: مزاج من أمزجة البدن) فسقط، فأقبل قوم يعضون إبهامه ويؤذِّنون في أذنه، فقام من غمرات غشيته، فقال: ما لكم تتكأكؤون عليَّ (تتجمعون) كتكأكئكم على ذي جِنَّة؟ افرنقعوا عني. فقال بعضهم: اتركوه! فإن جِنيَّته تتكلم بالهندية!..

٨٦ ـ تعلمتم العبرية!

ويشبه الحكاية السابقة ما سمعته بعد رجوعنا من معركة فلسطين عام ١٩٤٨م، فقد كنا التقينا هناك ببعض المجاهدين من إخواننا العراقيين، وكان بعض ممن معنا لم يسمع من قبل عراقياً يتكلم بلهجته؛ فكان يستغرب كلماتهم ولهجتهم، وذات يوم أراد أن يقلد اللهجة العراقية مع بعض من كان معه من المجاهدين السوريين، فقال له: «ماكو شَكَر»؟ (ألا يوجد سكر؟) فأجابه الثاني «أكو شَكَر هواي» (يوجد سكر كثير) وكان بعض السوريين يسمع كلامهما فلم يفهم مما قالا كلمة واحدة، فقال لهما جاداً: لقد استفدتم من معركة فلسطين أن تعلمتم كيف تتكلمون باللغة العبرية!.. وهو يظن فعلاً أنهما كانا يتكلمان بالعبرية!..

٨٧ ـ لماذا لا يشمل عدله الجميع؟

القيرواني في «الجواهر»:

شكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم، فقال: كذبتم عليه، فقد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم، فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين! فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك؟ قد عدل فينا خمس سنين، فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع، وتريح معنا الكل، فضحك منهم وصرفه عنهم.

٨٨ ـ أكثر الخلفاء خلافة

ابن تغري بردى في «المنهل الصافي»:

قال في ترجمة أمير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي (٥٥٢ ـ ٦٢٢هـ):

أقام في الخلافة مدة طويلة نحواً من سبع وأربعين سنة، ولم نعلم أحداً من خلفاء بني العباس أقام هذه المدة الطويلة غيره، غير أن المستنصر العبيدي أقام في الخلافة نحواً من ستين سنة، وأيضاً أبو الحكم عبد الرحمٰن الأندلسي بقي نحواً من خمسين سنة. اهـ.

٨٩ ـ لذة الشيوخ من العلماء

الخطيب في «تقييد العلم»:

قال المأمون لعبد الله بن الحسن العلوي: ما بقي من لذتك يا أبا علي؟ قال: اللعب مع الصغير من ولدي، ومحادثة الموتى ـ يعني الكتب ـ.

٩٠ ـ لا تكن كصاحب السلَّم

وفيه أيضاً:

أعار رجل كتاباً وقال له: لا تكن كصاحب السلّم، قال: وما معنى ذلك؟ قال: جاء رجل إلى رجل يستعير منه سلَّماً، فقال له: ما أطيق حمله! قال: سبحان الله! وهل أكلفك حمله؟ أنا أَحمله. قال: صدقت أنت تحمله ولا ترده، فأحتاج إلى أن أجيء وأحمله!

٩١ ـ الجمع بين الجد واللهو المباح

البخاري في «الأدب المفرد»:

كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون (يترامون) بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال!

٩٢ ـ من لم يصلحه الخير أصلحه الشر

البخاري في «الأدب المفرد»:

عن عبد الرحمٰن بن زياد بن أنعم الإفريقي قال: حدثني أبي أنهم كانوا غزاة في البحر زمن معاوية، فانضم مركبنا إلى مركب أبي أيوب الأنصاري، فلما حضر غداؤنا أرسلنا إليه، فأتانا فقال: دعوتموني وأنا صائم فلم يكن لي بد من أن أجيبكم، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن للمسلم على أخيه ست خصال واجبة، إن ترك منها شيئاً فقد ترك حقاً واجباً عليه لأخيه: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويحضره إذا مات، وينصحه إذا استنصحه**».

قال: وكان معنا رجل مزَّاح يقول لرجل أصاب طعامنا جزاك الله خيراً وبراً، فغضب عليه حين أكثر عليه، فقال لأبي أيوب: ما ترى في رجل إذا قلت له: جزاك الله خيراً وبراً غضب وشتمني؟ فقال أبو أيوب: إنا كنا نقول: من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، فاقلب عليه، فقال له حين أتاه: جزاك الله شراً وعراً، فضحك ورضي وقال: ما تدع مزاحك؟ فقال الرجل: جزى الله أبا أيوب الأنصاري خيراً.

٩٣ ـ فوائد لغوية

📖 **السرخسي في «أصوله»:**

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الطائفة: تطلق على الواحد فصاعداً، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ ونقل في سبب النزول أنهما كانا رجلين.

فإن قيل: هذا بعيد فإن تاء التأنيث لا تلحق بنعت الواحد من الذكور، قلنا: هذا عند ذكر الرجل، فأما عند ذكر النعت يصلح للفرد من الذكور والإناث، فللعرب عادة في إلحاق هاء التأنيث به، وكتاب الله يشهد به، قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾، والمراد الواحد لا من الإناث خاصة، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾.

٩٤ ـ الطواعين المشهورة في الإسلام

📖 **قال أبو الحسن المدائني كما نقل النووي في «شرح مسلم»:**

كانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام خمسة:

١ ـ طاعون شيرويه بالمدائن على عهد النبي ﷺ سنة ست من الهجرة.

٢ ـ طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان بالشام، مات فيه خمسة وعشرون ألفاً، وكان سنة ثماني عشرة.

٣ ـ طاعون الجارف في زمن ابن الزبير في شوال سنة تسع وستين هلك في ثلاثة أيام، كل يوم سبعون ألفاً، مات فيه لأنس بن مالك رضي الله عنه ثلاثة وثمانون ابناً، ويقال: ثلاثة وسبعون ابناً، ومات لعبد الرحمٰن ابن أبي بكرة أربعون ابناً.

٤ ـ طاعون الفتيات، لأنه بدأ بالعذارى، في شوال سنة سبع وثمانين بالبصرة وواسط والشام والكوفة.

٥ ـ طاعون في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة، واشتد في شهر رمضان فكان يحصى في سكة المربد في كل يوم ألف جنازة أياماً، ثم خف في شوال.

٩٥ ـ حدة العلماء وتقتيرهم

ابن عبد البر في «جامع بيان العلم»:

قالت امرأة لإبراهيم النخعي: يا أبا عمران! أنتم معشر العلماء أحدّ الناس وألْوَم[١] الناس؟ فقال لها: أما ما ذكرت من الحِدة، فإن العلم معنا والجهل مع مخالفينا، وهم يأبون إلا دفع علمنا بجهلهم، فمن ذا يطيق الصبر على هذا؟

وأما اللوم ـ كذا بالأصل ولعلها التلوم أو اللومة ـ فأنتم تعلمون تعذر الدرهم الحلال وإنا لا نبتغي الدرهم إلا حلالاً، فإذا صار إلينا لم نخرجه إلا في وجهه الذي لا بد منه!.

---

(١) يقال في اللغة: لي فيه لومة، أي: تلوم، والتلوم: هو التريث والانتظار، تعني المرأة أن العلماء أشد الناس تريثاً في الإنفاق، تعرض في ذلك بتقتيرهم وإمساكهم.

٩٦ - بين بهلول والرشيد

الحصري القيرواني في «جمع الجواهر»:

لما دخل الرشيد إلى الكوفة خرج الناس للنظر إليه فناداه بهلول ثلاثاً، فقال: من المجترىء علينا؟ قيل: بهلول المجنون، فرفع السجافة (الستر) وقال: بهلول؟ قال: لبيك أمير المؤمنين، روينا عن أيمن بن نائل قال: حدثنا قدامة عن ابن عبد الله العامري قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد، ولا قيل بين يديه: إليك إليك! وتواضعك في سفرك هذا خير لك من تجبرك وتكبرك، قال: فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على الأرض، وقال: أحسنت يا بهلول، زدنا يرحمك الله!

قال: وروي عن النبي ﷺ قال: أيما رجل آتاه الله مالاً وجمالاً وسلطاناً، فأنفق في ماله، وعفّ في جماله، وعدل في سلطانه، كُتب في خالص ديوان الله من الأبرار، قال: أحسنت يا بهلول، وأمر له بجائزة سنية، فقال: يا أمير المؤمنين ردَّها على من أخذتها منه فلا حاجة لي بها، فقال: يا بهلول! إن كان عليك دين قضيناه، قال: يا أمير المؤمنين! هؤلاء أهل الرأي بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين لا يجوز!

قال: فنجري عليك ما يكفيك، فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا أمير المؤمنين! أنا وأنت في عيال الله، ومحال أن يذكرك وينساني!..

فأرسل الرشيد السجف وسار...

وقيل: إن بهلولاً كان يستعمل الجنون ستراً على نفسه.

٩٧ ـ الزهد وأكل الطيبات

الأبشيهي في «المستطرف»:

سئل الفضيل بن عياض عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص[١] ويزهد. فقال: ما للزهد وأكل الخبيص؟ ليتك تأكل وتتقي الله، إن الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام، انظر كيف برك بوالديك، وصلتك للرحم، وكيف عطفك على الجار، وكيف رحمتك للمسلمين، وكيف كظمك للغيظ، وكيف عطفك عمن ظلمك، وكيف إحسانك إلى من أساء إليك، وكيف صبرك واحتمالك للأذى، أنت إلى إحكام هذا أحوج من ترك الخبيص.

٩٨ ـ الرحلة في طلب العلم

القرطبي في «تفسيره»:

قال الشعبي: رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهّز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها.

٩٩ ـ الصبر على كشف حقائق العلم

القرطبي أيضاً:

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى

---

(١) الخبيص: طعام يصنع من التمر والسمن كان يأكله الأغنياء وعلية القوم.

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته، قال ابن عبد البر: هو ضمرة بن حبيب.

١٠٠ ـ صفة المسلم الحق

البخاري في «الأدب المفرد»:

لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون.

١٠١ ـ هواية جمع الخطوط

ابن النديم في «الفهرست»:

قال محمد بن إسحاق: كان بمدينة الحديثة رجل يقال له: محمد بن الحسين، ويعرف بابن أبي بعرة، جمّاعة للكتب، له خزانة لم أرَ لأحد مثلها كثرة، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فلقيت هذا الرجل دفعات، فأنس بي، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده خائفاً من بني حمدان؛ فأخرج لي قمطرياً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل جلود: فلجان وصكاك، وقرطاس مصر، وورق صيني، وورق تهامي، وجلود أدم، وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم، وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب، وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم، وذلك أن رجلاً من أهل الكوفة ـ ذهب عني اسمه ـ

كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة، وأنه لما حضرته الوفاة خصَّه بذلك لصداقة كانت بينهما وإفضال من محمد بن الحسين عليه، ومجانسة المذهب، فإنه كان شيعياً. فرأيتها وقلبتها، فرأيت عجباً، إلا أن الزمن قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها وأحرفها، وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً إثر واحد، فذكر فيه خط من هو؛ وتحت كل توقيع آخر: خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض؛ ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن أبي الهياج صاحب علي رضي الله عنه، ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن حاني رحمه الله؛ ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين، ورأيت عنده أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة، مثل أبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني، والأصمعي، وابن الأعرابي، وسيبويه، والفراء، والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث؛ مثل سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، والأوزاعي وغيرهم، ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين، ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه، بخط يحيى بن معمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق: هذا خط علّان النحوي، وتحته: هذا خط النضر بن شميل.

ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما

سمعنا له خبراً، ولا رأيت منه غير المصحف، هذا على كثرة بحثي عنه.

قلت: هذا نص تاريخي ينضم إلى مئات الأدلة التي تثبت أن الحضارة الإسلامية بنت قاعدة علمها الحضاري على التثبت والتحقيق في جميع مختلف الميادين العلمية التي تكوَّن منها بنياننا العلمي العظيم، وبذلك انفردت حضارتنا من بين جميع الحضارات الماضية بالتثبت العلمي والبعد عن تلقف الخرافة والأكاذيب، وسر هذا هو أن الإسلام ذاته دين لا يقبل إلا الحق واليقين؛ ومن هنا نشأت عندنا الثقة التي لا يداخلها الشك بصحة مؤلفاتنا العلمية ونسبتها إلى مؤلفيها.

١٠٢ ـ الخط ثلاثة أقسام

الزركشي في «البرهان»:

الخط ثلاثة أقسام:

١ ـ خط يتبع به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف.

٢ ـ وخط جرى على ما أثبته اللفظ وإسقاط ما حذفه، وهو خط العروض، فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل.

٣ ـ وخط جرى على العادة المعروفة، أي: القواعد الموضوعة للخط العادي، وهو الذي يتكلم عليه النحوي.

١٠٣ ـ محدث يحبط مؤامرة شعوبي

الفرغاني في «الذخائر والتحف»:

أصاب المأمون بخراسان كانوناً من ذهب مرصعاً

بجوهر كثير؛ قيل: إنه كان ليزدجرد بن شهريار الفارسي لا تعرف قيمته لكثرتها، فقال ذو الرئاستين الفضل بن سهل السرخسي: يا أمير المؤمنين! الرأي أن تجعله في الكعبة يوقد عليه العود والند بالليل والنهار، فقال المأمون: افعل، وأمر بحمله إلى مكة، واتصل الخبر بيزيد بن هارون المحدث، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس وأصحاب الحديث، فيشكر المأمون ويدعو له ويخبر بخبر الكانون، ففعل المستملي ذلك، فلما سمع يزيد كلامه صاح وانتهره وقال له: ويلك! اسكت! إن أمير المؤمنين أجلّ قدراً وأعلم بالله ﷻ من أن يجعل بيته بيت نار! فكتب أصحاب البريد إلى المأمون؛ فأمر بكسر الكانون وبطل ما دبره ذو الرئاستين.

١٠٤ ـ حتى يمسخ ابن أبي ليلى حماراً!

الحصري القيرواني في «جمع الجواهر»:

أتى رجل نخاساً (تاجر الدواب) فقال: اشترِ لي حماراً ليس بالصغير المحتقر، ولا الكبير المشتهر؛ إن أشبعته شكر، وإن أجعته صبر، وإن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصدم بي السواري[١]، ولا يدخل بي تحت البواري[٢]، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام.

---

(١) جمع سارية: وهي الأسطوانة التي يعتمد عليها السقف.

(٢) جمع بورية: وهي الحصير المنسوج من القصب.

فقال له النخاس: أنظرني (أمهلني) قليلاً، فإن مسخ الله ابن أبي ليلى القاضي حماراً اشتريته لك!..

١٠٥ ـ جائزة «تعب الأسنان»

أبو الفضل البيهقي في «تاريخه»:

وكانوا قد أعدوا مأدبة فاخرة فأكلوا وقدَّم علي للرسول مالاً طائلاً لقاء «تعب الأسنان» مما صار له وقع حسن لدى السلطان.

علق ناشر الكتاب على ذلك بقوله: كانت هذه العادة متبعة آنذاك (في أيام الدولة الغزنوية) ولم تزل معروفة في إيران للآن، حيث يعطون للضيف مالاً مكافأة له على ما تجشمت أسنانه من المشقة أثناء الأكل!

١٠٦ ـ ولو حشي بالتقوى والمغفرة

الأبشيهي في «المستطرف»:

قيل لإنسان: ما تقول في الباذنجان؟ ـ وكان الرجل يكره أكله ـ فقال: أذناب المحاجم، وبطون العقارب، وبذور الزقّوم! قيل له: إنه يحشى باللحم فيكون طيباً، فقال: لو حُشي بالتقوى والمغفرة ما صلح!

١٠٧ ـ ثلاثيات

في الحديث الصحيح:

«**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» (رواه البخاري).

وقال إبراهيم الخليل عليه السلام:

ثلاثة أشياء أحبها لنفسي ولمن أحب رشده: أحب أن أكون بيني وبين ربي من أفضل عباده؛ وأكون بيني وبين الخليقة من أوسطهم، وبيني وبين نفسي من شرهم.

وقال عمرو بن شبة:

ثلاثة من أعجب الأشياء اقتران بعضها ببعض: الحرفة للأدباء، وتباعد المال عن الظرفاء، وإقبال الدنيا على النَّوكى (الحمقى).

١٠٨ ـ لغويات

في كتب اللغة:

ـ يقال: فرس عُري، ورجل عريان. ولا يقال: رجل عُري.

ـ «يا هنتاه» بمعنى «يا هذه» لفظة تختص بالنداء، ويقال في التثنية: هنتان، وفي الجمع «هنوات» و «هنات»، وفي المذكر: هنٌ، وهنان، وهنون...

ـ أول السحاب «نشيء»، فإذا انسحب في الهواء قيل له: سحاب؛ فإذا تغيرت به السماء قيل له: غمام؛ فإن سمع صوت رعده من بعيد قيل له: عثر، فإذا أظل قيل: عارض، فإذا كان بحيث إذا رؤي ظن أن فيه مطراً قيل له: مخيِّلةً.

١٠٩ ـ أصول التحقيق الجنائي اليوم كانت كذلك في صدر الإسلام

📖 **ابن قيم الجوزية في «الطرق الحكمية»:**

وقال أصبغ بن نباتة: إن شاباً شكا إلى علي رضي الله عنه نفراً فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك شيئاً، وكان معه مال كثير؛ وترافعنا إلى شريح فاستحلفهم وخلَّى سبيلهم، فدعا علي رضي الله عنه بالشرط (الشرطة) فوكل بكل رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكّنوا بعضهم أن يدنوا من بعض ولا يمكنوا أحداً يكلمهم، ودعا كاتبه ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمن غسله ودفنه، ومن تولى الصلاة عليه وأين دُفن؟ ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبّر علي وكبّر الحاضرون، والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيَّب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برد الأول، فقال له: يا عدو الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبَّر علي وكبر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم (المتهمون) الحال لم يشكوا أن

صاحبهم قد أقرّ عليهم، فدعا آخر منهم فهدّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهاً لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة، واستدعي الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم؛ فأغرمهم المال وأقاد منهم بالقتيل (حكم عليهم بالإعدام).

١١٠ ـ لبس البياض في الأحزان

أبو الفضل البيهقي في «تاريخه»:

لما توفي السلطان محمود الغزنوي جلس ابنه الأمير (السلطان فيما بعد) مسعود للناس مرتدياً قباءً ورداءً، وعمامة بيضاء كلها، وحضر كل الأعيان والمقدمين وأصناف الجند إلى الخدمة مرتدين البياض، وكان الجزع شاملاً، واستمر العزاء السلطاني على الرسم ثلاثة أيام.

١١١ ـ طبيعتهن في كل زمان

الفرغاني في «الذخائر والتحف»:

افتصدت الخيزران في يوم من أيام خلافة المهدي، فأهدى إليها ألف وصيفة، مع كل وصيفة منهن جام ذهب في وسطه ألف درهم، وألف وصيف، مع كل وصيف جام فضة فيه ألف دينار، ثم دخل إليها ليأكل طعامه عندها، فما انقضى المجلس بينهما حتى قالت له في بعض ما جرى: وأي خير رأيت منك؟

١١٢ ـ أي الرأسين أثقل؟

الحصري في «جمع الجواهر»:

أتى رجل إلى أبي محمد النوبهاري فقال له: وضعت رأسي في حجر امرأتي، فقالت: ما أثقل رأسك! فقلت: أنت طالق إن كان رأسي أثقل من رأسك! فقال له أبو محمد: تطلق عليك امرأتك، قيل له: ولِمَ؟ قال: لأن القصابين أجمعوا على أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة!

١١٣ ـ كم عدد علوم القرآن، وما هي أم هذه العلوم؟

الزركشي في «البرهان»:

ذكر القاضي عياض في كتاب «قانون التأويل» أن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علم (٧٧٤٥٠) على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، قال بعض السلف: إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع!...

قال: وأم علوم القرآن ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام.

فالتوحيد، تدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والتذكير؛ ومنه الوعد والوعيد، والجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن.

والأحكام، ومنها التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب.

فالأول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فيه التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال.

والثاني: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

والثالث: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾.

١١٤ ـ حمل البقولات والخضر مزروعة على الجمال

أبو بكر الدواداري في «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر»:

قال وهو يتحدث عن حجة «الآدُر الشريفة» وكيف حملت في قافلتها الخضروات مزروعة في مباقل على الجمال:

إن «جميلة بنت ناصر الدولة» إحدى بنات ملوك بني بويه لما حجت كانت أول من استنت محامل البقولات مزروعة على أظهر الجمال مع عدة من أصناف الرياحين.

١١٥ ـ أصل كلمة «آغا»

الزركلي في «أعلامه»:

آقا ـ بالمد ـ فارسية معناها: السيد، يكتبونها بالقاف وينطقونها بالغين «آغا»، وربما قالوا: «أقا» بغير مد.

١١٦ ـ برقية من نار

وفيه أيضاً في ترجمة ابن الأغلب (٢٣٧ ـ ٢٨٩هـ) صاحب أفريقيا:

قال ابن خلدون: بنى الحصون و «المحارس» بسواحل

البحر، حتى كانت النار توقد في ساحل «سبتة» إنذاراً بالعدو، فيصل إيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة.

١١٧ ـ دين العقل والفطرة

ابن القيم في «مدارج السالكين»:

قيل لبعض الأعراب ـ وقد أسلم لما عرف دعوته ﷺ ـ: عن أي شيء أسلمت؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله ﷺ؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به، ولا أحل شيئاً فقال العقل: ليته حرَّمه، ولا حرَّم شيئاً فقال العقل: ليته أباحه.

١١٨ ـ الصراط المستقيم

الأبشيهي في «المستطرف»:

أتي أعرابي بفالوذج (حلواء تصنع من الدقيق والعسل) فقيل له: هل تعرف هذا؟ فقال: هذا ـ وحياتك ـ الصراط المستقيم!

١١٩ ـ ماذا تذم منه؟

وفيه أيضاً:

سُمع رجل يذم الزبد (الزبدة) فقيل له: ما الذي ذممت منه؟ سواد لونه؟ أم بشاعة طعمه؟ أم صعوبة مدخله؟ أم خشونة ملمسه؟

١٢٠ ـ من مجازات القرآن

الشريف الرضي في «تلخيص البيان»:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وهذه استعارة؛ وللعلماء في ذلك أقوال:

فمنهم من قال: المراد بذلك أهل السموات والأرض والجبال، فحذف لفظ الأهل اختصاراً لدلالة الكلام عليه وذلك كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي: أهلها ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: ركبانها، وكقولهم «صلى المسجد» فلما حذف الأهل أجرى الفعل على لفظ السموات والأرض والجبال فقيل: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي: من أهل القرية، فلما حذف الأهل أجرى الفعل على القرية، فقيل: كانت تعمل الخبائث، رداً على أهل القرية، وهذا موضع حسن.

وقال بعضهم: المراد بذلك تفخيم شأن الأمانة؛ وأن منزلتها منزلة ما لو عرض على هذه الأشياء المذكورة مع عظمها وكانت تعلم ما فيها لأبت أن تحملها وأشفقت كل الإشفاق منها، إلا أن هذا الكلام خُرِّج مخرج الواقع لأنه أبلغ من المقدر.

وقال بعضهم: عرض الشيء على الشيء ومعارضته سواء، والمعارضة والمقابلة والمقايسة والموازنة بمعنى واحد،

فأخبر الله عن عظم أمر الأمانة وثقلها، وأنها إذا قيست بالسموات والأرض والجبال، ووزنت بها؛ رجحت عليها ولم تطق حملها ضعفاً عنها، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، ومن كلامهم: فلان يأبى الضيم إذا كان لا يحتمله، فالإباء هنا هو ألا يقام بحمل الشيء، والإشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء.

١٢١ ـ فضل الكتابة على الحفظ

الخطيب في «تقييد العلم»:

* قال ذو الرمة لعيسى بن عمر: اكتب شعري، فالكتاب أعجب إليّ من الحفظ، إن الأعرابي ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثم ينشده الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام.

١٢٢ ـ تلد خمسة توائم خمس مرات

في «العذب الفائض»:

وحكي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: رأيت في بعض البوادي شيخاً ذا هيبة فجئت لأستفيد منه، فإذا بخمسة كهول قد جاؤوا فقبّلوا رأسه ودخلوا الخباء، ثم خمسة شبان فعملوا كذلك، ثم خمسة منحطين (أي: أصغر منهم) ثم خمسة أحداث، فسألته عنهم فقال: كلهم أولادي، وكل خمسة منهم في بطن وأمهم واحدة، فيجيئون كل يوم ويسلمون علي ويزورونها، ولي منها خمسة أخر في المهد!

١٢٣ ـ مدح السلطان في خطبة الجمعة

السيد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المنار»:

وقد اتفق أن الملك الظاهر بيبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة، أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان، وأطنب فيه، فلما فرغ من صلاته أنكر عليه الملك الظاهر، وقال: ما لهذا الخطيب يقول في خطبته: السلطان، السلطان، ليس شرط الخطبة هكذا، وأمر به أن يُضرب بالمقارع! فتشفَّع له الحاضرون، هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه..

١٢٤ ـ الصامت والناطق

الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»:

المال: هو كل ما يتمول، وعن المفضل الضبي: المال عند العرب: الصامت والناطق، فالصامت: الذهب والفضة والجوهر. والناطق: البعير والبقرة والشاة، فإذا قلت عن حضري: كثر ماله، فهو الصامت، وإذا قلت عن بدوي: كثر ماله، فالمراد الناطق.

١٢٥ ـ تولية الظالمين

محمد بن يحيى التادفي في «قلائد الجواهر»:

لما ولى المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين القضاء أبا الوفاء يحيى بن سعيد بن يحيى المظفر المشهور بابن المزحم الظالم، قال له الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو يخطب الجمعة: ولَّيتَ

على المسلمين أظلم الظالمين! ما جوابك غداً عند رب العالمين أرحم الراحمين؟ فارتعد الخليفة وبكى وعزل القاضي المذكور لوقته.

١٢٦ ـ لا تفريط في النوم

الإمام أحمد في «المسند»:

في حديث أبي قتادة حين نام النبي ﷺ والصحابة عن صلاة الصبح، فقال بعضهم لبعض: فرَّطنا في صلاتنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون؟ إن كان أمر دنياكم فشأنكم وإن كان أمر دينكم فإليَّ**»، قلنا: يا رسول الله فرطنا في صلاتنا، فقال: «**لا تفريط في النوم، إنما التفريط في اليقظة**».

١٢٧ ـ أعمار الزوجات

شمس الأئمة السرخسي في «مبسوطه»:

سئل أبو يوسف رحمه الله (صاحب أبي حنيفة) عن بنات العشر من النساء فقال: لَهو اللاهين، فسئل عن بنات العشرين فقال: لذة المعانقين، فسئل عن بنات الثلاثين فقال: تنمو وتلين، فسئل عن بنات الأربعين فقال: ذات مال وبنين، فسئل عن بنات الخمسين فقال: عجوز في الغابرين، فسئل عن بنات الستين فقال: لعنة اللاعنين!..

١٢٨ ـ يصاب بالماليخوليا فيقتل أصحابه ونساءه وأبناءه

الزركلي في «أعلامه» في ترجمة ابن الأغلب صاحب إفريقية:

وأصيب بالماليخوليا (نوع من الجنون) فقتل كثيراً من أصحابه وكتَّابه وحُجّابه ونسائه، وقتل اثنين من أبنائه وثمانية إخوة له، وسائر بناته، فشكاه أهل تونس إلى المعتضد العباسي فعزله سنة ٢٨٩هـ.

١٢٩ ـ يفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه

القرطبي في «تفسيره» عن أبي جعفر الطبري:

سمعت الجرميَّ يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه! قال محمد بن يزيد: وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه (في النحو) تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفسير، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ فيها يصل الطالب إلى مراد الله ﷻ في كتابه وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً.

١٣٠ ـ حشو اللوزينج[1]

ابن خلكان في «وفيات الأعيان»:

قال الشاعر:

---

(١) هو نوع من الحلوى شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز ويحشى بالجوز أو غيره.

ولو جاورَتنا العامَ سمراءُ لم نُبَلْ[1]

علـى جَـدْبِـنـا أن لا يَـصُـوب ربـيـع

لله دره! فما أحلى هذه الحشوة! وهي قوله «على جدبنا» وأهل البيان يسمون هذا النوع: حشو اللوزينج.

١٣١ ـ النساء ذوات اللحى والشوارب

الجاحظ في «الحيوان»:

وقد توجد المرأة ذات لحية، وقد رأيت ذلك، وأكثر ما رأيته في عجائز الدهاقين[2]، وكذلك الغَبَب[3] والشارب، وقد رأيت ذلك أيضاً، وقد ذكر أهل بغداد أنه كانت لابنة من بنات محمد بن راشد الخناق، لحية وافرة، وأنها دخلت مع نساء متنقبات إلى بعض الأعراس لترى العرس وجَلْوة العريس، ففطنت لها امرأة فصاحت: رجل والله، فأقبل الخدم والنساء عليها بالضرب فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن عورتها، فنزعن عنها وقد كادت تموت.

١٣٢ ـ كسنور عبد الله

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

كان يزيد بن منصور يجري لبشار العقيلي وظيفة في كل شهر ثم قطعها عنه فقال:

---

(١) أي: لم نبال.

(٢) الدهقان: رئيس الإقليم، والتاجر أيضاً.

(٣) هو اللحم المتدلي تحت الحنك من الديك والنقر.

أبـا خـالـد مـا زلـت سـابـحَ غَـمـرة
صغيراً فلما شبتَ خيمتَ بالشاطي

جـريـت زمـانـاً سـابـقـاً ثـم لـم تـزل
تأخر حتى جئت تقطو مع القاطي[1]

كـسِـنَّـور عـبـد الله بـيـع بـدرهـم
صـغـيـراً فـلـمـا شـبّ بـيـع بـقـيـراط!

١٣٣ ـ معرفة الرسول ﷺ بلغة العرب

إبراهيم بن محمد البيهقي في «المحاسن والمساوىء»:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أيُدالِك الرجل امرأته بمهرها؟ فأجابه عليه السلام: «**لا، إلا أن يكون مُلْفَجاً**»: فقال له أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! إنما نشأت فيما بيننا ونحن قد سافرنا وأنت مقيم، فنراك تكلّم بكلام لا نعرفه ولا نفهمه، فقال ﷺ: «**إن الله أدّبني وأحسن أدبي، وهذا الرجل كلَّمني بكلامه، فأجبته على حسبه، سألني: أيدالك الرجل امرأته بمهرها؟ أي: يماطلها، فقلت: لا، إلا أن يكون مُلْفجاً؛ أي: معدماً**».

١٣٤ ـ منطق الأقوياء الظالمين

وفيه أيضاً:

كان يوسف بن عمر يتولى العراقَيْن لهشام بن عبد الملك

(١) القاطي: الثقيل المشي، أو الذي يقارب في مشيه.

وكان مذموماً في عمله، حدّث المدائني قال: حدّثني رضيع: كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال: كنت لا أحجب عنه وعن حرمته، فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث، ودعا بخصي أسود يقال له: حُديج؛ فقرب إليه واحدة فقال لها: إني أريد الشخوص، أفأخلفك أم أشخصك معي؟ فقالت: صحبة الأمير أحب إليَّ، ولكني أحسب أن مقامي وتخلفي أعفى وأخف عليَّ، فقال لها: أحببت التخلف للفجور، اضرب يا حديج! فضربها حتى أوجعها، ثم أمره أن يأتيه بأخرى قد رأت ما لقيت صاحبتها، فقال لها: إني أريد الشخوص، أفأخلفك أم أخرجك؟ قالت: ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل يخرجني، فقال لها: أحببت الجماع ما ترين أن يفوتك! اضرب يا حديج! فضربها حتى أوجعها، ثم أمر بالثالثة أن يأتيه بها وقد رأت ما لقيت المقدمتان، فقال لها: أريد الخروج أفأخلفك أم أشخصك؟ قالت: الأمير أعرف أي الأمرين أخف عليه، قال: اختاري لنفسك، قالت: ما عندي لهذا اختيار فليختر الأمير، فقال لها: فرغت أنا الآن من كل شيء ومن كل عمل، ولم يبق عليَّ إلا أن أختار لك! أوجع يا حديج؛ فضربها حتى أوجعها، قال الرجل: وكأنما يضربني من شدة غيظي عليه، فولت الجارية وتبعها الخادم؛ فلما بعدت قالت: الخيرة والله في فراقك، ما تقر والله عين أحد بصحبتك، فلم يفهم يوسف كلامها، فقال: ما تقول يا حديج؟ قال: قالت: كذا وكذا، فقال يوسف: يا ابن الخبيثة من أمرك أن تخبرني؟ يا غلام خذ

السوط من يده وأوجع به رأسه! فما زال يضرب حتى اشتفيت! . . .

١٣٥ ـ الصدق أنجى

الحافظ ابن حبان في «روضة العقلاء»:

كان «ربعي» رجلاً من أشجع، زعم قومه أنه لم يكذب قط، فسعى به ساع إلى الحجاج؛ فقال: ها هنا رجل من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط؛ وإنه يكذب لك اليوم، فإنك ضربت على ابنيه البعث (فرض عليهما الخروج للجهاد) فعصيا وهما في البيت، وكان عقوبة الحجاج للعاصي ضرب السيف، فدعاه الحجاج، فإذا شيخ منحن؛ فقال له: أنت ربعي؟ قال: نعم؛ قال: ما فعل ابناك؟ قال: ها هما ذان في البيت! فحمله وكساه وأوصى به خيراً . .

١٣٦ ـ جواب امرأة جميلة تزوجت قبيحاً

الأبشيهي في «المستطرف»:

قال الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجهاً ولها زوج قبيح؛ فقلت لها: يا هذه أترضين أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا! لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه؛ وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي! أفلا أرضى بما رضي الله به؟!.

١٣٧ ـ من أمثلة التورية في القرآن

السيوطي في «الإتقان»:

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن من التورية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ فإن ﴿كَآفَّةً﴾ ـ في هذه الآية ـ بمعنى «مانع» أي: تكفهم عن الكفر والمعصية؛ والهاء للمبالغة؛ وهذا معنى بعيد؛ والمعنى القريب المتبادر أن المراد «جامعة» بمعنى جميعاً؛ لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد، فكما لا تقول: رأيت جميعاً الناس، لا تقول: رأيت كافةً الناس.

١٣٨ ـ تضيء للناس وهي تحترق

ابن بشكوال في «الصلة» في ترجمة «أبي عمر أحمد بن سعيد الهمداني»:

وكان وسيماً حسن الخلق والخُلُق، وكان إذا حدّث بيَّن، وأصاب القول فيه وشرحه بأدب صحيح، ولسان فصيح، وخاصم يوماً عند صاحب الشرطة والصلاة إبراهيم بن محمد الشرفي، فنكل وعجز عن حجته، فقال له الشرفي: ما أعجب أمرك أبا عمر؟! أنت زكي لغيرك، بكيٌّ (عيي) في أمرك. فقال: كذلك يبين الله آياته للناس، وأنشد متمثلاً:

صرت كأني ذبالة نُصبت

تضيء للناس وهي تحترق

١٣٩ ـ الظلم ثلاث دواوين

ابن القيم في «مدارج السالكين»:

في الحديث الذي روي مرفوعاً وموقوفاً: «الظلم ثلاث دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً وهو الشرك، وديوان لا يترك الله منه شيئاً (أي: يحاسب عليه كله) وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه».

١٤٠ ـ فتوى في مصلحة الشعب

البيهقي في «المحاسن والمساوىء»:

دخل أحمد بن أبي داود على الخليفة الواثق، فقال له الواثق: بالله يا أبا عبد الله إني حنثت في يمين فما كفارتها؟ فقال: مائة ألف دينار! فقال ابن الزيات: والله ما سمعنا بهذا في الكفارات، إنما قال الله ﷻ: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، فقال ابن أبي داود: تلك كفارة مثله (مثل الواثق) في بعد همته وجلالة قدره، أو مثل آبائه، إنما تكون كفارة اليمين على قدر جلال الله من قلب الحالف بها، ولا نعلم أحداً الله جل وعز في قلبه أجل من أمير المؤمنين، فقال الواثق: تُحمل إلى أبي عبد الله يتصدق بها.

١٤١ ـ الخليفة المثمن

الذهبي في «العبر» في حوادث سنة ٢٢٦ هـ:

وفيها توفي الخليفة «المعتصم».. وكان يقال له «المثمَّن» لأنه:

ولد سنة ثمانين ومائة في ثامن شهر فيها.

وهو ثامن الخلفاء من بني العباس.

وفتح ثمان فتوح: عمورية؛ ومدينة بابك، ومدينة الزط، وقلعة الأحزان؛ ومصر؛ وأذربيجان؛ وديار ربعية؛ وأرمينية.

ووقف في خدمته ثمان ملوك: الأفشين؛ والمازيار؛ وبابك؛ وباطس ملك عمورية؛ وعجيف ملك أسباخنج؛ وصول صاحب أسبيجاب؛ وهاشم ناحور ملك طخارستان؛ وكناسة ملك السند؛ فقتل هؤلاء سوى صول، وهاشم.

واستُخلف ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

وخلَّف ثمانية بنين وثماني بنات.

وخلَّف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار (٨ ملايين).

ومن الفضة ثمانية عشر ألف درهم (كذا، ولعلها ثمانية عشر ألف ألف درهم).

ومن الخيول ثمانين ألف فرس.

ومن الجمال والبغال مثل ذلك.

ومن المماليك ثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية.

وبنى ثمانية قصور..

١٤٢ ـ توبة أمير

الذهبي في «العبر» أيضاً في حوادث سنة ٣٢٠ هـ:

وفيها توفي أمير المشرق أبو العباس عبد الله بن طاهر بن

الحسين الخزاعي؛ وله ثمان وأربعون سنة، وكان شجاعاً مهيباً عاقلاً جواداً كريماً، يقال إنه وقَّع مرة على قِصص بصِلات بلغت أربعة آلاف ألف درهم (٤ ملايين) وقد خلف من الدراهم خاصة أربعين ألف ألف درهم، وقد تاب قبل موته، وكسر آلات الملاهي، واستفكّ أسرى بألفي ألف، وتصدّق بأموال.

١٤٣ ـ بين نحوي وطبيب

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

حصلت لأبي علقمة النحوي علة فدخل عليه «أعين» الطبيب يعوده، فقال: ما تجد؟ قال: أكلت من لحوم هذه الجوازل (أفراخ الحمام) فطسئت طسأة (أتخم من الطعام) فأصابني وجع ما بين الوابلة (بطرف الكتف) إلى دأية العنق (فقار العنق) فما زال يزيد وينمى حتى خالط الخلب (الظفر) والشراسيف (الغضاريف المعلقة بكل ضلع) فماذا ترى؟

فقال له الطبيب: خذ خربقاً، وسلفقاً، وشبرقاً، فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه!

فقال له أبو علقمة: ماذا تقول؟ فأجابه: وصفت لي من الداء ما لا أعرف، فوصفت لك من الدواء ما لا تعرف. قال: ويحك فما أفهمتني، قال: لعن الله أقلّنا إفهاماً لصاحبه...

١٤٤ ـ مصر وأهلها

ابن بطوطة في «رحلته» يصف مصر وأهلها:

هي أم البلاد، وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة؛ المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر، وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجاد وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وإمكانها، شبابها يجدُّ على طول العهد، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منازل السعد، قهرت قاهرتها الأمم، وتمكنت ملوكها نواصي العرب والعجم، ولها خصوصية النيل الذي أجلَّ خطرها، وأغناها عن أن يستمد القطر قطرها، وأرضها مسيرة شهر لمجدّ السير، كريمة التربة، مؤنسة لذوي الغربة.

ويقال: إن بمصر (أي: القاهرة) من السقَّائين على الجمال اثني عشر ألف سقَّاء، وإن بها ثلاثين ألف مكار، وإن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفاً للسلطان والرعية، تمر صاعدة إلى الصعيد، ومنحدرة إلى الإسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق.

وأهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو، وشاهدت بها مرة فرحة بسبب برء الملك الناصر من كسر أصاب يده، فزين أهل كل سوق سوقهم، وعلقوا بحوانيتهم الحُلل وثياب الحرير، وبقوا على ذلك أياماً.

١٤٥ ـ الإمامة لا تورث

أبو بكر الجصاص «في أحكام القرآن»:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، يدل على أن الإمامة ليست وراثة؛ لإنكار الله تعالى عليهم ما أنكروه من التمليك عليهم من ليس من أهل النبوة ولا الملك، وبيَّن أن ذلك مستحق بالعلم والقوة، لا بالنسب، ودلّ ذلك أيضاً على أنه لا حظ للنسب مع العلم وفضائل النفس، وأنها مقدمة عليه، لأن الله أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته وإن كانوا أشرف منه نسباً، وذكره للجسم ها هنا عبارة عن فضل قوته، لأن في العادة من كان أعظم جسماً فهو أكثر قوة، ولا يرد بذلك عظم الجسم بلا قوة، لأن ذلك لا حظ له في القتال، بل هو وبال على صاحبه إذا لم يكن ذا قوة فاضلة.

١٤٦ ـ لمَ سميت المولدة بالقابلة؟

ابن خلدون في «مقدمته»:

صناعة «التوليد» يُعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك، ثم ما يصلحه بعد الخروج، وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر، لما أنهن الظاهرات بعضهن على بعض، وتسمى القائمة على ذلك منهن «القابلة» واستعير فيها معنى الإعطاء والقبول، كأن النفساء تعطيها الجنين وكأنها تقبله.

أقول: وحيث أصبح الرجال في عصرنا يقومون بصناعة التوليد كالنساء، فهل لنا أن نسمي الطبيب المولد «القابل» قياساً على «القابلة»!

١٤٧ ـ من علامات الحمق

الحافظ ابن حبان في «روضة العقلاء»:

من علامات الحمق التي يجب للعاقل تفقدها ممن خفي عليه أمره: سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخيار، والاختلاط بالأشرار.

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتم، وإن أقبلت عليه اغتر، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإذا ظلمته انتصفتَ منه، ويظلمك إذا أنصفته.

وما أشبِّه عشرة الحمقى إلا بما أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي:

لي صديق يرى حقوقي عليه
نافلات وحقه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولاً إليه
ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما صنعت غير كبير
واشتهى أن أزيد في الأرض أرضا

١٤٨ ـ أيهما أعلم بالنحو

القيرواني في «جمع الجواهر»:

قال أبو العير: قال لي أبو العباس أحمد بن يحيى ـ ثعلب (من أئمة النحو في عصره): الظبي معرفة أو نكرة؟ فقلت: إن كان مشوياً على المائدة فمعرفة، وإن كان في الصحراء فهو نكرة!.. فقال ثعلب: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو!..

١٤٩ ـ ست هن أزواج

ابن المقفع في «الأدب الصغير»:

من حاول الأمور احتاج فيها إلى ست: العلم، والتوفيق، والفرصة، والأعوان، والأدب، والاجتهاد.

وهن أزواج:

فالرأي والأدب زوج: لا يكمل الرأي بغير الأدب، ولا يكمل الأدب إلا بالرأي. والأعوان والفرصة زوج: لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة، ولا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان. والتوفيق والاجتهاد زوج: فالاجتهاد سبب التوفيق، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد.

١٥٠ ـ ببركة امتناعه عن القضاء

الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»:

روي أن المتوكل دعا محمد بن عبد الملك بن أبي

الشوارب، وأحمد بن المعدل، وإبراهيم التيمي من البصرة، وعرض على كل واحد منهم قضاء البصرة، فاحتج محمد بن عبد الملك بالسن العالية وغير ذلك، واحتج أحمد بن المعدل بضعف البصر وغير ذلك، وامتنع إبراهيم التيمي. فقال له المتوكل: لم يبقَ غيرك، وجزم عليه فولي، فنزلت حال إبراهيم عند أهل العلم، وعلت حال الآخرين، قال أبو العلاء الواسطي: فيرى الناس أن بركة امتناع محمد بن عبد الملك دخلت على ولده، فولي أربعة وعشرون قاضياً، منهم ثمانية تقلدوا قضاء القضاة.

١٥١ ـ فقيه ينقذ زوجة الرشيد من الطلاق

القاضي ابن الزبير في «الذخائر والتحف»:

لما أعضلت مسألة الرشيد فقهاء الإِسلام، أشخص الليث بن سعد إليه فأخرجه منها، وذلك أن الرشيد خاصم زوجته أم جعفر زبيدة، فقالت له: والله لا رأيت الجنة ولا دخلتها، فقال لها: إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق ثلاثاً! فأشخص مالك بن أنس من المدينة، وسفيان بن عيينة من مكة، وإسماعيل بن عياش من حمص، والليث بن سعد من مصر، وسألهم عن ذلك، فما أفتاه أحد منهم غير الليث بن سعد، فإنه قال: يا أمير المؤمنين! تصدقني عما أسألك عنه؟ قال: نعم. قال: هل تخاف مقام الله؟ قال: نعم. قال: فليست لك جنة واحدة، لك جنتان. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

جَنَّانِ ﴿٤٦﴾ راجع زوجتك فلا حنث عليك. فأمر له بعشرة آلاف دينار، وأقطعه ضيعة بريف مصر تعرف بقرقشندة.

١٥٢ ـ لا تنسَ الكامخ

في بعض كتب الأدب:

جاء أحد الأعراب صديقاً له حضرياً، فقدّم له الكامخ (طعام يُصنع من الحنطة ممزوجة باللبن) فلم يستطبه، وأكل منه قليلاً، ثم غادر دار صديقه إلى المسجد فوجد الإمام في الصلاة يقرأ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾، فقال الأعرابي: والكامخ لا تنسه أصلحك الله!

١٥٣ ـ يعشيه ويحبسه

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

قال الأصمعي: مر رجل بأبي الأسود الدؤلي وهو يقول: من يعشي الجائع؟ فقال أبو الأسود: عليَّ به، فأتاه بعشاء كثير وقال: كل حتى تشبع، فلما أكل ذهب ليخرج، قال: أين تريد؟ قال: أريد أهلي. قال: لا أدعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك، اطرحوه في الأدهم، فبات عنده مكبولاً، حتى أصبح.

١٥٤ ـ حقيقة القلب السليم

ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»:

والقلب السليم الذي ينجو من عذاب الله، هو القلب

الذي قد سلم لربه وسلم لأمره، ولم تبقَ فيه منازعة لأمره ولا معارضة لخبره، فهو سليم مما سوى الله وأمره، لا يريد إلا الله، ولا يفعل إلا ما أمره، فالله وحده غايته، وأمره وشرعه وسيلته وطريقته، لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره، لكن لا تمر (الشبهة) عليه (القلب) إلا وهي مجتازة تعلم أنه لا قرار لها فيه، ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه، ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك، وسليم من البدع، وسليم من الغي، وسليم من الباطل.

١٥٥ ـ اشترِ من باعة حيِّك

الخوارزمي في «مفيد العلوم»:

كان علي بن الفضل يشتري من باعة المحلة، فقيل له: لو دخلت السوق واسترخصت! فقال: هؤلاء نزلوا بقريتنا رجاء منفعتنا.

١٥٦ ـ هل يستحقون هذا الإكرام

وفيه أيضاً:

كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي فأراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم تبيع؟ قال: بألفين، فقيل له: لا تساوي إلا ألفاً، قال: صدقتم ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبد الله! فأخبر ابن المبارك بذلك، فدعاه فأعطاه ثمن الدار وقال: لا تبعها!

١٥٧ - لغات ست وحركات ثلاث

النووي في «شرح مسلم»:

وفي يونس ست لغات: ضم النون وكسرها، وفتحها مع الهمز، وتركه، وكذلك في (يوسف) اللغات الست، والحركات الثلاث في سينه، ذكر ابن السكيت معظم اللغات فيهما، وذكر أبو البقاء باقيهن.

١٥٨ - فارق السن بين أب وابنه

وفيه أيضاً:

ومن طرف أحوال عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ليس بينه وبين أبيه في الولادة إلا إحدى عشرة سنة أو اثنتا عشرة.

١٥٩ - على أي شيء أضع ابنتي عندك؟

الخوارزمي في «مفيد العلوم»:

جاء إلى سفيان بن عيينة (المحدث) ابنُ أخيه فقال: جئت إليك خاطباً لابنتك، فقال له عمه سفيان: كفء كريم، ثم قال: اجلس، فجلس، قال: يا بني اقرأ عشر آيات من كتاب الله تعالى، فلم يستطع الشاب، قال: ارْوِ عشرة أحاديث، فلم يستطع، قال: أنشد عشرة أبيات شعر، فلم يستطع، فقال له سفيان: لا قرآن ولا حديث ولا شعر؟! فعلى أي شيء أضع ابنتي عندك؟ ثم قال له: لا أخيبنك، وأمر له بأربعة آلاف درهم..

١٦٠ - الصفات المؤهلة لتولي القضاء

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

أحضر الرشيد رجلاً ليوليه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف، والشرف يمنع صاحبه من الدناءة، ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قلّ خطؤه، وأنت رجل تشاور في أمرك، ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسنضم إليك من تتفقه به، فولي القضاء، فما وجدوا فيه مطعناً.

١٦١ - الملك ثلاثة

وفيه أيضاً:

وقرأت في كتاب لابن المقفع: الملك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى...

فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم، ويلحق بهم ما عليهم أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم.

وأما ملك الحزم فإنه تقوم به الأمور، ولا يسلم من الطعن والتسخط، ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوي..

وأما ملك الهوى، فلعب ساعة ودمار دهر.

١٦٢ ـ ثقيل

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

قال بشار في أحد الثقات وكنيته أبو عمران:

ربما يثقل الجليس وإن كا
ن خفيفاً في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتّد في الأر
ض ثقيل أربى على ثهلان
كيف لم تحمل الأمانة أرضٌ
حملت فوقها أبا عمران؟

١٦٣ ـ قاض يعض الخصوم

الثعالبي في «ثمرات القلوب»:

يقال في المثل: أجهل من قاضي جُبَّل[١]، وجُبَّل مدينة طسوج، وكان قاضيها أغر محجلاً، فرفع إلى المأمون أنه يعض الخصوم، فوقَّع المأمون على هذا الخبر بقوله: يُزنَّق (أي: يعمل له زناق وهو رباط من الجلد يشد به تحت الحنك)، وكان هذا القاضي قضى لخصم جاءه وحده، ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر..

---

(١) هكذا جاء ضبطها وتعريفها في الكتاب، وقد ضبطها ياقوت في «معجم البلدان» بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها وقال: بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي، كانت مدينة، وأما الآن فإني رأيتها مراراً وهي قرية كبيرة، وبقاضيها يضرب المثل. اهـ.

١٦٤ ـ لغويات

في «لسان العرب» و «القاموس» وغيرهما:

ابنة الجبل: هي الحية؛ والداهية، والصدى، ويكون مدحاً لسرعة الإجابة؛ وقد يضرب ابنة الجبل الذي هو الصدى مثلاً للرجل الإمَّعة المتابِع الذي لا رأي له. وفي بعض الأمثال: «كنتَ الجبل مهما يقُل تقُل»، وابنة الجبل القوس إذا كانت من النبع الذي يكون هنا لأنها من شجر الجبل.

ورجل جبيل الوجه: قبيحه؛ وهو أيضاً الغليظ جلدة الرأس والعظام، ويقال: فلان جبل من الجبال إذا كان عزيزاً، وعز فلان يزحم الجبال.

١٦٥ ـ الحجاج يصف نفسه

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

قال عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه، فعِب نفسك؛ قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتفعلنَّ؛ قال: أنا لجوج حقود حسود؛ قال عبد الملك: ما في الشيطان شر مما ذكرت.

١٦٦ ـ فلسفة البخل

الجاحظ في «البخلاء»:

قلت مرة للخزامي (أحد المشهورين بالبخل): قد رضيتَ بقول الناس: عبد الله بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم.

قلت: كيف؟ قال: لأنه لا يقال: فلان بخيل إلا وهو ذو مال؛ فسلِّم لي المال، وادعني بأي اسم شئت، قلت: ولا يقال: سخي إلا وهو ذو مال؛ فقد جمع هذا الاسم المال والحمد وجمع هذا الاسم (بخيل) المال والذم؛ قال: بينهما فرق، قلت: هاته، قال: في قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكه؛ وفي قولهم: سخي إخبار عن خروج المال عن ملكه؛ واسم البخل اسم فيه حزم وذم، واسم السخاء اسم فيه تضييع وحمد، والمال راهن نافع، ومكرم لأهله معز، والحمد ريح وسخرية، واستماعه ضعف وفُسولة (نذالة وقلة مروءة) وما أقل والله غَنَاء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعري جلده، وضاع عياله وشمت عدوه!.

١٦٧ ـ الأمل حتى الأجل

النووي في «شرح مسلم» في ترجمة أبي عثمان النهدي:

ومن طرف أخباره ما رويناه عنه أنه قال: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة، وما من شيء إلا وقد أنكرته، إلا أملي، فإني أجده كما هو..

١٦٨ ـ أحد أبويه جني

القاضي ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» في ترجمة «أبي بكر الأثرم»:

وكان معه تيقظ عجيب، حتى نسبه يحيى بن معين، ويحيى بن أيوب المقابري، فقال: أحد أبوي الأثرم جني..

١٦٩ ـ دعني أخنقه

وفيه أيضاً في ترجمة «أحمد بن نصر»:

قال أحمد بن نصر: رأيت مصاباً بالصرع قد وقع، فقرأت في أذنه، فكلمتني الجنية في جوفه فقالت: يا أبا عبد الله، دعني أخنقه، فإنه يقول: القرآن مخلوق!.

١٧٠ ـ إلَّا منْ؟!

القيرواني في «جمع الجواهر»:

دخل أبو الخطاب عمرو بن عامر السعدي على الخليفة موسى الهادي فأنشده:

يا خير من عقدت كفاه حُجزته

وخير من قلدته أمرَها مُضرُ

فانقلبت عيناه (الهادي) في رأسه؛ واحمرَّ وجهه، وقال: إلا مَن؟ ويحك! ولم يكن أبو الخطاب استثنى أحداً؛ وإنما جرى على مذهب الشعراء في تفضيل الممدوح على أهل العصر، فلما رأى ما بوجه الهادي من إرادة الإيقاع به قال ارتجالاً:

إلا النبي رسول الله إن له

فخراً وأنت بذات الفخر تفتخر

فسُرّي عنه ووصله.

١٧١ ـ ينهاه الطبيب عن التدريس فيأبى

📖 **النووي في «شرح صحيح مسلم» في ترجمة «الحافظ منصور بن عبد المنعم الفراوي»:**

ونهاه الطبيب عن التمكين من القراءة عليه؛ وعرّفه أن ذلك ربما كان سبباً لزيادة تألمه (في مرضه) فيقال: لا أستجيز أن أمنعهم من القراءة، وربما أكون قد حبست في الدنيا لأجلهم.

١٧٢ ـ خصال عالم

📖 **وفيه أيضاً في ترجمة «عبد الله بن المبارك»:**

اجتمع جماعة من أصحاب عبد الله بن المبارك، مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر، فقالوا: تعالوا حتى نعدَّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم (أي: الحديث) والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والشدة في رأيه، وقلة الكلام فيما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه.

وقال العباس بن مصعب: جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والتجارة والسخاء والمحبة عند الفِرَق.

١٧٣ ـ السياسة الحكيمة

📚 ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

قال الوليد لعبد الملك: يا أبت! ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإِنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع.

١٧٤ ـ البلدة التي تحسن الإقامة فيها

📚 وفيه أيضاً:

قال كسرى: لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر (أي: حازم)، وقاضٍ عادل، وسوق قائمة (أي: فيها تجارة رابحة)، وطبيب عالم، ونهر جارٍ.

١٧٥ ـ يربح فيشتري بربحه أوقافاً للمجاهدين

📚 ابن الأزرق الفارقي في «تاريخ ميّا فارقين»:

وكان بها رجل يسمى (ابن البهات) وكان متقدماً من جملة العدول، فوصلت قافلة كان معها خام كثير، واشترى جميعه منهم، واتفق أن وصل قوم وقت الظهر فطلبوا خاماً فباعهم من يومه الخام جميعه، وقبض ثمنه فربح فيه خمسمائة دينار، ولم يكن وفى ثمنه لأصحابه، فسمع الأمير نصر الدولة (أمير ميَّا فارقين) فاستحضره ومعه المال، فسأله عن ذلك فقال: هو صحيح، وقدم المال بين يديه، فقال الأمير: والله ما أحضرتك لآخذ، ولكني أردت أن أعلم صحة الحديث، وأن في بلدي من كسب في يوم واحد خمسمائة دينار! فحلف ابن

البهات لا تدخل إلى ماله، وحلف الأمير أنه لا يأخذ منها شيئاً، فاتفق أن عرضت قرية من ناحية قلعة (فتراثا) للبيع فاشتراها ابن البهات، ووقفها على حراس الحصون في تلك المنطقة!..

١٧٦ ـ له ثلاثة كنى ويروي عن ثلاثة أجيال

النووي في «شرح صحيح مسلم» في ترجمة الحافظ منصور بن عبد المنعم الفراوي:

وأما شيخ شيخنا الفراوي فهو الإمام ذو الكنى: أبو القاسم، أبو بكر، أبو الفتح، روى عن أبيه وجده وجد أبيه.

١٧٧ ـ يزوج بناتها ويبقي لها دارها

الخوارزمي في «مفيد العلوم»:

كانت عجوز في جوار عبد الله بن طاهر؛ ولها أربع بنات، فقيل لها: أنت فقيرة فلو بعت دارك وتوسعت بها على نفسك وعيالك؟ فقالت: نعم غير أني لا أبيع جوار عبد الله بن طاهر بالدنانير؛ فانتهى إليه الخبر، فدعا عبد الله دلَّالة النساء وقال لها: إن لي أربع بنات؛ فاطلبي لهن أزواجاً كراماً، ثم جهزهن: كل واحدة بمائة ألف..

١٧٨ ـ آفة العلم وهجنته ونكده

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

عن رؤبة بن العجَّاج، قال: أتيت النسابة البكري فقال

لي: من أنت؟ فقلت: أنا ابن العجاج، قال: قصرت وعرفت، لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني، وإن تكلمت لم يعوا عني؟! قلت: أرجو ألا أكون كذلك، قال: ما أعداء المروءة؟ قلت: تخبرني، قال: بنو عم السوء، إن رأوا حسناً ستروه، وإن رأوا سيئاً أذاعوه، ثم قال: إن للعلم آفة وهجنة ونكداً، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره عند غير أهله.

١٧٩ ـ حمى الروح

وفيه أيضاً:

قال بختيشوع للمأمون: لا تجالس الثقلاء، فإنا نجد في الطب: مجالسة الثقيل حُمَّى الروح.

١٨٠ ـ هزل العلماء مع الجهال

القيرواني في «جمع الجواهر»:

صحب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قوماً في سفره، فكان يجاريهم على أخلاقهم، ويخالطهم في أحوالهم وهم لا يعرفونه، فلما دخل مصر حضروا الجامع، فوجدوه يُفتي في حلال الله وحرامه، ويقضي في شرائعه وأحكامه، والناس مطرقون لإجلاله، فرآهم فاستدعاهم؛ فلما انصرفوا سئل عنهم فأنشد:

وأنـزلـنـي طـولُ الـنـوى دارَ غـربـة
إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكله

أحـامـقـه[1] حـتـى يـقـال سـجـيـة
ولـو كـان ذا عـقـل لـكـنـت أعـاقـلـه

١٨١ ـ حمار طياب

الثعالبي في «ثمرات القلوب»:

كان لطيَّاب السقاء حمار قديم الصحبة، ضعيف الحملة، شديد الهزال، ظاهر الانخذال، كاسف البال، يسقي عليه ويرفق به، ويرتزق منه مدة مديدة من الدهر، وكان عرضة لشعر أبي غلالة المخزومي، كما أن شاة سعيد كانت عرضة لشعر الحمدوني، ولأبي غلالة في وصفه بالضعف والتوجع له من الخسف نيف وعشرون مقطوعة، وحكى محمد بن داود الجراح عن جعفر رفيق طياب أن حمار طياب نفق (هلك) فمات طياب على أثره بأسبوع؛ ثم مات أبو غلالة على أثر حمار طياب، وكان ذلك من عجيب الاتفاقات.

١٨٢ ـ نجابة ابن الزبير في صغره

ابن ظفر في «أنباء نجباء الأبناء»:

ويروى أن عمر رضي الله عنه مرّ بعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وهو يلعب مع الصبيان، ففروا حين رأوا عمر، وثبت عبد الله، فقال له عمر: ما لك لا تفر مع أصحابك؟ فقال: لم أجرم فأخاف منك، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسع لك!.

---

(١) أي: أساعده على حمقه.

١٨٣ ـ الحاكم الناجح

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا الليّن من غير ضعف، والقوي في غير عنف.

١٨٤ ـ إنما الدر داخل الصدف

الكلاباذي في «التعرف لمذهب أهل التصوف»:

قال ذو النون: رأيت فتى عليه أطمار رثة، فتقذرته نفسي، وشهد له قلبي بالولاية، فبقيت بين نفسي وقلبي أفكر، فنظر إليَّ الفتى وقال: يا ذا النون! لا تبصرني لكي ترى خِلَقي، وإنما الدر داخل الصدف، ثم ولى وهو يقول:

تِهتُ على أهل ذا الزمان فما
أرفع منهم لواحد رأسا
ذاك لأني فتى أخو فِطَن
أعرف نفسي وأعرف الناسا
فصرت حراً مملَّكاً ملكاً
مدرعاً بالقنوع لبَّاسا

١٨٥ ـ كتب العالم أولاده المخلدون

ابن الجوزي في «صيد الخاطر»:

فإذا علم الإنسان وإن بالغ في الجد بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته، فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفاً، وغرس غرساً، وأجرى نهراً،

ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده فيكون له الأجر، أو يصنف كتاباً من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد، وأن يكون عاملاً بالخير، عالماً فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به، فذلك الذي لم يمت.

١٨٦ ـ أصل الفاحشة من عندكم

أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري في «كنز الدرر» وهو يتحدث عن أسر التتار للأمير حسام الدين المجيري وما جرى بينه وبين ملك التتار «غازان» بعد أسره؛ ويلاحظ أن المؤلف عامي في تعبيره، فنحن ننقل عبارته كما هي مع تهذيب قليل..

قال المجيري: ثم سألني غازان: كيف يترك أمراؤكم النساء ويستخدمون الشباب؟ فعلمت أنه يريد قتلي وأذيتي، فقلت في نفسي: ما من الله إلا واليه، فأجبته: يحفظ الله القآن (لقب ملوك التتار) إن أمراءنا ما كانوا يعرفون شيئاً من هذا، وإنما هذا استجد في بلادنا لما جاء إلينا طرغاي من عندكم، فإنه ورد إلينا بشباب من أولاد التتار، فانشغل الناس بهم، فاغتاظ غازان من ذلك غيظاً شديداً.

١٨٧ ـ الفرق بين نسائنا ونسائهم

وفيه أيضاً تتمة الحديث السابق:

ثم قال غازان للمجيري: ما تقول في نسائنا ونسائكم؟ قال: فعلمت أنه يريد التأكيد في قتلي، فتشاهدت في نفسي، وأخلصت النية في لقاء الله ﷻ، وقلت: يحفظ الله القآن! أنت

ملك الشرق ويقبح أن تذكر النساء في هذا المجلس! إن نساءنا يستحين من الله تعالى ومن الناس، ويسترن وجوههن؛ ونساؤكم أنتم أخبر بهن وبحالهن. . .

١٨٨ ـ إنما يثاب الإنسان على قدر عقله

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

كان في بني إسرائيل رجل له حمار؛ فقال: يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري هذا، فهمَّ به نبي، فأوحى الله إليه: إنما أثيب كل إنسان على قدر عقله.

١٨٩ ـ أما تجد فيه بعيراً لنا ضل

وفيه أيضاً:

قالت أم غزوان الرقاشي لابنها ـ ورأته يقرأ في المصحف ـ: يا غزان؛ أما تجد فيه بعيراً لنا ضلَّ في الجاهلية؟ فما كهرها (انتهرها) وقال: يا أماه أجد فيه والله وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

١٩٠ ـ آباء وأمهات لم يلدوا

أبو منصور الثعالبي في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»:

يقال: أبو مرة وهو إبليس، وأبو يحيى وهو قابض الأرواح، وأبو دثار للكلة التي يتوقى بها من البعوض، وأبو رياح لتمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة كبيرة بباب الجامع، يدور مع الريح حيث هبت، ويمينه

ممدودة، وأصابعها مضمومة إلا السبابة، فإذا أشكل على أهل حمص مهب الريح عرفوا ذلك به، فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه؛ ولذلك كني بأبي رياح، وقد يقال للرجل الطائش الذي لا ثبات له: أبو رياح تشبيهاً به.

ويقال: أبو مالك كناية عن الجوع والكبر. قال الشاعر:

أبو مالك يعتادنا في الظهائر
يُلمُّ فيلقي رحله عند جابر

والعرب تسمي الخبز جابراً وعاصماً وعامراً، وإنما سمي الكِبر بهذه الكنية لأنه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه.

ويقال: أم القِرى للنار، وأم النجوم للمجرَّة، وأم خنور للدنيا وهي كنية الضبع، وأم الطعام للحنطة، وأم عامر للضبع، وأم عوف للجرادة، وأم طلحة للقملة، وأم ملدم للحمى، مأخوذة من الدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر، وأم الخل للخمر، وأم عبيد للمغارة، وأم شملة للشمس، لأنها تشمل الخلق بطلوعها، وأم جابر للسنبلة، وأم الندامة للعجلة، وأم الفضائل للعلم، وأم الرذائل للجهل.

١٩١ ـ أسقط ثلاثة أرباع الكلام

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

كان إبراهيم بن المهدي يطيل السكوت، فإذا تكلم انبسط، فقيل له ذات يوم: لو تكلمت؟

فقال: الكلام على أربعة وجوه: فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة. ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقل ما لك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك. ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال. ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره.

قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

١٩٢ ـ ذكاء وبخل

الجاحظ في «البخلاء»:

قال رجل لثمامة بن أشرس: إن لي إليك حاجة. قال: وأنا لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك إلي؟ قال: لا أذكرها حتى تضمن قضاءها. قال: قد فعلت، قال: فإن حاجتي إليك ألا تسألني حاجة، فانصرف الرجل عنه.

١٩٣ ـ فائدة إسناد الحديث في عصرنا

الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح في «مقدمته»:

اعلم أن الرواية بالأسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا (٥٧٧ ـ ٦٤٣هـ) وكثير من الأعصار قبله إثبات ما يروى، إذ لا يخلو إسناد منها عن شيخ لا يدري ما يرويه ولا يضبط في كتابه ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته؛ وإنما المقصود بها إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة

زادها الله كرامة؛ وإذا كان كذلك، فسبيل من أراد الاحتجاج بحديث من «صحيح مسلم» وأشباهه، أن ينقله من أصل مقابل على يدي ثقتين بأصول صحيحة متعددة مروية بروايات متنوعة.

وتعقبه النووي بأن كلام الشيخ هذا محمول على الاستحباب والاستظهار، وإلا فلا يشترط تعداد الأصول والروايات، فإن الأصل الصحيح المعتمد يكفي.

أقول: وكتب السنة المشهورة المطبوعة المتداوَلة في أيدي أهل العلم اليوم يصح الاعتماد عليها لأنها طُبعت على أصل أو أصول صحيحة موثوقة.

١٩٤ ـ ثلاثيات

في الحديث عن رسول الله ﷺ:

«**ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد (الاعتدال) في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضى، وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**» (رواه البيهقي والبزار وغيرهما).

وفي الحديث الصحيح أيضاً: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

وفي الحديث عنه أيضاً: «**ثلاث من كنَّ فيه آواه الله في كنفه ونشر عليه رحمته وأدخله جنته: من إذا أعطي شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر**» (رواه الحاكم والبيهقي).

١٩٥ ـ لو أحلّ الله الكذب ما كذبت

السباعي في «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» في ترجمة الإمام الزهري (توفي ١٢٤هـ) نقلاً عن «تاريخ دمشق» لابن عساكر (مخطوطة في مكتبة الأزهر، وهي مقروءة على المؤلف نفسه):

سأل هشام بن عبد الملك سليمان بن يسار عن تفسير قوله تعالى في قصة الإفك: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقال هشام: مَن الذي تولى كبره فيه؟ قال سليمان: هو عبد الله بن أبي بن سلول، فقال هشام: كذبت! إنما هو علي بن أبي طالب ـ ويظهر أن هشاماً لم يكن جاداً فيما يقول، ولكنه يريد أن يختبر شدتهم في الحق ـ فقال سليمان بن يسار: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، ثم وصل ابن شهاب (الزهري) فقال له هشام: من الذي تولى كبره منهم؟ فقال الزهري: هو عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقال له هشام: كذبت إنما هو علي بن أبي طالب، قال الزهري وقد امتلأ غضباً: أنا أكذب؟! لا أبا لك! فوالله لو ناداني مناد من السماء بأن الله أحل الكذب ما كذبت... حدثني فلان وفلان أن الذي تولى كبره منهم هو عبد الله بن أبي بن سلول، قال الشافعي (وهو راوي هذا الخبر): فما زالوا يغرون به هشاماً حتى قال له: ارحل

فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك (وكان الزهري تركبه الديون لكثرة كرمه فيقضي عنه الخلفاء ديونه الفترة بعد الفترة) قال ابن شهاب: ولمَ ذاك؟ أنا اغتصبتك على نفسي؛ أو أنت اغتصبتني على نفسي؟ فخل عني، قال له هشام: لا ولكنك استدنت ألفي ألف (مليونين)، فقال الزهري: قد علمت وأبوك قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك، ثم خرج الزهري مغضباً، فقال هشام: إنا نهيج الشيخ!... ثم أمر فقضى عنه من دينه ألف ألف؛ فأخبر بذلك فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده!..

١٩٦ ـ من وصايا المعمرين

أبو حاتم السجستاني في «المعمرون» في حديثه عن أكثم بن صيفي الذي عاش مائتي سنة على ما يزعم الرواة:

قالوا: وكتب النعمان بن المنذر إلى أكثم بن صيفي ـ وذكر ملك من ملوك فارس رجال العرب وعداوة بعضهم لبعض وحالهم في بلادهم ـ فقال فارسي: هذا لخفة أحلامهم وقلة عقولهم.

فكتب المنذر إلى أكثم أن اعهد إلينا أمراً نُعجب به فارس، ونرغبهم به في العرب؛ فكتب أكثم:

«لن يهلك امرؤ حتى يُضيّع الرأي عند فعله، ويستبد على قومه بأموره، ويُعجب بما ظهر من مروءته ويغتر بقوته والأمر يأتيه من فوقه، وليس للمختال في حسن الثناء نصيب؛ والجهل

قوة الخُرْق، والخُرق قوة الغضب، وإلى الله تصير المصائر، ومن أتى مكروهاً إلى أحد فبنفسه بدأ، إن الهلكة إضاعة الرأي، والاستبداد على العشيرة يجر الجريرة، والعُجب بالمروءة دليل على الفسولة (قلة العقل والدناءة)، ومن اغتر بقوته فإن الأمر يأتيه من فوقه. لقاء الأحبة مسلاة للهمِّ. من أسرَّ ما لا ينبغي إعلانه، ولم يعلن للأعداء سريرته، سلم الناس عليه، والعي أن تكلم بفوق ما تسد به حاجتك، وينبغي لمن عقل أن لا يثق بإخاء من لم تضطره إليه حاجته، وأقل الناس راحةً الحقود، ومن أتي على يديه غير عامد فاعفه من الملامة، ولا تعاقب على الذنوب إلا بقدر عقوبة الذنب فتكون مذنباً، ومن تعمد الذنب لم تحُل الرحمة دون عقوبته، والأدب رفق، والرفق يُمن، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة؛ وخير العفو ما كان مع القدرة، ومن سوء الأدب كثرة العتاب، ومن اغتر بقوته وهن، ولا مروءة لغاش، ومن سفه حلمه هان أمره، والأحداث تأتي بغتة، وليس في قدرة القادر حيلة، ولا صواب مع العجب، ولا بقاء مع بغي، ولا تثقنَّ بمن لم تختبره».

١٩٧ ـ يدعو الله أن يكسر يداً ليجبرها

أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري في «كنز الدرر»:

وفيها (أي: سنة ثلاثين وسبعمائة) حصل للمقام الشريف (السلطان الناصر ابن السلطان قلاوون) ما حصل من التوعك

بسبب يده الشريفة وقاها الله المحذورات، وبسطها وإن كانت لم تزل مبسوطة في الخيرات؛ وكان التوعك بهذا السبب مدة سبعة وثلاثين يوماً، ولقد بلغ العبد (أي: المؤلف) أن المجبر الذي جبر الله الإسلام بصناعته يقال له: ابن أبي ستة، وكان حاله قد تضعضع (أي: أصبح في فقر وحاجة) فكان أكثر أوقاته يقول في دعائه: يا الله كسرة بجبرة! فلما جبر الله تعالى الإسلام بعافية يد سيد ملوك الأنام، حصل له (للمجبر) من البر والإحسان والإنعام، ما جبر به كسره العام!...

١٩٨ ـ الزنبور والعصفور الأعمى

ابن كثير في «البداية والنهاية»:

حكي عن الشيخ الصالح عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصقيل الحراني (**٥٩٤ ـ ٦٨٦هـ**) أنه قال: كنت مرة بقليوب (من قرى مصر) وبين يدي صبرة قمح، فجاء زنبور فأخذ حبة واحدة ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى، أربع مرات، فاتبعته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك.

١٩٩ ـ قحط البلاد وانهيارها الاقتصادي مطمعة للأعداء

الحافظ الذهبي في «العبر»:

وفيها (سنة أربع وخمسين وثلاثمائة) بنى الدمستق نقفور مدينة الروم وسماها «قيسارية»، وقيل: قيصرية، وسكنها ليغير

كل وقت، وجعل أباه بالقسطنطينية، فبعث إليه أهل طرسوس والمصيصة يخضعون له؛ ويسألونه أن يقبل منهم القطيعة كل سنة، وينفذ إليهم نائباً له، فأجابهم، ثم علم ضعفهم وشدة القحط عليهم، وأن أحداً لا ينجدهم، وأن كل يوم يخرج من طرسوس ثلاثمائة جنازة، فرجع عن الإجابة، وخاف إن تركهم حتى تستقيم أحوالهم أن يمتنعوا عليه، فأحرق الكتاب على رأس الرسول، فاحترقت لحيته، وقال: امضِ، ما عندي إلا السيف، ثم نازل المصيصة فأخذها بالسيف واستباحها، ثم افتتح طرسوس بالأمان، وجعل جامعها اصطبلاً لخيله، وحصن البلد وشحنها بالرجال.

٢٠٠ ـ تنزل فيه أربع آيات

الزركشي في «البرهان»:

روى البخاري في كتاب «الأدب المفرد» في بر الوالدين عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: نزلت فيَّ أربع آيات من كتاب الله ﷻ: كانت أمي حلفت ألَّا تأكل ولا تشرب حتى أفارق محمداً ﷺ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾، والثانية أني كنت أخذت سيفاً (أي: من المغانم) فأعجبني، فقلت: يا رسول الله، هب لي هذا، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ﴾، والثالثة أني كنت مرضت فأتاني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد أن أقسم مالي،

أفأوصي بالنصف؟ فقال: لا، فقلت: الثلث؟ فسكت؛ فكان الثلث بعد جائزاً. والرابعة أني شربت الخمر (قبل أن ينزل التحريم البات) مع قوم من الأنصار، فضرب رجل منهم أنفي بلحي جمل (العظم الذي تنبت فيه اللحية) فأتيت رسول الله ﷺ فأنزل الله تحريم الخمر.

٢٠١ ـ من روائع تشبيهات ابن الرومي

الحصري القيرواني في «جمع الجواهر»:

ومن تشابيهه (ابن الرومي) العُقْمِ (في وصف الخباز والرغيف بين يديه):

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة وَشْكَ اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يُرمى فيه بالحجر

٢٠٢ ـ ثراء وبُله وغفلة

وفيه أيضاً:

كان بمصر شريف من ولد أبي العباس يعرف بأبي جعفر الشق، شبيه بابن الجصاص في الغفلة والجد (الثراء) والنعمة. قال أبو القاسم ابن محمد التنوخي: بعثني إليه أبي من قرية تعرف بـ «تلا» يستقرضه عشرة أرادب قمحاً؛ وثلاثين زوج بقر،

وكتب معي بذلك رقعة، فأتيت إليه وسلمت عليه ودفعت إليه الرقعة فقال: ذكرت أباك بخير وحرسه (الله) وأسعده، فهو صاحبي وصديقي وخليطي، وأين هو الآن؟ قلت بقرية «تلا» أعز الله سيدي الشريف. قال: نعم حفظه الله هو بالفسطاط معنا!. وقد انقطع عنا كذا، ما كنت أظنه إلا غائباً؛ قلت: لا يا سيدي هو بـ «تلا» قال: فما لك؟ ما قلت لي؟ فما كان سبيله أن يؤنسني برقعة من قبله؟ قلت: يا سيدي قد دفعت إليك رقعة. قال: وأين هي؟ قلت: تحت البساط، فأخذها وقرأها وقال: قل لي الآن: كان لك أخ أعرفه حار الرأس حاد الذهن، يحسن النحو والعروض والشعر، فما فعل الله به؟ قلت: أنا هو أعزك الله! قال: كبرت كذا، وعهدي بك تأتيني معه وأنت بزقة مخطة لعقة قردلاش؟!.. قلت: نعم أيد الله الشريف، قال: وما الذي جئت فيه؟ قلت له: والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها قرض عشرة أرادب قمحاً، وثلاثين زوج بقر؛ قال: وهو الآن بالفسطاط؟ قلت: لا يا سيدي هو بـ «تلا» قال: نعم، وإنما ذاك الفتى أخوك؟ قلت: لا، أنا هو، فهو يراجعني الكلام، وقد ضجرت من شدة غفلته وكثرة نسيانه لما أقوله، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين، فقال: سل هذا الفتى ما أراد، فسألني فعرّفته فأخبره، فقال له: نفذ له حاجته، فوقَّع لي الكاتب بما أراد، وقال: تلقاني للقبض بالديوان، فشكرت الشريف ونهضت.

فقال: اصبر يا بني فقد حضر طعامنا، وقدم الطعام وفيه

حصرمية غير محكمة، فرفع يده وقال: مثل مطبخي يكون فيه مثل هذه؟ عليَّ بالطباخ، فأتى، فقال له: ما هذا العمل؟ فقال: يا سيدي إنما أنا صانع، وعلى قدر ما أُعطى أعمل، وقد سألت المشتري ينفق ما أحتاج إليه، فتأخر عني فعملت على غير تمكن، فجاء التقصير كما ترى.

فقال: عليَّ بالمنفق، فحضر؛ فقال: مالي قليل؟ قال: لا يا سيدي بل عندك نعم واسعة، قال: فما لك تضايقنا في النفقة ولا توسع كما وسع الله علينا؟ قال: يا سيدي إنما أنفق ما أعطى، وقد سألت الجهبذ (الذي ينفذ أوامر الرئيس) أن يدفع لي، فتأخر عني.

فقال: عليَّ بالجهبذ، فأتي به، فقال: ما لك لم تدفع للمنفق شيئاً؟ قال: لم يوقّع لي الكاتب، فقال للكاتب: لمَ لم تدفع إليه شيئاً؟ فتلعثم في الكلام ولم يكن عنده جواب، فقال للكاتب: قف هاهنا، فوقف ووقف خلفه الجهبذ، ووقف خلف الجهبذ المنفق، وخلف المنفق الطباخ، وقال: نفيت من العباس إن لم يصفع كل واحد منكم من يليه فأكثر ما يقدر عليه، فتصافعوا، قال: فخرجت وأنا متعجب من غباوته ودقته في هذا الحكم.

٢٠٣ ـ عزمات

في كتب التراجم:

كان أبو مسلم الخولاني يقوم الليل، فإذا أدركه الإعياء

ضرب رجليه قائلاً: أنتما أحق بالضرب من دابتي، أيظن أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه أن يفوزوا به دوننا، والله لأزاحمنَّهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالاً!...

٢٠٤ ـ إذا مات أصدقاء الرجل ذل

القاضي ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة»:

وأنبأنا يوسف بن محمد المهرواني، حدثنا عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي قال: سمعت المطيع الخليفة على المنبر يقول يوم عيد: سمعت شيخي عبد الله بن محمود البغوي يقول: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يقول: إذا مات أصدقاء الرجل ذل.

٢٠٥ ـ إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك

وفيه أيضاً:

وقال أبو العباس محمد بن أحمد بن الصلت: سمعت عبد الرحمٰن المتطبب ـ يعرف بطبيب السنة ـ دخلت على أحمد بن حنبل أعوده فقلت: كيف تجدك؟ فقال: أحمد الله إليك، أنا بعين الله، ثم دخلت على بشر بن الحارث فقلت: كيف تجدك؟ فقال: أحمد الله إليك، أجد كذا، أجد كذا، فقلت: أما تخشى أن يكون هذا شكوى؟ فقال: حدثنا المعافى بن عمران عن سفيان بن سعيد عن منصور عن إبراهيم، عن علقمة والأسود قالا: سمعنا عبد الله بن مسعود

يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك**»، فدخلت على أحمد بن حنبل فحدثته، فكان إذا سألته قال: أحمد الله إليك أجد كذا وكذا.

٢٠٦ ـ صنوف الإخوان

الراغب الأصبهاني في «محاضرات الأدباء»:

قال لقمان: الإخوان ثلاثة: مُخالب، ومحاسب، ومُراغب، فالمُخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك، والمحاسب الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك، والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

وقال المأمون: الإخوان ثلاثة: أخ كالغذاء لا يحتاج إليه كل وقت، وأخ كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وأخ كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

٢٠٧ ـ من أنصار عنترة

وفيه أيضاً:

قال عنترة:

ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدُر
للحرب دائرة على ابنَي ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما
والناذرين إذا لقيتهما دمي

وحكي عن أبي عمرو ابن العلاء قال: انصرفت من

الجامع في الهاجرة (شدة الحر في منتصف النهار) فلقيني عيّار (البطال الذي يتردد بلا عمل يخلي نفسه وهواها) قد جرد سكيناً فوضعها تجاه قلبي وقال: كيف تروي بيتي عنترة؟ فأنشدتهما كما تقدم، فقال: والله لولا أنني أخشى أن أفجع فيك أهل الأرض لقتلتك! ما كان عنترة يستجدي هذا الاستجداء، إنما قال:

الشاتمي عرضي بما هو فيهما
والناذرين إذا لقيتهما دمي

٢٠٨ ـ من أعذار المنهزمين في المعارك

وفيه أيضاً:

قيل لرجل: إنك انهزمت! فقال: غَضَبُ الأمير عليَّ وأنا حي خير من أن يرضى وأنا ميت! وقال زفر بن الحارث:

ألا لا تلوماني على الجبن إنني
أخاف على فخارتي أن تحطما
ولو أنني أبتاع في السوق مثلها
إذا شئت ما باليت أن أتقدما

وقال آخر:

يقول لي الأمير بغير نصح
تقدم! حين جدَّ بنا المراس
وما لي إن أطعتك من حياة
وما لي بعد هذا الرأس راس

وهرب الوليد من الطاعون فقيل له: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ فقال: ذلك القليل أطلب.

وقيل لرجل يوم صفين قد انهزم: ما خبر الناس؟ فقال: من صبر أخزاه الله، ومن انهزم نجاه الله!

٢٠٩ ـ نصرة أهل الحق بعضهم لبعض

ابن كثير في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أي: هو حق أوجبه تعالى على نفسه تكرماً وتفضلاً كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، وروى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا موسى بن أيمن عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢١٠ ـ تزوار أرواح المؤمنين

وفيه أيضاً:

والسلف مجمعون على هذا (أي: أن الميت يرد السلام على من يزور قبره)، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر. فروى ابن أبي الدنيا في

كتاب القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم»**، وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن رجل من آل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصماً الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد متَّ؟ قال: بلى! قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم، قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات قد بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح، قال: قلت: فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة ويوم السبت إلى طلوع الشمس، قال: قلت: فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

٢١١ ـ عرض أعمال الأحياء على الموتى

وفيه أيضاً:

وأبلغ من ذلك الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه وإخوانه. قال عبد الله بن المبارك: حدثني ثور بن يزيد عن إبراهيم عن أيوب قال: تعرض أعمال الأحياء على الموتى، فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهم راجع به. وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا محمد أخي، قال: دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن

صالح (العباسي) وهو على فلسطين، فقال: عظني، فقال: بمَ أعظك أصلحك الله؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك، فبكى إبراهيم حتى أخضل لحيته.

٢١٢ ـ ما أضيف إلى اسم الله تعالى

الثعالبي في «ثمار القلوب»:

أهل الله: كان يقال لقريش في الجاهلية، عترة الله: لآل البيت، بيت الله: للكعبة، أسد الله: لحمزة، سيف الله: لخالد، قوس الله: لقوس قزح، رمح الله: للكوفة، كلب الله: للأسد، ميزان الله: للعدل.

٢١٣ ـ أحمق!..

الراغب الأصبهاني في «محاضرة الأبرار»:

سئل أعرابي عن رجل فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره!

وقيل: ليس مع فلان من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه إذا أمر به إلى النار.

وقال آخر:

رَبِّ ما أبين التباين فيه

منزل عامر وعقل خراب!

٢١٤ ـ قيمة المرء عمله

وفيه أيضاً:

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: قيمة كل امرىء ما يحسنه، وأخذ ابن طباطبا هذا المعنى فقال:

حسود مريض القلب يخفي أنينه
ويضحى كئيب المال عندي حزينه
يلوم على أن رحت في العلم دائباً
أجمع من عند الرواة فنونه
فيا عاذلي دعني أغالي بقيمتي
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

٢١٥ ـ الميزان الأكبر

الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»:

عن سفيان بن عيينة كان يقول: إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل.

٢١٦ ـ يتعلمون العمل كما يتعلمون العلم

وفيه أيضاً:

وقال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم، وبعث ابن سيرين رجلاً فنظر كيف هدي القاسم (أحد الفقهاء السبعة في المدينة) وحاله.

٢١٧ ـ الحديث كالنار

وفيه أيضاً:

كان أبو زكريا العنبري يقول: علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم، وإنما شبهت العلم بالنار لما روينا عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما وجدت للحديث شبهاً إلا النار نقتبس منها ولا ينتقص عنها.

٢١٨ ـ عليَّ أن أقرر حقاً وإن أجحف ببيت المال

الماوردي في «الأحكام السلطانية»:

جلس المهدي يوماً للمظالم، فرفعت إليه قصص في الكسور (ضرائب كانت تؤخذ من الشعب) فسأل عنها، فلما تأكد من ظلم الناس بها قال: معاذ الله أن ألزم الناس ظلماً تقدم العمل به أو تأخر، أسقطوه عن الناس! فقال الحسن بن مخلد: إن أسقط أمير المؤمنين هذا، ذهب من أموال السلطان (الدولة) في السنة اثنا عشر ألف ألف درهم (اثنا عشر مليوناً) فقال المهدي: عليَّ أن أقرر حقاً وأزيل ظلماً وإن أجحف ببيت المال.

٢١٩ ـ ما قيل في الثقلاء

الحافظ ابن حبان البستي في «روضة العقلاء»:

الاستثقال من الناس يكون سببه شيئين: أحدهما مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم، لأن من تعدى حدود الله، أبغضه الله، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة، ثم يوضع له

البغض في الأرض، فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه.

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه، فإذا كان كذلك استحق الاستثقال منهم، وأنشدني الكريزي (في شخص ثقيل):

ليتني كنت ساعةً ملكَ المو
ت فأفني الثقال حتى يبيدوا
ولوَ أني وأنت في جنة الخلـ
ـد لقلت: الخروج منها أريد
لَدخولُ الجحيم أهونُ من
جنةِ خُلدٍ أراك فيها ترود

وقال مخلد: إذا أبغضت الرجل أبغضت شقي (جانبي) الذي يليه.

وقال المقنع الكندي في بعض من صحبه:

ألا يا مركب المقت الذ
ي أرسى فلا يبرحْ
ويا من سكرات المو
ت من طلعته أروح
لقد صورت في فكري
فلا أدري لما تصلح؟
فلا تصلح أن تهجى
ولا تصلح أن تمدح

بلى؛ تصلح أن تقتل
أو تصلب أو تذبح

وعن ابن سيرين قال: سمعت رجلاً من أهل البادية يقول: نظرت إلى ثقيل مرة فغشي عليَّ، وكان أبو هريرة إذا استثقل جليساً له قال: اللهم اغفر لنا وله، وأرحنا منه في عافية!

٢٢٠ ـ إذا كنت في قوم عور فغمض عينك الواحدة

وفيه أيضاً:

من التمس رضى جميع الناس التمس ما لا يدرك، ولكن يقصد العاقل رضى من لا يجد من معاشرته بداً، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثماً، فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يداري؟ أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي:

يا ذا الذي أصبح لا والدٌ
له على الأرض ولا والدة
قد مات من قبلهما آدم
فأي نفس بعده خالدة؟
إن جئت أرضاً أهلها كلهم
عور فغمض عينك الواحدة

٢٢١ ـ معنى «كاد» في الإثبات والنفي

النووي في «شرح صحيح مسلم»:

قال أهل اللغة: «كاد» موضوعة للمقاربة؛ فإن لم يتقدمها نفي كانت لمقاربة الفعل ولم يفعل، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، وإن تقدمها نفي كانت للفعل بعد بطء، وإن شئت قلت: لمقاربة عدم الفعل، كقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

٢٢٢ ـ لطيفتان في إسناد واحد

وفيه أيضاً:

وأما قول مسلم: وحدثني أبو سعيد الأشج قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا الأعمش عن المسيب بن راقع عن عامر بن عبدة إلخ... فهذا إسناد اجتمع فيه طرفتان من لطائف الإسناد: (إحداهما) أن إسناده كوفي كله، والثانية أن فيه ثلاثة تابعين يروي بعضهم عن بعض، وهم: الأعمش، والمسيب، وعامر، وهذه فائدة نفيسة قلّ أن يجتمع في إسنادٍ هاتان اللطيفتان.

٢٢٣ ـ فطنة من سفير

الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»:

وجه عبد الملك الشعبي (هو عامر بن شراحيل الشعبي المحدث الفقيه علّامة التابعين) رسولاً إلى ملك الروم، قال الشعبي: فلما عدت قال لي عبد الملك: يا شعبي! تدري ما

كتب به إليَّ ملك الروم؟ كتب إليَّ: العجب لأهل دينك كيف لم يستخلفوا رسولك؟ قال الشعبي: فقلت: يا أمير المؤمنين لأنه رآني وما رآك، ذكرها الأصمعي وزاد فيها: إنما أراد أن يغريني بقتلك! فبلغ ذلك ملك الروم فقال: ما أردت إلا ذاك.

٢٢٤ ـ ذاك عرس لم أشهده

وفيه أيضاً:

أتى رجل الشعبي فقال: ما اسم امرأة إبليس؟ فقال الشعبي: ذاك عرس ما شهدته.

٢٢٥ ـ بسم الله الرحمٰن الرحيم

القرطبي في «تفسيره»:

قال العلماء: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قَسَم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده أن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وأني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري. و: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مما أنزله الله في كتابنا وعلى هذه الأمة خصوصاً بعد سليمان عليه السلام، وقال بعض العلماء: إن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ تضمنت جميع الشرع، لأنها تدل على الذات وعلى الصفات، وهذا صحيح.

٢٢٦ ـ ما يريد عبد الله من زيد

ابن عبد ربه في «العقد الفريد»:

قال بعض الوراقين:

رأيت يا حماد في الصيد
أرنباً تؤخذ في الأيدي
إن ذوي النحو لهم أنفس
معروفة بالمكر والكيد
يضرب عبد الله زيداً وما
يريد عبد الله من زيد؟

٢٢٧ ـ متى تصمت ومتى تتكلم

وفيه أيضاً:

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت أن تصمت، قال: فمتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت أن تتكلم..

٢٢٨ ـ فتيس خير منه!..

ابن بشكوال في «الصلة»:

أنشدني محمد بن حزم قال: أنشدني أبو عمرو البيَّاني:

إذا القرشي لم يشبه قريشاً
بفعلهم الذي بذَّ الفعالا
فتيس من تيوس بني تميم
بذي العَبَلات أحسنُ منه حالا

٢٢٩ ـ من دهاء عمرو بن العاص

محمد بن يحيى بن بهران الصعدي في حواشيه على «البحر الزخار»:

خطب سلمان الفارسي إلى عمر بن الخطاب ابنته؛ فأنعم له (أي: أبدى له الموافقة) فشق ذلك على ابنه عبد الله، فذكر ذلك لعمرو بن العاص وسأله أن يدبر (أي: يحاول عدم تمام هذا الأمر) فأتى عمرو سلمان فقال له: هنيئاً لك يا أبا عبد الله! تواضع لك عمر!.. فقال سلمان: لي تواضع؟! والله لا تزوجتها.

٢٣٠ ـ كتّاب النبي ﷺ

أبو العباس القَلْقَشندي في «صبح الأعشى»:

وقد رأيت في سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للنبي ﷺ نَيِّف وثلاثون كاتباً: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن فهيرة، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأبان أخوه؛ وسعيد أخوهما، وعبد الله بن الأرقم الزهري؛ وحنظلة بن الربيع الأسدي، وأبيّ بن كعب، وثابت بن قيس بن شمَّاس، وزيد بن ثابت، وشرحبيل بن حسنة، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن زيد، وجُهَيْم بن الصلت، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن

عبد الله بن أبيّ، ومعيقب بن أبي فاطمة، وطلحة بن يزيد بن أبي سفيان، والأرقم بن الأرقم الزهري، والعلاء بن عتبة، وأبو أيوب الأنصاري، وبُرَيدة بن الحصيب، والحُصين بن نمير، وأبو سلمة المخزومي، وحويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، وحاطب بن عمرو، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان ألزمهم له في الكتابة معاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت.

٢٣١ ـ كتّاب الخلفاء الراشدين

وفيه أيضاً:

وكتب لأبي بكر رضي الله عنه: عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وعثمان هو الذي كتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة عن أبي بكر رضي الله عنه.

وكتب لعمر رضي الله عنه: زيد بن ثابت، وعبد الله بن خلف.

وكتب لعثمان رضي الله عنه: مروان بن الحكم.

وكتب لعلي رضي الله عنه: عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعيد بن نجران الهمداني.

وكتب للحسن بن علي رضي الله عنهما: عبد الله بن أبي رافع كاتب أبيه.

٢٣٢ ـ ثلاثة لا تحتملها الملوك

وفيه أيضاً:

قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكاناً وأوسعهم

علماً: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القَدْح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحُرَم.

٢٣٣ ـ وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل!

وفيه أيضاً:

حكي عن علي بن الجهم أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين المتوكل، فرأيت الفتح بن خاقان وزيره واقفاً على غير مرتبته التي يقوم عليها، متكئاً على سيفه، مطرقاً إلى الأرض، فأنكرت حاله، وكنت إذا نظرت إليه نظر الخليفة إليّ، وإذا صرفت وجهي إلى نحو الخليفة أطرق، فقال لي الخليفة: يا علي أنكرت شيئاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما هو؟ قلت: وقوف الفتح بن خاقان في غير منزلته، قال: وسوء اختياره أقامه ذلك المقام، قلت: ما السبب يا أمير المؤمنين؟ قال: خرجت من عند جارية لي فأسررت إليه سراً فما عداني السرُّ أن عاد إليَّ! قلت: لعلك أسررت إلى غيره؟ قال: ما كان هذا. قلت: فلعل مستمعاً استمع إليكما؟ قال: لا ولا هذا أيضاً، قال: فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسي فقلت: يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً، قال: وما هو؟ قلت: خبر أبي الجوزاء، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبي الجوزاء قال: طلَّقت امرأتي في نفسي وأنا بالمسجد ثم انصرفت إلى منزلي، فقالت لي امرأتي: طلقتني يا أبا الجوزاء؟ قلت: من أين لك هذا؟

قالت: حدثتني به جارتي الأنصارية. قلت: ومن أين لها هذا؟ قالت: ذكرت أن زوجها خبرها بذلك، قال: فغدوت على ابن عباس رضي الله عنهما، فقصصتُ عليه القصة فقال: أما علمت أن وسواس الرجل يحدثُ وسواس الرجل؟ فمن هنا يفشو السر.

فضحك المتوكل وقال: إليَّ يا فتحُ! فصب عليه خلعة، وحمله على فرس، وأمر له بمال؛ وأمر لي بدونه، فانصرفت إلى منزلي: وقد شاطرني الفتح فيما أخذ، فصار إليَّ الأكثر..

٢٣٤ ـ لغويات

في «لسان العرب»:

«أجَأ» على وزن فَعَل بالتحريك: جبل لطيء يُذَكَّر ويؤنَّث. وهنالك ثلاثة أجبل: أجَأ، وسلمى؛ والعوجاء. وذلك أن أجأ اسم رجل تعشق سلمى وجمعتهما العوجاء، فهرب أجأ بسلمى، وذهبت معهما العوجاء، فتبعهم بعل سلمى فأدركهم وقتلهم، وصلب أجأ على أحد الأجبل، فسمي أجأ، وصلب سلمى على الجبل الآخر، فسمي بها، وصلب العوجاء على الثالث؛ فسمي باسمها.

٢٣٥ ـ من أخلاق العلماء

الجبرتي في «تاريخه» في حوادث سنة ١٢٣٣ هـ:

وممن مات من الأعيان في هذه السنة شيخ الإسلام الشيخ محمد الشنواني شيخ الجامع الأزهر، وكان مهذب

النفس بالتواضع والانكسار لكل أحد مع البشاشة. وكان يشمر ثيابه؛ ويخدم الجامع الفاكهاني بنفسه فيكنسه ويسرج قناديله، ولما انتقل إلى رحمة الله الأستاذ الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر سنة **١٢٢٦هـ** هرب الشيخ الشنواني من مصر؛ فأحضروه من الريف؛ وولوه مشيخة الأزهر، واستمر على ملازمته لخدمة الفاكهاني كما كان. وأقبلت عليه الدنيا آخر عمره، وعارضته العلل عن التهني بملاذها إلى أن توفي رحمه الله.

٢٣٦ ـ حين يجوع الشعب!

وفيه أيضاً في حوادث المحرم سنة ١١٠٧ هـ:

اجتمع الفقراء والشحاذون؛ رجالاً ونساءً وصبياناً، وطلعوا إلى القلعة، ووقفوا بحوش الديوان؛ وصاحوا من الجوع، فلم يجبهم أحد؛ فرجموا بالأحجار، فركب الوالي وطردهم، فنزلوا إلى الرملية ونهبوا حواصل الغلة التي بها وكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا، وكان ملآناً بالشعير والفول. وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء.. وحضر أهالي القرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة، واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف، ومات الكثير من الجوع، وخلت القرى من أهلها؛ وخطف الفقراء الخبز من الأسواق ومن الأفران، ومن على رؤوس الخبازين، ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصي حتى يخبزونه بالفرن ثم يعودون به.

٢٣٧ - عندما يثور الشعب على تسلط اليهود!

وفيه أيضاً في حوادث سنة ١١٠٨ هـ:

قامت العساكر على ياسف اليهودي وقتلوه وجروه من رجله وطرحوه في الرملية؛ وقامت الرعايا، فجمعوا حطباً وأحرقوه، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة. وسبب ذلك، أنه كان ملتزماً بدار الضرب (دار سك النقود للدولة) في دولة علي باشا المنفصل. ثم طلب إلى إسلامبول (استانبول) فسئل عن أحوال مصر فأملى أموراً، والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد؛ وحسَّن بمكره إحداث محدثات (إحداث ضرائب جديدة) ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه إلى الديوان، وقرئت الأوامر التي حضر بها، ووافقه الباشا على إجرائها وتنفيذها، وأشهر النداء بذلك في شوارع مصر، فاغتمّ الناس، وتوجه التجار وأعيان البلد إلى الأمراء، وراجعوهم في ذلك؛ فركب الأمراء والصناجق وطلعوا إلى القلعة، وفاوضوا الباشا، فجاوبهم بما لا يرضيهم؛ فقاموا عليه قومة واحدة، وسألوه أن يسلمهم اليهودي، فامتنع من تسليمه، فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه؛ فأمرهم بوضعه في العرقانة، ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا في أمره، ففعلوا به كما أمرهم، فقامت الجند على الباشا، وطلبوا أن يسلمهم اليهودي المذكور ليقتلوه فامتنع، فمضوا إلى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر.

٢٣٨ ـ لا يليق بالمسلمة لبس ما يصف جسمها

عبد الله عفيفي في «المرأة العربية»:

أهدى المنذر إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ثياباً رقاقاً ـ وكانت قد عميت ـ فلما لمستها ردتها، فقال لها ابنها: إنها لا تشف، فقالت: إن لم تشف فإنها تصف.



مقدمـــة

هذا الكتاب رحلة ممتعة، تتلّون فيها ـ أمام القارىء ـ المشاهد والمقاصد والفوائد، رحلة ترتبط بالناس والأفكار والمواقف والأزمان، تتنوّع الكلمات وتتجدّد بين صفحة وصفحة، مادة كليّة ومقدّمات صغيرة لمقولات كبيرة، فيها القصّ الماتع، والتصوير البارع، فيها الحكمة البليغة، والفكرة الصائبة السّديدة، فيها الأدب وفيها العلم، فيها الطرائف والملح، وفيها عيون المسائل في التفسير والحديث والفقه والعقيدة والعلوم الشرعية، فيها العبرة التاريخية، والجواب المفحم، فيها الأثر الأدبي والبحث اللغوي، فيها الشعر وفيها النثر، وفوق ذلك كلّه فيها الاختيار الموفّق الذي ينبي عن حسّ مرهف، وذوق رفيع.

فخذ ما شئت من كتاب «**القلائد من فرائد الفوائد**»، خذ ما شئت من لغة وتاريخ وعلم وأدب وموقف نبيل وحكاية سيّارة، وابتسامة معبّرة، وإيماءة لطيفة، وإشارة موحية، خذ ما شئت من ظُرف وفنّ؛ وتنقّل بين أفيائه وأندائه وظلاله.. تنقل من زهرة إلى زهرة، ومن روضة إلى روضة، ومن بستان إلى بستان، واحمل معك خير زاد، وانهل من هذا الينبوع العذب الذي يتدفّق بين يديك نهلة الظمآن، لقد قرأ «السباعي» وطالع

ثم اختار، فأحسن الاختيار، وهو يدعو دعوة غير مباشرة إلى العودة إلى الينابيع، يدعو إلى التمسّك بالجذور، ولعمري إنّ السهم لا ينطلق من قوسه إذا لم يَشدّ الوتر إلى الوراء بقوّة، والدكتور السباعي يريد أن نقف على أرض صلبة، وما نثره هنا بعيد عن الخلط والتخييل، بعيد عن الترهات، وسفاسف الأمور، إنّه يريد أن يرتقي بالذائقة الثقافية، يريد أن يربّي الفكر المستنير، الفكر الوثّاب المبدع، يريد أن يقرّب الأجيال إلى التراث الأصيل، من أجل الحفاظ على هويتنا وشخصيتنا ومقوّمات حياتنا، لأنّه يعتبر أنّ المعركة الثقافية أشدّ المعارك خطورة وأبعدها آثاراً...

هذا الكتاب وهو القسم الثاني من «**كتاب القلائد من فرائد الفوائد**»، والذي نشر بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلة حضارة الإسلام... نقدمه للقارىء الكريم لنقدم له فسحة سماوية تسمح بتجدّد الهواء، على مدار الساعة واليوم.. فضاء غير محدود يجعلك تستقبل الحياة وأنت أكثر تفاؤلاً، وأقوى أملاً، لأنه يفتح أمامك بوابات الرجاء، ويزيح أستار العتمة، ليحلّ النّور، ويُشرق في «محراب الروح».

الناشر

١ ـ لغويات

الفخر الرازي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾:

أصل السفر: الكشف، وذلك أنّه يكشف عن أحوال الرجال وأخلاقهم، والمسفرة: المكنسة، لأنّها تسفر التراب عن الأرض، والسفير الداخل بين اثنين للصلح، لأنّه يكشف المكروه الذي اتّصل بهما، والمسفر: المضيء، لأنّه قد انكشف وظهر، ومنه أسفر الصبح، والسفر: الكتاب، لأنّه يكشف عن المعاني ببيانه، وأسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفت النقاب.

٢ ـ ما يحرم أكله

وفيه أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ عن الغزالي:

من المال ما يحرم لمعنى في عينه وذلك أنَّ الأموال إمّا أن تكون من المعادن، أو من النبات، أو من الحيوان، أمّا المعادن وهي أجزاء الأرض فلا يحرم شيء منها إلّا من حيث يضرّ بالآكل وهو ما يجري مجرى السمّ، وأمّا النبات فلا يحرم منه إلّا ما يزيل الحياة أو الصحة أو العقل. فمُزيل الحياة السموم، ومُزيل الصحة الأدوية في غير وقتها، ومُزيل العقل الخمر والبنج وسائر المُسكرات. وأمّا الحيوانات فتنقسم إلى ما يُؤكل وإلى ما لا يُؤكل، وما يحل إنّما يحل إذا ذُبح ذبحاً شرعياً ثم إذا ذُبحت فلا تحل بجميع أجزائها، بل يحرم منها الفرث والدم، وكل ذلك مذكور في كتب الفقه.

٣ ـ لا يمتنع قرن الواجب بغيره في اللفظ

النووي في شرح مسلم في حديث: «عشر من الفطرة»:

ثم إنَّ معظم هذه الخصال ليست بواجبة عند العلماء، وفي بعضها خلاف في وجوبه كالختان والمضمضة والاستنشاق، ولا يمتنع قرن الواجب بغيره كما قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، والإيتاء واجب والأكل ليس بواجب.

٤ ـ من عجائب الاتفاق

ابن حجر في «فتح الباري»:

من عجائب الاتفاق أنَّ الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبيّ ﷺ، لم يسلم منهم اثنان وأسلم اثنان، وكان اسم مَن لم يُسلم ينافي أسامي المسلمين، وهما أبو طالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى، بخلاف مَن أسلم وهما: حمزة والعباس.

قلت: وإخواننا الشيعة يذهبون إلى أنَّ أبا طالب مات مؤمناً.

٥ ـ بِمَ حلا كلامهم؟

ابن بشكوال في «الصلة»:

قال علي بن الفضيل لأبيه: يا أبت! ما أحلى كلام أصحاب رسول الله ﷺ؟!

قال: يا بني، وتدري بما حلا؟ قال: لا، قال: لأنّهم أرادوا به الله تعالى.

٦ ـ حسن الفهم لكتاب الله

وفيه أيضاً:

وذكر أنّه كان بالقيروان، فقال رجل: أنا خير البرية!.. فلُبِّب (أي: أُمسِك بتلابيبه) وهمَّت به العامة، فحُمِل إلى الشيخ أبي عمران رَحِمَهُ اللَّهُ فسكَّن العامة، ثم قال له: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال، فقال له: أأنت مؤمن، أو قال: مسلم؟ قال: نعم، قال: تصوم وتصلي وتفعل الخير؟ قال: نعم، قال: اذهب بسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ فانفضّ الناس عنه.

٧ ـ يخفي عن تلميذه صلاته

وفيه أيضاً في ترجمة أحمد بن عبد الله بن أحمد التميمي:

روى عنه شيخنا أبو الحسن بن مغيث وسألته عنه فقال: كان ثقة ديّناً فاضلاً ورعاً متواضعاً، كثير الصلاة، مجاوراً للمسجد الجامع يلتزم الصلاة فيه، وقال لي (شيخنا): كنت اختلفت إليه لأقرأ عليه من كتب الأدب هنالك، فدخلت معه يوماً إلى الجامع في أول الوقت، فقال لي: اذهب إلى موضعي فانتظرني فإنَّ عليّ قضاء حاجة، قال: فتوارى عني وأنا أنظر إليه أبداً، فدخل موضعاً خفياً من الجامع وتوارى فيه وهو يحسب أنَّ عيني ليست واقعة عليه، فرأيته يكثر الركوع

والسجود، لا يفتر عن ذلك إلى أن قَرُبَ وقت الصلاة، فخرج إلى موضع انتظاري له، فقلت له: يا سيدي عسى انقضت الحاجة؟ قال: انقضت إن شاء الله.

٨ ـ جواب مُضحك عن سؤال سخيف

الراغب الأصبهاني في محاضراته:

قال شامي لحمرة بن بيض: لِمَ يرفع الكلب رجله إذا بال؟ قال: مخافة أن ينجس سراويله!

٩ ـ تعبيرات لاذعة عن الكذب والكَذابين

وفيه أيضاً:

قال رجل لكذاب: مرحباً بأبي المنذر! فقال: ليس هذا كنيتي، فقال: قد علمت، إنّما هو كنية مسيلمة ولكنها صفتك، يعرِّض بأنّه كذاب.

وقيل لرجل: ما تقول في فلان؟ قال: أنا لا أذمّ مسيلمة.

وذمَّ رجل آخر فقال: الكذب أحسن ما فيه! وهذا غاية الذمّ.

وقال رجل لأبي حنيفة رضي الله عنه: ما كذبتُ قط، فقال: أمّا أنا فقد شهدت عليك بهذه.

وقال الرشيد للفضل بن الربيع: كذبت! فقال: يا أمير المؤمنين وجه الكذاب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك، يعرِّض

به لأنَّ الإنسان لا يقابل نفسه ولا يخاطبها، فاستحسن تعريضه، فأولاه وما جفاه.

١٠ ـ أدوات الاستفهام

الأنباري في «الإغراب في جدل الإعراب»:

والأصل في الاستفهام أن يكون بالحروف، والأصل فيها الهمزة، والأسماء والظروف محمولة عليها ومعانيها مختلفة، فـ (ما) سؤال عمّا لا يعقل، و(مَن) سؤال عمّن يَعقل، و(كم) سؤال عن العدد، و(كيف) سؤال عن الحال، و(متى) و(أيّان) سؤال عن الزمان، و(أين) و(أنّى) سؤال عن المكان، و(أيّ) سؤال عن التعيين بمنزلة (أم) إذا كانت معادلة لهمزة الاستفهام نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ أي: أيّهما عندك، وقد تكون منقطعة فتكون بمنزلة (بل) و(الهمزة) كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ولا يجوز أن تكون بمنزلة (بل) فقط لأنّه يصير معنى التقدير فيه: (بل له البنات ولكم البنون) وهذا كفر.

والسؤال بـ(أم) المنقطعة لا يكون إلّا مع تقدير الإضراب عن الأول، فإن كان قبلها خبر نحو قولهم: (إنّها لإبل أم شاء؟) فهو استئناف استفهام يستحق الجواب، وإن كان قبلها استفهام نحو: (هل زيد عندك أم عمرو؟) فهو رجوع عن السؤال الأول وانتقال إلى آخر.

١١ ـ كنت تخطبنا من بئر

📖 ابن حجة الحموي عن ابن الجوزي في «الأذكياء»:

قال المتوكل يوماً لجلسائه: نعم، المسلمون لهم على عثمان أشياء، منها: أنَّ الإمام أبا بكر رضي الله عنه لمّا تسنم المنبر هبط عن مقام النبيّ ﷺ بمرقاة، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر، وصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عبَّاد: ما أحد أعظم منّة عليك من عثمان يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ويلك؟ قال: لأنّه صعد ذروة المنبر ولو أنّه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان كمَن تقدَّمه كنت أنت تخطبنا من بئر! فضحك المتوكل ومَن حوله.

١٢ ـ نعمَ القاضي قاضينا!

📖 ياقوت في «معجم البلدان» في الكلام عن مدينة «جَبُّل»:

وبقاضيها يضرب المثل: (وهو أجهل من قاضي جَبُّل)، وكان من حديثه: أنَّ المأمون كان راكباً يوماً في سفينة يريد واسطاً ومعه القاضي يحيى بن أكثم. فرأى رجلاً على شاطىء دجلة يعدو مقابل السفينة وينادي بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين! نعم القاضي قاضينا، نعمَ القاضي قاضي جَبُّل، فضحك القاضي يحيى بن أكثم، فقال له المأمون: ما يضحكك يا يحيى؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا المنادي هو قاضي جَبُّل يثني على نفسه!.. فضحك منه وأمر له بشيء وعزله وقال: لا يجوز أن يلي المسلمين مَن هذا عقله..

١٣ ـ الثغور

۞ وفيه أيضاً في الكلام عن «الثغر»:

كل موضع قريب من أرض العدوّ يسمّى ثغراً، كأنّه مأخوذ من الثُغرة وهي الفُرجة في الحائط وهو في مواضع كثيرة، منها ثغر الشام وجمعه ثغور، وهذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة.

ثم قال: وقال أحمد بن يحيى بن جابر: كانت الثغور الشامية أيام عمرو وعثمان وبعد ذلك، أنطاكية وغيرها المدعوة بالعواصم، وكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم وراء طرسوس، وكانت فيما بين الإسكندرية وطرسوس حصون ومسالح للروم كالحصون والمسالح التي يمرّ بها المسلمون اليوم، وكان هرقل نقل أهل تلك الحصون معه وشعثها، فكان المسلمون إذا غزوها لم يجدوا فيها أحداً، وربما كَمَن عندها قوم من الروم فأصابوا غرّة من المسلمين المنقطعين عن عساكرهم، فكان ولاة الشواتي والصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلّفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم.

وقد اختلفوا في أول مَن قطع الدرب وهو درب بفراس (قرب أنطاكية) فقيل: قطعه ميسرة بن مسروق العبسي وجهه أبو عبيدة فلقيَ جمعاً للروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم لحق به مالك الأشتر اللخمي مدداً من قبل أبي عبيدة وهو بأنطاكية إلخ...

١٤ ـ ينجيه حُسن بيانه من العقوبة

الإبشيهي في «المستطرف»:

وأُحضر إلى الهادي رجل من أصحاب عبد الله بن مالك (وكان ممَّن خرج على الهادي) فوبخه على ذنب، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ إقراري يُلزمني ذنباً لم أفعله، ويُلحق بي جرماً لم أقف عليه، وإنكاري ردٌّ عليك ومعارضة لك، ولكني أقول:

فإن كنت تبغي بالعقاب تشفيّاً فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

فقال (الهادي): لله درّك من معتذر بحق أو باطل، ما أمضى لسانك وأثبت جَنانك، وعفى عنه وخلّى سبيله.

١٥ ـ حلم معاوية

وفيه أيضاً:

وكان معاوية رضي الله عنه يُعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة، وكان يقول: إنّي لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي.. وهذه مروءة عالية المرتبة.

وقال له رجل يوماً: ما أشبه أستك بأست أمك! فقال: ذاك الذي أعجب أبا سفيان منها.

١٦ ـ الجهاد أكرم عند الله من عمارة المساجد

وفيه أيضاً:

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلي بن

أبي طالب، فقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال طلحة: أنا خادم البيت ومعي مفتاحه، فقال علي رضي الله عنه: ما أدري ما تقولان؟ أنا صليت إلى القبلة قبلكما بستة أشهر، فنزلت الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾.

١٧ ـ من بديع الإيجاز في القرآن

الزركشي في «البرهان»:

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ الآية، فإنّها نهاية التمييز.

وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦)﴾، وهذا بيان عجيب يُوجب التحذير من الاغترار بالإمهال.

وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠)﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١)﴾، وهذا من أحسن الوعد والوعيد.

وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة.

وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، فهذه جمعت مكارم الأخلاق كلها، لأنَّ في: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صلة القاطعين، والعفو عن الظالمين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله

وصلة الأرحام، وصرف اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه.

وقوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾، فدلّ على نفسه، ولطفه، ووحدانيته، وقدرته، وهدى للحجة على مَن ضلَّ عنه، لأنّه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتربة لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم والروائح، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مغرس واحد، ولكنه صُنْع اللطيف الخبير.

وقوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ كيف أمر ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمّى، وأهلك وأبغى، وأسعد وأشقى، وقل من الأنباء ما لو شُرح لاندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان ما لو كُتب لجفّت الأقلام وانحسرت الأيدي.

١٨ ـ فطام طفل

الصفدي في «الوافي بالوفيات» في ترجمة أبي بكر بن جعفر الخرايطي السامري:

دخل يوماً داره فسمع بكاء ولد له رضيع فقال: ما له؟ فقالوا: فطمناه، فكتب على مهده:

منعوه أحبَّ شيء إليه ... من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاءه ولقد كا ... ن مباحاً له وبين يديه

عجباً منه، وعلى صغر السـ نٌ هَوِي فاهتدى الفراق إليه

١٩ ـ من أمثال العرب

الميداني في «مجمع الأمثال»:

«أجبن من صافر»، قال أبو عبيد: الصافر كل ما يصفر من الطير، والصفير لا يكون في سباع الطير، وإنما في خشاشها[١] وما يصادفها، وذكر محمد بن حبيب أنّه طائر يتعلق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ، فيصفر منكوساً طول ليلته.

٢٠ ـ وهل أمك امرأة؟

الحصري القيرواني في «جمع الجواهر» وقد تكلم عن غفلة أبي جعفر الشق[٢]:

وقال أبو الحسن كاتبه: وأتيت إليه يوماً وقد ماتت والدتي فعرَّفته فبكى، وقال: ماتت كبيرتي ومربيتي، وهو كان أكبر منها بأربعين سنة! ثم قال لغلامه: يا بشري، قم فجئني بعشرين ديناراً، فأتاه بها، فقال: خذها فاشتر بعشرة دنانير كفناً وتصدّق بخمسة دنانير على القبر.

وأقبل يصرف الخمسة الباقية فيما يحتاج إليه من تجهيزها.

---

(١) الخشاش: حشرات الأرض والعصافير ونحوها.

(٢) انظر ما نقلناه عنه في فرائد العدد الثامن من السنة الثانية.

ثم قال لغلام آخر: امض أنت يا لؤلؤ إلى فلان صاحبنا لا يفوتنك بغسلها! فاستحييت منه، وقلت: يا سيدي ابعث خلف فلانة جارة لنا تغسلها، قال: يا أبا الحسن ما تدع عقلك في فرح ولا حزن كأن حرمك ما هي حرمي؟ كيف يدخل عليها مَن لا تعرفه؟ قلت: نعم، تأذن لي بذلك، قال: لا والله ما يغسلها إلّا فلان... فقلت: وكيف يغسل رجل امرأة؟ قال: وإنما أمك امرأة؟ والله لقد نسيت!..

٢١ ـ ثلاثة تعجز النساء أن تلد مثلهن

الذهبي في «تاريخ دول الإسلام» كما في مقدمة كتاب «الأموال» لأبي عبيد:

قال إبراهيم الحربي: رأيت ثلاثة تعجز النساء أن يلدنَ مثلهن: رأيت أبا عبيد (القاسم بن سلام) ما أمثّله إلّا بجبل نفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث فما شبهته إلّا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله قد جمع له علم الأولين من كل صنف، يقول ما شاء، ويمسك ما شاء.

٢٢ ـ صدق أبو عبيد

ياقوت في «معجم الأدباء»:

قدّم طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان ـ وهو حدث ـ في حياة أبيه يريد الحجّ، فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم، فوجّه إسحاق إلى العلماء، فأحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ

عليهم، فحضر أصحاب الحديث والفقه، وأحضر ابن الأعرابي وأبا نصر صاحب الأصمعي، ووجّه إلى أبي عبيد في الحضور فأبى أن يحضر وقال: العلم يُقصد! فغضب إسحاق من قوله ورسالته، وكان عبد الله بن طاهر يُجري له في الشهر ألفي درهم، فقطع إسحاق عنه الرزق، وكتب إلى عبد الله بالخبر، فكتب إليه عبد الله: قد صدق أبو عبيد في قوله، وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله، فأعطه وأثِبْه، وأدرَّ عليه بعد ذلك ما يستحقه.

٢٣ ـ علاج لحقد الصدر ووساوسه

أبو عبيد في «كتاب الأموال»:

حدّثنا عنبسة بن عبد الواحد القرشي، عن سعيد بن أبي عروبة، أو سعيد بن إياس الجزيري ـ وأكثر ظنّي أنّه سعيد بن إياس ـ عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشِّخِّير قال: كنا بالمربد[1] ـ قال أبو عبيد: أحسبه قال: ومعنا مطرِّف ـ فأتانا أعرابي ومعه قطعة أديم، فقال: أفيكم مَن يقرأ؟ قلنا: نعم، فأعطانا الأديم، فإذا فيه:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ لبني زهير بن أقيش من عكل، إنّكم إن شهدتم أنَّ لا إلٰه إلّا الله،

---

(١) هو سوق بالبصرة كان في الأصل سوقاً للإبل، حتى إذا كان عهد الأمويين صار سوقاً عامّة تتّخذ فيه المجالس ويخرج إليها الناس كل يوم (أسواق العرب للأفغاني: ٤٠٨).

وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من المغانم الخمس، وسهم النبيّ ﷺ، والصفيَّ ـ أو قال: وصفيه ـ **فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله**».

قال: فقلنا له: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً تحدّثنا به؟ قال: نعم، سمعته يقول: «**مَن سرّه أن يذهب كثير من وحر صدره** ـ أو وغر صدره[1] ـ **فليصم شهر الصبر** (رمضان) **وثلاثة أيام من كل شهر**»، فقلنا له: أنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: فغضب، وقال: أفتروني أكذب على رسول الله ﷺ؟ ثم أخذ الكتاب وانطلق.

٢٤ ـ اثنان ظالمان

الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» مخطوطة في مكتبة بلدية الإسكندرية:

قال بعض الحكماء: اثنان ظالمان: رجل أُهديت إليه النصيحة فاتّخذها ذنباً، ورجل وسع له في مكان ضيق فجلس متربعاً!

٢٥ ـ أعون الأشياء على الحفظ

وفيه أيضاً:

قيل لحماد بن زيد: ما أعون الأشياء على الحفظ؟ قال: قلّة الغمّ، وليس يكون قلّة الغمّ إلّا مع خلو السنّ وفراغ القلب، والليل أقرب الأوقات من ذلك.

---

(١) هو غشه ووساوسه وحقده وغيظه.

٢٦ ـ لذة التفوق في العلم أحلى من لذة الرئاسة

وفيه أيضاً:

عن الحسين بن فارس اللغوي يقول: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أنَّ في الدنيا حلاوة ألذَّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت الطبراني وأبا بكر الخطابي بحضرتي، وكان الطبراني يغلب الخطابي بكثرة حفظه، وكان الخطابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الخطابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلّا عندي (أي: ليس في عصره مَن يرويه بمثل سنده غيره) فقال: هاته! فقال: حدّثنا أبو خليفة، حدّثنا سليمان بن أيوب، وحدّث بالحديث (وهو خروج النبيّ ﷺ إلى الطائف ودعاؤه المشهور).

فقال الطبراني: حدّثنا سليمان بن أيوب، ومتى سمع أبو خليفة؟ اسمع مني حتى يعلو إسنادك، فإنّك تروي عن أبي خليفة عني، فخجل الخطابي وغلبه الطبراني.

قال ابن العميد: فوددت في مكاني أنَّ الوزارة والرياسة لم تكن لي وكنت الطبراني، وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث.

٢٧ ـ تأنّق المفسدين في تحسين كتبهم

الجاحظ في «الحيوان»:

وقال إبراهيم بن السندي: وددت أنَّ الزنادقة لم يكونوا

حرصاء على المُغالاة بالورق النقي الأبيض، وعلى تخيُّر الحبر الأسود المُشرق البراق، وعلى استجادة الخط والإرغاب لمن يَخُط، فإنّي لم أرَ كورق كتبهم ورقاً، ولا كالخطوط التي فيها خطاً.

٢٨ ـ السفيه إمّا حمار أو كلب

وفيه أيضاً:

كان في اليونانيين ممرور (معتوه) له نوادر عجيبة، وكان يسمّى «ديسيموس»، والحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة، ما منها إلّا وهي غُرةٌ وعين من عيون النوادر:

فمنها: قال له بعضهم: ما بال ديسيموس يعلّم الناس الشِّعر ولا يقول الشِّعر؟ قال: ديسيموس كالمِسَنّ الذي يشحذ ولا يقطع.

وأسمعه رجل كلاماً غليظاً، وسطا عليه، وفحَّش في القول، وتحلم عنه فلم يُجبه، فقيل له: ما منعك من مكافأته وهو لك مُعرض؟ قال: أرأيت لو رَمَحَك حمار أكنت ترمحه؟ قال: لا، قال: فإن نبح عليك كلب تنبح عليه؟ قال: لا، قال: فإنَّ السفيه إمّا أن يكون حماراً، وإمّا أن يكون كلباً، لأنّه لا يخلو من شرارة تكون فيه أو جهل، وما أكثر ما يجتمعان فيه!

٢٩ ـ كلمات للرسول لم يتقدّمه فيهن أحد

وفيه أيضاً:

وكلمات النبيّ ﷺ لم يتقدّمه فيهن أحد: من ذلك قوله: **«إذاً لا ينتطح فيها عنزان»**، و**«مات حتف أنفه»**، و**«يا خيل الله اركبي»**، و**«كل الصيد في جوف الفَرا»**، و**«لا يُلسع المؤمن من جحر مرتين»**.

٣٠ ـ اعرف لغتك

في معاجم اللغة:

يُقال لصوت الإبل: رُعاء، وللشاء: ثُغاء، وللخيل: صهيل، وللبغال: شحيج، وللحمير: نهيق، وللثيران: خوار، وللفحل من كل حيوان: هدير، وللأسد: زئير، وللظباء: بغاء، ولذكور الظباء: نزيب، وللذئاب: عواء، وللكلاب: نباح، وللديكة: زقاء، وللسنانير: ضعفاء، وللنسور: صفير، وللجراء (صغار الكلب والأسد): صوصأة، وللدجاج: قوقأة، وللغربان والبوم: نعيب، وللأفاعي لِما تُحدثه بجلودها حين زحفها: كشيش، ولِما تُحدثه بأفواهها: فحيح.

٣١ ـ باب الله!

القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة»:

اغتصب بعض الجند امرأة على نفسها من الطريق وأدخل المرأة داره، وقال: أغلقوا الباب فأغلقوه وراودها عن نفسها فامتنعت فأكرهها ولحقها منه شدة، حتى إذا جلس منها

مجلس الرجل من المرأة فقالت له: يا هذا اصبر حتى يغلق باب قد بقيَ عليك، قال: أي باب؟ قالت: الباب الذي بينك وبين الله، فقام، وقال: قد فرّج الله عنك انصرفي لا أتعرّض لك أبداً.

٣٢ ـ لولا بُنيات!

عبد الله عفيفي في «المرأة العربية»:

لقد كان العرب رواد غارات، وطلاب ثارات، وكان الرجل منهم يغتمر الموقعة (يخوض غمارها) لا يدري هنا أَوَقع على الموت أم وقع الموت عليه، غير أنَّ خيال ابنته وما عسى أن يصيبها من بعده من حاجة وهوان، كان يتغلغل في نفسه فيهيج بها حبّ الحياة، فمثله في ذلك مثل إسحاق بن خلف حيث يقول:

لولا أميمة لم أجزع من العدم
ولم أجب[1] في الليالي حندس[2] الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
تهوى بقائي وأهوى موتها شفقا
والموت أكرم نزال على الحرم

---

(١) جاب بمعنى قطع.

(٢) الحندس: الليل الشديد الظلمة.

أحاذر الفقر يوماً أن يلمَّ بها
فيكشف الستر عن لحم على وضم[1]
إذا تذكرت بنتي حين تندبني
فاضت لرحمة بنتي عَبْرتي بدم

وفي سبيل ذلك يقول حطان بن المعلى:

لولا بنيات كزغب[2] القطا
رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

٣٣ ـ من مآثر زينب أمّ المؤمنين

وفيه أيضاً عن «الإصابة»:

وحدّثت برزة بنت رافع قالت: لمّا خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش (زوج النبيّ ﷺ) بالذي لها، فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر! غيري من أخواتي (أمهات

---

(١) الوضم: خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم، ويُقال: تركهم لحماً على وضم، أي: أوقع بهم فذللهم وأوجعهم.
(٢) الزغب: أوّل ما يبدو من الشّعر أو الريش.

المؤمنين) كان أقوى على قسم هذا مني، قالوا: هذا كله لكِ، فاشترت منه بثوب وقالت: صبّوه واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي به إلى بني فلان وبني فلان ـ من أهل رحمها وأيتامها ـ حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة: غفر الله لكِ يا أمّ المؤمنين! والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب.

وحدّث محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب اثني عشر ألف درهم حُمل إليها فقسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يُراد بها خير، فوقف على بابها وأرسل بالسلام وقال: قد بلغني ما فرقت، فأرسل إليها بألف درهم لتنفقها، فسلكت بها طريق ذلك المال.

وقالت رضي الله عنها حين حضرتها الوفاة: إنّي قد أعددت كفني ولعلّ عمر سيبعث إليّ بكفن فتصدّقوا بأحدهما، إن استطعتم إذا وليتموني في أن تصدّقوا بحقوقي فافعلوا.

٣٤ ـ من مآثر عائشة أمّ المؤمنين

وفيه أيضاً عن ابن سعد في «طبقاته»:

قال عروة: رأيت عائشة تصدّق بسبعين ألفاً وإنّها لترفع جانب ورعها (كناية عن خلقه ورثاثيته).

وعن أمّ ذرة: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يبلغ مائة ألف، فدعت بطبق ـ وهي يومئذٍ صائمة ـ فجعلت تقسم في الناس، فلمّا أمست قالت: يا جارية هاتي

فطري، فقالت أمّ ذرة: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ فقالت عائشة: لا تعنِّفيني! لو كنت أذكرتيني لفعلت.

٣٥ ـ لا يليق بالمسلمة أن تلبس ما يصف جسمها

وفيه وهو يتحدّث عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

قدّم إليها ولدها المنذر بن الزبير من العراق بثياب رقاق عتاق[١] بعدما كفَّ بصرها، فلمستها بيدها ثم قالت: ردّوا عليه كسوته! فشقّ ذلك عليه وقال: يا أمة إنّها لا تشِّف (أي: لا تُظهر ما وراءها من الجسم) فقالت: إن لم تشِّف فإنّها تصف (أي: تفصِّل الجسم تفصيلاً).

٣٦ ـ أنا أوّل من أظهر العقوق لوالديه!

الحصري القيرواني في «زهر الآداب»:

قال أبو العيناء: أنا أوّل مَن أظهر العقوق لوالديه بالبصرة! قال لي أبي: إنَّ الله قد قرن طاعته بطاعتي، فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾.

فقلت: يا أبتِ، إنَّ الله قد أمَّنني عليك، ولم يأمنك عليّ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾.

---

(١) العتاق: جمع عتيق وهو الحسن من كل شيء.

٣٧ ـ من بليغ الهجاء

وفيه أيضاً:

وكان أبو العيناء يعادي ابن ثوابة لمعاداته لأبي صقر، فاجتمعا في مجلس «صاعد» (بن مخلد الوزير) فتلاحيا، فقال ابن ثوابة: أما تعرفني؟ فقال: بلى! أعرفك ضيِّق العطن (كناية عن الحمق) كثير الوسن (أي: النوم كناية عن البَلادة) خارّاً على الذقن (كناية عن المهانة)، وقد بلغني تعدّيك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك لأنّه لم يجد لك عزّاً فيذله، ولا علواً فيضعه، ولا مجداً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله، ودمك أن يسفكه.

فقال ابن ثوابة: ما تسابّ إنسانان إلّا غلب ألأمهما!

فقال أبو العيناء: فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر!

٣٨ ـ هل كان الخليفة المعتصم أميّاً؟

وفيه أيضاً:

قال العباس بن المأمون: ولمّا أفضت الخلافة إلى المعتصم دخلت، فقال: هذا مجلسٌ كنتَ أكره الناس لجلوسي فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! أنت تعفو عمّا تيقنته، فكيف تعاقب على ما توهمته؟ فقال: لو أردت عقابك لتركت عتابك.

وكان المعتصم شهماً، شجاعاً، عاقلاً، مفوهاً، ولم يكن في خلفاء بني العباس أميّ غيره، وقيل: بل كان يكتب خطاً ضعيفاً، وكان سبب ذلك أنّه رأى جنازة لبعض الخدم فقال:

ليتني مثله لأتخلص من الكتّاب، فقال الرشيد: والله لأعذبنك بشيء تختار عليه الموت (يعني: الأمية).

قال أبو القاسم الزجاجي: وهذا شيء يُحكى من غير رواية صحيحة، إلّا أنَّ جملته أنّه كان ضعيف البصر بالعربية.

٣٩ ـ نحافة الجسم مع ضخامة العلم

ابن خلكان في «وفيات الأعيان» في ترجمة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي:

كان ببغداد شاعر مفلق يُقال له: «عاصم» فقال يمدح الشيخ أبا إسحاق قدّس الله سرّه:

تراه من الذكاء نحيف جسم
عليه من توقده دليلُ
إذا كان الفتى ضخم المعالي
فليس يضرّه الجسم النحيلُ

وفيه يقول أبو القاسم ابن تاقياء، يرثيه:

إن قيل مات فلم يمت مَن ذِكرهُ
حيّ على مرّ الليالي باقي

٤٠ ـ الحق قد يعتريه سوء تعبير

وفيه أيضاً في ترجمة إبراهيم بن منصور العراقي:

وقد روي عنه أنّه كان يقول:

أنشدني شيخنا ابن الخل (أبو الحسن محمد بن المبارك بن الخل البغدادي) ولم يُسمِّ قائلاً:

في زخرف القول تزيين لباطله
والحقّ قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن ذممت تقل قيء الزنابير
مدحاً وذمّاً وما جاوزت وصفهما
حسنُ البيان يُري الظلماء كالنور

٤١ ـ كذاك الحمير إذا أخصبت!

وفيه أيضاً في ترجمة إبراهيم بن نصر قاضي السَّلَّامية الفقيه الشافعي الموصلي:

وكان بالبوازيج ـ وهي بُليدة بالقرب من السلَّامية[1] ـ زاوية لجماعة من الفقراء (الصوفية) اسم شيخهم «مكي» فعمل فيهم:

ألا قُل لمكيٍّ ـ قول النصوح
فحقٌّ ـ النصيحة أن تُستمع
متى سمع الناس في دينهم
بأن الغِنا سُنَّةٌ تُتَّبع
وأن يأكل المرء أكل البعير
ويرقص في الجمع حتى يقع

(١) بُليدة على شط الموصل من الجانب الشرقي أسفل الموصل (وفيات الأعيان).

ولو كان طاوي الحشا[1] جائعاً

لما دار من طرب واستمع

وقالوا سكرنا بحب الإلٰه

وما أسكر القومَ إلّا القِصع[2]

كذاك الحمير إذا أخصبت

يُنَقِّزها ريُّها والشبع[3]

٤٢ ـ لماذا لم يتكلم المفسرون الأُول في بلاغة القرآن

الإمام الزركشي في «البرهان» بعد أن ذكر أنَّ من علوم القرآن معرفة بلاغته وإعجاز تركيبه:

فإن قلت: كيف عددت هذا من أنواع علومه، مع أنَّ سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه ولم يُنقل عنهم شيء من ذلك، وإنّما هذا أحدثه المتأخرون؟

قلت: إنما سكت الأولون عنه لأنَّ القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان، ولم يُقصد منه تعليم طرق الفصاحة، وإنما جاءت لتكون معجزة، وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه، فلم يكن الخوض فيه مسوغاً، إذ البلاغة ليست مقصودة فيه

(١) ضامر البطن من الجوع.
(٢) جمع قصعة، وهي صحفة الطعام.
(٣) ينقزها: يرقصها.

أصلاً، لأنّه موجود في الصحف الأولى (؟!) لا مع هذه البلاغة المعينة، وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتكلم، فلهذا لم يتكلم السلف في ذلك، وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان، بخلاف استنباط الأحكام، فلهذا تكلموا في الثاني دون الأول.

قلت: ولعلّ الوجه الأخير هو الجواب الصحيح.

٤٣ ـ ترتيب السور في المصحف توقيفي

وفيه أيضاً:

لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطلع على أنّه توقيفي صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف، كما في الحواميم.

وثانيها: لموافقة أوّل السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى وأوّل البقرة.

وثالثها: للوزن في اللفظ، كآخر «تَبَّت» وأوّل الإخلاص.

ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى، مثل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

٤٤ ـ عدد مصاحف عثمان

وفيه أيضاً:

قال أبو عمرو الداني في المقنع: أكثر العلماء على أنَّ

عثمان لمّا كتب المصاحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحداً: الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحداً عنده. وقد قيل: إنّه جعله سبع نسخ، وزاد: إلى مكة، وإلى اليمن، وإلى البحرين.

قال: والأوّل أصحّ وعليه الأئمة.

٤٥ ـ مَن تصحب؟ وكيف تصحب؟

أبو نصر الطوسي في «اللمع»:

قال رجل لذي النون المصري: مَن أصحب؟ قال: مَن إذا مرضتَ عادك، وإذا أذنبت تاب عليك.

وعن ذي النون رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه قال: لا تصحب مع الله إلّا بالموافقة، ولا مع الخلق إلّا بالمناصحة، ولا مع النفس إلّا بالمحافظة، ولا مع الشيطان إلّا بالعداوة والمحاربة.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لأن يصحبني رجل فاسق حَسن الخلُق أحبّ إليّ من أن يصحبني قارىء سيء الخلُق..

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى: اجتنب صُحبة ثلاثة أصناف من الناس:

الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

٤٦ ـ آداب الصلاة

الإمام الزركشي في «البرهان»:

ومن آدابهم في الصلاة أنَّ للصلاة أربع شعب: حضور القلب في المحراب، وشهود العقل عند الوهاب، وخشوع القلب بلا ارتياب، وخضوع الأركان بلا ارتقاب. لأنَّ عند حضور القلب رفع الحجاب، وعند شهود العقل رفع العتاب، وعند خشوع القلب فتح الأبواب، وعند خضوع الأركان وجود الثواب.

فمَن أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصلٍّ لاهٍ، ومَن أتاها بلا شهود العقل فهو مصلٍّ ساهٍ، ومَن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصلٍّ خاطىء، ومَن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصلٍّ جافٍ، ومَن أتمّها فهو مصلّ وافٍ.

٤٧ ـ مناجاة!

أبو عبد الرحمن السُّلَمي في «طبقات الصوفية»:

عن جعفر الخلدي قال: سمعت الجُنَيد يقول: يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه، ويا بادي العارفين بما به عرفوه، ويا موفّق العابدين لصالح ما عملوه، مَن ذا الذي يشفع عندك إلّا بإذنك؟ ومَن ذا الذي يذكرك إلّا بفضلك؟

٤٨ ـ يوم الوشاح

القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة»:

قال المدايني في كتابه: أنَّ أعرابية كانت تخدم نساء النبيّ ﷺ وكانت كثيراً تتمثل بهذا البيت:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا
ألا إنّه من ظلمة الكفر نجّاني

فقيل لها: إنّكِ لَتكثرين التمثُّل بهذا البيت، وإنّا لَنظنّه لأمرٍ فما هو؟

فقالت: أجل، كنت عسيفة على قوم من البادية - والعسيف: الأجير - فجاءت جارية منهن فاختطف وشاحها عُقابٌ ونحن لا ندري، فقلن: إنَّ الوشاح أنتِ صاحبته (أي: أنتِ التي سرقته) فحلفتُ واعتذرتُ، فأَبَيْنَ قبول قولي، واستعدين الرجال، فجاؤوا وفتشوني فلم يجدوا شيئاً، فقال بعضهم: احتملته في.. فأرادوا أن يفتشوا.. فما ظنّكم بامرأة تخاف ذلك؟ فلمّا خفت الشرّ رفعتُ رأسي إلى السماء وقلت: يا رباه أغثني، فمرّت العُقاب فطرحته بيننا، فندموا وقالوا: ظلمنا المسكينة، وجعلوا يعتذرون إليّ، فما وقعت في كربة إلّا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح، ورجوت الفرج..

٤٩ - الرجل يُنبىء عمّا في نفسه في ثلاثة أماكن

وفيه أيضاً:

سار الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له، فلم يرفع له رأساً ولا قضى له حاجة، فقام مغضباً، فلم يَدعُ به ولا اكترث بغضبه، وفي المجلس يحيى بن خالد، فقال لبعض خاصته: اتبعه فانظر ماذا يقول، فإنَّ الرجل يُنبىء عمّا في نفسه في ثلاثة أماكن: إذا اضطجع على فراشه، وإذا

خلا بفرسه، وإذا استوى على سرجه، قال الرجل: فاتّبعته، فلمّا استوى على سرجه عضّ على شفتيه وقال شعراً:

عسى وعسى يُثني الزمانُ عنانَه
بعثرةِ دهر والزمانُ عَثُور
فتُدرَك آمال وتُقضى مآرب
ويَحدث من بعد الأمور أمور

٥٠ ـ دعاء مريض!

وفيه أيضاً:

عن عبد الله بن جعفر: أنّه أصابه مرض فمنعه من الطعام والنوم، فبينما هو ذاتَ ليلة ساهرٌ إذ سمع وجبة (ضجة) في حجرته. فإذا هو يسمع كلاماً، فوعاه فبرىء مكانه، والكلام هو: اللّهمَّ أنا عبدك ولك أُصلي، فاجعل الشِّفاء في جسدي، واليقين في قلبي، والنور في بصري، وذكرك في الليل والنهار ـ ما بقيتُ ـ في لساني، وارزقني منك رزقاً غير ممنوع ولا محظور.

٥١ ـ الفراسة وصحتها وأخبارٌ عنها

القرطبي المفسر، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾[1]:

روى الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث أبي

(١) الحجر: ٧٥.

سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«للمتفرسين»** وهو قول مجاهد.

وروى أبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: **«اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»**، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾، قال (الترمذي): هذا حديث غريب(١).

وقال مقاتل وابن زيد: للمتوسمين: للمتفكرين.

وقال الضحاك: للناظرين، وقال قتادة: للمعتبرين، وقال أبو عبيدة: للمتبصرين، والمعنى متقارب.

وروى الترمذي الحكيم من حديث ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسُّم»**.

قال العلماء: التوسُّم: تفعُّلٌ من الوَسْم، وهي العلامة التي يُستدل بها على مطلوب غيرها، يُقال: توسمتُ فيه الخير: إذا رأيت مِيسَم ذلك فيه، ومنه قول عبد الله بن رواحة للنبي ﷺ:

إنّي توسمت فيك الخير أعرفه
والله يعلم أنّي ثابت البصر

وقال ثعلب: الواسم: الناظر إليك من فَرقك (مفرق الشَّعر من الرأس) إلى قدمك، وأصل التوسُّم التثبت والتفكُّر،

(١) هو في اصطلاح علماء الحديث: ما رواه راوٍ واحد.

مأخوذ من الوسم وهو التأثير بحديدة في جلد البعير وغيره، وذلك يكون بجودة القريحة، وحِدَّة الفكر، وصفاء الفكر، زاد غيره: وتفريغ القلب من حشو الدنيا، وتطهيره من أدناس المعاصي، وكدورة الأخلاق، وفضول الدنيا، روى نهشل عن ابن عباس: ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: لأهل الصلاح والخير، وزعمت الصوفية أنّها كرامة.

وقيل: بل هي استدلال بالعلامات، ومن العلامات ما يبدو ظاهراً لكل أحد وبأوّل نظرة، ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل أحد ولا يُدرَك ببادىء النظر.

قال الحسن: المتوسمون هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أنَّ الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يُهلك الكفار (هذه الآية وردت في سورة الحِجر بعد الحديث عن قوم لوط) فهذا من الدلائل الظاهرة.

ومثله ما روي عن ابن عباس: ما سألني أحد عن شيء إلّا عرفتُ: أفقيهٌ هو أو غير فقيه؟!

٥٢ ـ الفراسة وصحتها وأخبار عنها (تتمة)

وروي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما كانا بفناء الكعبة، ورجل على باب المسجد، فقال أحدهما: أراه نجاراً، وقال الآخر: بل حداداً، فتبادر مَن حضر إلى الرجل فسأله، فقال: كنت نجاراً وأنا اليوم حداد!

وروي عن جُندُب بن عبد الله البَجَلي أنّه أتى على رجل يقرأ القرآن، فوقف فقال: مَن سَمّع سَمّع الله به، ومَن راءى راءى الله به، فقلنا له: كأنّك عرضت بهذا الرجل، فقال: إنَّ هذا يقرأ عليك القرآن اليوم، ويخرج غداً حرورياً، فكان رأس الحرورية، واسمه مرداس (والحرورية فرقة من الخوارج).

وروي عن الحسن البصري أنّه دخل عليه عمرو بن عبيد، فقال (الحسن): هذا سيد فتيان البصرة إن لم يُحدِث (يبتدع)، فكان من أمره من القدر ما كان (هو من رؤوس المعتزلة القائلين بأنَّ الإنسان يخلق أفعال نفسه بقدرة من الله تعالى) حتى هجره عامة إخوانه، وقال (الحسن) لأيوب: هذا سيد فتيان أهل البصرة، ولم يستثنِ.

وروي عن الشعبي: أنّه قال لداود الأزدي وهو يُماريه (يجادله): إنّك لا تموت حتى تُكوى في رأسك، وكان كذلك.

وروي أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ دخل عليه قوم من مُذْحِج فيهم الأشتر، فصعَّد فيه النظر وصوّبه، وقال: أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث، فقال: ما له قاتله الله؟ إنّي لأرى للمسلمين منه يوماً عصيباً، فكان منه في الفتنة ما كان.

وروي عن عثمان بن عفان ﷺ أنَّ أنس بن مالك دخل عليه، وكان قد مرّ بالسوق فنظر إلى امرأة، فلمّا نظر إليه قال عثمان: يدخل أحدكم عليَّ وفي عينيه أثر الزنى؟ فقال له أنس: أوحياً بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن برهان وفراسة وصدق.

ومثله كثير عن الصحابة والتابعين..

٥٣ ـ هل يقضي القاضي بالفراسة؟

ثم قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك:

قال أبو بكر بن العربي: إذا ثبتَ أنَّ التوسُّم والتفرُّس من مدارك المعاني فإنَّ ذلك لا يترتب عليه حكم، ولا يُؤخذ به موسوم ولا متفرس، وقد كان قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد ـ أيام كوني بالشام ـ يحكم بالفراسة في الأحكام، جرياً على طريق إياس بن معاوية أيام كان قاضياً، وكان شيخنا فخر الإسلام أبو بكر الشاشي صنَّف جزءاً في الردّ عليه، كتبه لي بخطه وأعطانيه، وذلك صحيح، فإنَّ مدارك الأحكام معلومة شرعاً، مدرَكةً قطعاً، وليست الفراسة منها.

٥٤ ـ منصِّل الأسنة!

في البخاري من حديث أبي رجاء العطاردي الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخيرُ منه[1] ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جُثوة (كومة) من تراب، ثم جئنا بالشاة نجليها عليه ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: مُنَصِّلُ الأسنة (أي: إنَّ شهر رجب تنزع فيه الأسنة)

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث في فتح الباري: وأخير لغة في: خير، والمراد بالخيرية الحسبة من كونه أشدّ بياضاً، أو نعومةً، أو غير ذلك من صفات الحجارة المستحسنة.

فلا ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلّا نزعناه وألقيناه شهر رجب (أي: في شهر رجب).

٥٥ ـ يحبهم لثلاث سمعها عنهم من الرسول ﷺ

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

لا أزال أحبّ بني تميم بعد ثلاث سمعتها من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: «**هم أشدّ أمّتي على الدجال**»، وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال الرسول ﷺ: «**أعتقيها فإنّها من ولد إسماعيل**»، وجاءت صدقاتهم فقال: «**هذه صدقات قوم أو قومي**».

٥٦ ـ يرجو مغفرة الله لثلاثة أشياء

ابن خلكان في «وفيات الأعيان» في ترجمة إبراهيم بن يحيى الغزي الشاعر:

ونُقل عنه أنّه كان يقول لما حضرته الوفاة: أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء: كوني من بلد الإمام الشافعي، وأنّي شيخ كبير، وأنّي غريب..

٥٧ ـ دواعي الشِّعر!

وفيه من شِعر إبراهيم بن يحيى الغزي الشاعر المذكور آنفاً:

قالوا هجرت الشِّعر، قلت ضرورةٌ
باب الدواعي والبواعث مُغلَق
خلت الديار فلا كريم يُرتجى
منه النوال ولا مليح يُعشق

ومن العجائب أنّه[1] لا يُشترى
ويُخاف فيه مع الكساد ويُسرق[2]

٥٨ ـ يهجو أهل زمانه

وفيه أيضاً من شِعر الشاعر المذكور يهجو وزيراً في زمانه:

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيته في حال إيماء
إنَّ الوزير ولا أزرٌ يَشدُّ به مثل العَروض له بحر بلا ماءِ

ومن شِعره في هجاء زمانه:

وجفَّ الناس حتى لو بكينا تعذَّر ما يُبَلُّ به الجفونُ
فما يَندى لممدوح بَنانٌ ولا يَندى لمهجو جبينُ

٥٩ ـ ملك يحب العلم والفضائل

الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» في ترجمة الملك المؤيد هِزَبر الدين داود بن يوسف التركماني الأصل صاحب اليمن (٦٩٦ ـ ٧٢١هـ):

كان محبّاً للعلوم، مُتفنناً فيها، فلمّا عرف الناس محبته في (كذا) الفضائل قصدوه من الآفاق بكل تحفة وملحة، وكان يبالغ في إنصافهم، حتى أنّه أُهديت له نسخة من «الأغاني» بخط ياقوت (صاحب معجم البلدان) فبذل فيها مائتي دينار مصرية، ولشعراء عصره فيه جُلّ المدائح، واشتملت خزانة كتبه

(١) الضمير عائد إلى الشِّعر.
(٢) يشير إلى سرقات الشعراء بعضهم من بعض.

على مائة ألف مجلد، وأنشأ بـ«تعز» القصور العظيمة البديعة.

٦٠ ـ نساؤنا العالمات

۞ وفيه أيضاً:

زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال، ولدت سنة ٦٤٦هـ.

وبعد أن تكلّم الحافظ عمّن سمعت منه من العلماء والمحدّثين في القاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وبغداد نقل عن الذهبي قوله فيها:

تفرّدت بقدر وقر بعير من الاجزاء بالإجازة، وكانت ديّنة خيِّرة.

٦١ ـ نساؤنا العالمات (تتمة)

روت الكثير وتزاحم عليها الطلبة، وقرؤوا عليها الكتب الكبار، وكانت لطيفة الأخلاق طويلة الروح، ربّما سمعوا عليها أكثر النهار، وكانت فائقة، متعففة، كريمة النفس، طيبة الخُلق، وأُصيبت عينها برمدٍ في صغرها ولم تتزوج قط، وماتت سنة ٧٤٠هـ.

٦٢ ـ من طرائف أسماء النِّساء

۞ وفيه أيضاً:

في حرف السِّين من التراجم وقد وردت الأسماء التالية: ستّ الأهل، ستّ البنين، ستّ الخطباء، ستّ الشام، ستّ

العبيد، ستّ العجم، ستّ العرب، ستّ العلماء، ستّ العيال، ستّ الفقهاء، ستّ القضاة، ستّ الناس، ستّ النعم، ستّ الوزراء، ستّ الوفاء، سُتَيْتَة.

٦٣ ـ الفرق بين تعليل النحويين وتعليل الفقهاء

أبو الفتح عثمان بن جني في «الخصائص»:

اعلم أنَّ علّل النحويين ـ وأعني بذلك حُذَّاقهم المُتقنين، لا ألفافهم[١] المستضعفين ـ أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنّهم إنما يحيلون على الحسّ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفّتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك أنّها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع أحكام، ووجوه الحكمة فيها خفيَّة عنا، غير بادية الصفحة (الجانب) لنا، ألا ترى أنَّ ترتيب مناسك الحج، وفرائض الطهور، والصلاة، والطلاق، وغير ذلك، إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله، ولا يُعلم أيضاً حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره، ولا تحلى النفس (لا تظفر) بمعرفة السبب الذي كان له ومن أجله، وليس كذلك علل النحويين، وسأذكر طرفاً من ذلك لتصحّ الحال به.

قال أبو إسحاق (الزجاج) في رفع الفاعل ونصب

---

(١) الألفاف: القوم مجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً، وشأن هؤلاء الأخلاط الضعف وعدم استحكام القوة.

المفعول: إنّما فُعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال: فإن قيل: فهلا عُكست الحال فكانت فرقاً أيضاً؟ قيل: الذي فعلوه أحزم، وذلك أنَّ الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلّته، ونصب المفعول لكثرته، وذلك ليقلّ في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفّون.

وبعد أن ضرب أمثلة أخرى لذلك قال ابن جني:

فإن قلت: فقد نجد أيضاً في علل الفقه ما يضح (كذا بالأصل، ولعلّ صوابها: ما يتّضح) أمره، وتعرف علّته، نحو رجم الزاني إذا كان مُحصناً، وحدّه إذا كان غير محصن، وذلك لتحصين الفروج، وارتفاع الشك في الأولاد والنسل، وزيد في حد المحصن على غيره لتعاظم جُرمه، وجريرته على نفسه. وكذلك إقادة القاتل بمَن قتله لحقن الدماء، وكذلك إيجاب الله الحج على مستطيعه، لِما في ذلك من تكليف المشقة ليستحق عليها المثوبة.. وكذلك نظائر هذا كثيرة جداً. فقد ترى إلى معرفة أسبابه كمعرفة أسباب ما اشتملت عليه علل الإعراب، فلمَ جُعلت علل الفقه أخفض رتبة من علل النحو؟

قيل له: ما كانت هذه حاله من علل الفقه فأمر لم يستفد من طريق الفقه، ولا يخصّ حديث الفرض والشرع، بل هو قائم في النفوس قبل ورود الشريعة، ألا ترى أنَّ الجاهلية الجهلاء كانت تحصن فروج مفارشها، وإذا شكّ الرجل منهم

في بعض ولده لم يُلحقه به، خُلُقاً قادت إليه الأنفة والطبيعة، ولم يقتضه نص ولا شريعة، وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾، قد كان هذا من أظهر شيء معهم، وأكثره في استعمالهم، أعني حفظهم للجار، ومدافعتهم عن الذمار، فكأنّ الشريعة إنّما وردت فيما هذه حاله بما كان معلوماً معمولاً به، حتى أنّها لو لم ترد بإيجابه، لما أخلَّ ذلك بحاله، لاستمرار الكافة على فِعاله، فما هذه صورته من عللهم جار مجرى علل النحويين.

ولكن ليت شعري من أين يُعلم وجه المصلحة في جعل الفجر ركعتين، والظهر والعصر أربعاً أربعاً، والمغرب ثلاثاً والعِشاء الآخرة أربعاً؟ ومن أين يُعلم علّة تنزيل مناسك الحج على صورتها، ومطَّرد العمل بها؟ ونحو هذا كثير جداً..

٦٤ - حيلة أعرابي

وفيه أيضاً:

يُحكى أنَّ رجلاً من العرب بايع (عاهد وعاقد) أن يشرب عُلبة لبن ولا يتنحنح، فلما شرب بعضه كدّه الأمر، فقال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا؟ تنحنحت! فقال: مَن تنحنحْ فلا أفلحْ! فنطق بالحاءات كلها سواكن غير متحركة، ما يتبعها من ذلك الصويت عوناً له على ما كدَّه وتكاءده (شقّ عليه).

٦٥ ـ من نوادر النُحاة

الإبشيهي في «المستطرف»:

عاد بعضهم نحوياً فقال: ما الذي تشكوه؟ قال النحوي: حُمّى جاسية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية، فقال له الرجل: لا شفاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية!

٦٦ ـ لا تصم إلّا ويدك مغلولة إلى عنقك

وفيه أيضاً:

جاء رجل إلى فقيه فقال له: أفطرت يوماً في رمضان، فقال: اقضِ يوماً مكانه، قال: قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي إليها فأكلت منها، فقال: اقضِ يوماً آخر مكانه، فقال: قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي إليها فأكلت منها، فقال له الفقيه: أرى أن لا تصوم إلّا ويدك مغلولة إلى عنقك!

٦٧ ـ تحرم على اثني عشر خليفة

ابن حجة الحموي في «ذيل ثمرات الأوراق»:

ومن غريب ما يُحكى أنَّ عاتكة بنت يزيد بن معاوية والدة يزيد بن عبد الملك بن مروان حَرُمت على اثني عشر من الخلفاء من بني أمية:

معاوية جدها، ويزيد أبوها، ومروان أبو زوجها، والوليد

وسليمان، وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها، والوليد بن يزيد ابن ابنها، ويزيد بن الوليد ابن زوجها، ومعاوية بن يزيد بن معاوية أخوها، وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتّفق ذلك لامرأة غيرها.

٦٨ ـ اعرف لغتك

في لسان العرب لابن منظور:

بأبأ: البأبأة قول الإنسان لصاحبه: بأبي أنت، ومعناه أفديك بأبي فيُشتق من ذلك فعلٌ فيقال: بأبأته، قال: ومن العرب مَن يقول: وابأبا أنت، كقوله: يا ويلَتا، معناه: يا ويلتي، وكذلك يا أبتا، معناه: يا أبتي.

وبأبأتُ الصبيّ وبأبأت به: قلت له: بأبي أنت وأمّي.

وبأبأته أيضاً، وبأبأت به: قلت له: بابا.

وبأبؤوه: أظهروا لطافةً، وكذلك تبأبؤوا عليه.

والبأباء ممدود: ترقيص المرأة ولدها.

وبأبأ الفحل، وهو ترجيع الباء في هديره.

وبأبأ الرجل: أسرع، وتبأبأتُ ـ تبأبُؤا إذا عدوت.

والبؤبؤ: السيد الظريف الخفيف، قال الجوهري: والبؤبؤ: الأصل، وقال أبو عمرو: البؤبؤ: العالم المعلِّم، ويقال: البؤبؤ إنسان العين.

قال ابن خالويه: البؤبؤ، بغير مدٍّ: السيد، والبُؤيْبِيَةُ: السيدة!

٦٩ ـ فوائد الاختلاف إلى المسجد

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

عن عمير بن المأمون قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول: مَن أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مُستطرفاً، ورحمةً منتظرة، وكلمة تدلّه على هدى أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً.

٧٠ ـ ما في الأرض أقلّ منهما

وفيه أيضاً:

وحدّثني الرياشي عن الأصمعي قال: حدّثنا سليمان بن المغيرة قال: قال يونس: اثنان ما في الأرض أقلّ منهما، ولا يزدادان إلّا قلّة: درهم يوضَع في حق، وأخ يُسكَن إليه لله.

٧١ ـ هكذا كانوا يتناصحون

وفيه أيضاً:

قال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز: إنَّ فيك عقلاً، وإنَّ فيك جهلاً فداوِ بعض ما فيك ببعض، وآخِ من الإخوان مَن كان ذا مَعلاة «علو شرف» في الدين، ونية في الحق ولا تؤاخ مَن تكون منزلتك عنده على قدر حاجته إليك،

فإذا قضى حاجته منك ذهب ما بينك وبينه، وإذا غرست غراساً من المعروف فلا تبغينَّ أن تحسن تربيته.

٧٢ ـ مقاييس العظمة عند أهل الحق والباطل

قال الإمام علي رضي الله عنه كما جاء في «نهج البلاغة»:

لا تعتبروا الرضى والسُخط بالمال والولد، جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغِنى والإقتار، فقد قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾.

فإنَّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم، بأوليائه المستضعَفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون صلَّى الله عليهما، على فرعون وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصي فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزّه، فقال: ألا تعجبون من هذين؟ يشرطان لي دوام العزّ وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ؟ فهلّا ألقي عليهما أساورة من ذهب؟ إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه.

ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذِهبان (جمع ذهب)، ومعادن العِقبان (الذهب)، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء، ووحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الأنباء، ولما وجب للقابلين أجورُ المبتلين، ولا

استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسماءَ معانيها، ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى.

٧٣ ـ من عظمات الإمام مالك

الحافظ ابن أبي حاتم الرازي في «تقدمة الجرح والتعديل»:

حدّثنا أحمد بن سنان قال: سمعت عبد الرحمٰن بن مهدي يقول: كنّا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله! جئتك من مسيرة ستة أشهر، حمَّلني أهل بلادي مسائل أسألك عنها، قال: فسل، قال: فسأل الرجل عن أشياء، فقال (مالك): لا أحسِن! (أي: لا أعرف الجواب عنها) قال: فقُطِع بالرجل كأنّه قد جاء إلى مَن يعلم كل شيء، قال: وأيُّ شيء أقول لأهل بلادي إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك بن أنس: لا أحسِن!

وقال مالك: دخلتُ على أبي جعفر (المنصور) مراراً، وكان لا يدخل عليه أحد من الهاشميين وغيرهم إلّا قبّلوا يده، فلم أقبّل يده قط!

٧٤ ـ دعاء الضعفاء

المناوي في شرح الجامع الصغير للسيوطي في شرح الحديث الذي رواه مسلم وأحمد والحاكم وابن حبان: «أبغوني (اطلبوا لي) الضعفاء فإنّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم»:

أي: بسبب كونهم بين أظهركم، أو بسبب رعايتكم ذمامهم، أو ببركة دعائهم، والضعيف إذا رأى عجزه وعدم قوته تبرّأ من الحول والقوة بإخلاص، واستعان بالله فكانت له الغلبة، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بحول الله، بخلاف القوي فإنّه يظن أنّه إنّما يغلب الرجال بقوته، فتعجبه نفسه غالباً، وذلك سبب للخذلان كما أخبر الله تعالى عن بعض مَن شَهِد وقعة حُنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾.

قال بعض العارفين: ومن حكمته تعالى أنّه أمر بالعُدة للعدو وأخذه بالقوة، وأخبر أنَّ النصر بعد ذلك يكون بالضعفاء، ليعلم الخلق فيما أُمروا به من الاستعداد وأخذ الحذر أن يرجعوا للحقيقة ويعلموا أنَّ النصر من عند الله يلقيه على يد الأضعف، فالاستعداد للعادة والعلم بجهة النصر في الضعيف للتوحيد، وأنَّ الأمر كله لله عادةً وحقيقةً يدبّره كيف يشاء.

ثم قال المناوي: هذا الحديث وما على منواله: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلّا بضعفائكم؟**»، قد وقع التعارض ظاهراً بينه وبين خبر مسلم: «**المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير**»، وعند التأمّل لا تَدافُع (لا تعارض) إذ المراد بمدح القوة في ذات الله وشدّة العزيمة، وبمدح الضعف لين الجانب ورقّة القلب والانكسار بمشاهدة جلال الجبار، أو المراد بذمّ القوة التجبُّر والاستكبار، وبذمّ

الضعف ضعف العزيمة في القيام بحق الواحد القهار، على أنّه لم يقل هنا أنّهم يُنصرون بقوة الضعفاء، وإنّما مراده بدعائهم أو بإخلاصهم أو نحو ذلك مما مرّ.

٧٥ ـ دعاء في الاستسقاء!

﴿ وفيه أيضاً:

* خرج موسى يستسقي لبني إسرائيل في سبعين ألفاً، بعد أن أقحطوا سبع سنين، فأوحى إليه: كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبُهم سرائرَهم، ارجع إلى عبد من عبادي يُقال له «برخ» وقل له يخرج حتى أستجيب له، فسأل عنه موسى فلم يعرفه، فبينا هو ذات يوم يمشي إذا بعبد أسود يمشي، بين عينيه آثار السجود، في شملة عقدها على عنقه، فعرفه (موسى) بنور الله، فسلَّم عليه وقال: إنّك طلبتنا منذ حين (كذا بالأصل ولعلّ الصواب: إنّا طلبناك منذ حين) استسق لنا، فخرج، فقال في كلامه (دعائه):

ما هذا فعالك! وما هذا من حلمك! وما الذي بدا لك؟ أنقصت غيوثك؟ أم عاندت الرياح طاعتك؟ أم نفد ما عندك؟ أم اشتدّ غضبك على المذنبين؟ ألست كنت غفاراً قبل خلق الخاطئين؟ خلقت الرحمة، وأمرت بالعطف، ترينا أنك ممتنع؟ أم تخشى الغوث فتعجل بالعقوبة؟

فما برح حتى أخصبت بنو إسرائيل بالقطر.. قال حجة الإسلام (الغزالي): فهذا عبد غلب عليه الأنس، فلم ينغصه

خوف التغير والحجاب، فأثمر نوعاً من الانبساط، وذلك محتمل في مقام الأنس، ومَن لم يكن في مقامه وتشبّه به هلك، فالله الله في نفسك!

٧٦ ـ من كرم العلماء

ابن أبي حاتم في «تقدمة الجرح والتعديل»:

كان شعبة (ابن الحجاج أبو بسطام العتكي المتوفى ١٦٠هـ) إذا ركب مع قوم في زورق دفع كري الزورق عنهم كلهم.

٧٧ ـ لذّة الاستفادة من العلماء!

٧٨ ـ وفيه أيضاً:

وكان شعبة يقول: وأيُّ شيء ألذّ من أن تخلو بشيخ قد لقيَ الناس (أي: أخذ عن العلماء وروى عنهم) فأنت تستثيره وتخرج منه علماً.

٧٩ ـ ما ينسب إلى الحشرات والهوام

الثعالبي في «ثمرات القلوب»:

بيت العنكبوت: يُضرب مثلاً للوهن والضعف.

نسيج العنكبوت: يُضرب مثلاً للضعف وسرعة التمزّق.

دودة الخل: تُضرب مثلاً للرجل الساقط يعيش مكان السوء في حالة رذلة.

دودة القزّ: تُضرب مثلاً فيمَن يضرّ نفسه وينفع غيره.

لجاج الخنفساء: يُضرب مثلاً في اللجاج والعناد.

وادي النمل: يُضرب مثلاً للمكان الكثير السكان.

قرية النمل: يُضرب مثلاً للمحل أو الدار الكثيرة الأهل.

مدبّ النمل: يُشبَّه به فرند السيف، والشُّعراء يشبّهون الشيء الصغير القصير بإبهام القطا والحبارى وأظفور (أظافر) العصفور.

جناح النملة: يُضرب مثلاً لارتياش الضعيف واستغناء الفقير بما فيه هلاكه، إذ من أقوى أسباب هلاك النمل نبات أجنحته، ويُقال: لم يرد الله بالنملة صلاحاً إذا أنبت لها جناحاً.

كسب النمل: يُضرب به المثل، لأنَّ النمل والذر والفأر من الحيوانات الدائبة في الجمع والكسبِ.

قوة النمل: يُضرب بها المثل، لأنَّ النملة تجر نواة الثمرة، وهي أضعافها وزناً.

شمّ الذرَّة: قال الجاحظ: الذرة مع لطافة شخصها وخفة وزنها، من الشمّ والاسترواح ما ليس لشيء، وربّما أكل الإنسان الجراد وما يشبهه فيسقط من يده واحدة، أو رجل واحدة منها، وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذر عهد في ذلك المنزل، فلا يلبث أن يرى الذرة قد أقبلت إلى تلك الجرادة،

وربّما نقلتها وجرّتها وسحبتها، فإذا أعجزتها بعد أن تُبلي عذراً مضت إلى حجرها راجعة، فلا يلبث الإنسان أن يراها قد أقبلت وخلفها كالخيط الممدود من الذر حتى يتعاونوا عليها فيحتملوها، فأوّل ذلك صدق الشم لِما لا يشيمه الإنسان الجائع، ثم بُعد الهمّة والجرأة على محاولة نقل الشيء في وزن جسمها مائة مرّة أو أكثر وليس شيء من الحيوان يحمل ضعف وزنه مراراً غيرها، على أنّها لا ترضى بأضعاف الأضعاف إلّا بعد انقطاع الأنفاس..

جمع الذرَّة: يُضرب مثلاً لحُسن التدبير، فالذرة تدّخر في الصيف للشتاء وتتقدّم في حالة المهلة، ولا تضيع أوقات الفرصة، ثم تبلغ من حذرها والنظر في عواقبها أنّها تخاف على الحبوب التي تدّخرها للشتاء أن تعفن وتسوس، فتنقلها من بطن الأرض إلى ظهرها لتعيد إليها جفافها.

مخ الذر: يُضرب به المثل في العسر والنكد، فيُقال: أنكد من مخ الذر، كما يُقال: أنكد من صوف الكلب، وأعزّ من لبن الطير.

مثقال ذرة: يُضرب مثلاً في القلّة والخفة.

علم الحكل: الحكل من الحيوان ما لم يكن له صوت، يُضرب مثلاً لإعظام التفرس وسموّ التفكّر، كما يمثل به عند الجزع والضجر، وطلب الأمر العزيز المنال.

٨٠ ـ هل ترضى أن يُدعى لك بهذا الدُّعاء؟

وفيه أيضاً:

ودعا رجل لبعض الملوك فقال: جعل الله جرأتك جرأة ذباب، وقوتك قوة نملة، وكيدك كيد امرأة! فغضب الملك من قوله، فقال له: على رسلك أيُّها الملك، إنّه يبلغ من جرأة الذباب أن يقع على أنف الملك، ويبلغ من قوة النملة أن تحمل أضعاف وزنها، والفيل لا يشتغل ببعض ذلك، ويبلغ من كيد المرأة ما لا يبلغه دهاء الرجال.

٨١ ـ دهاء الرجال

لا تكذب على أهلك فيكذبوك، ابن سعد في «الطبقات»:

عن أنس بن مالك قال: قال الأشعري (أبو موسى) وهو على البصرة: جهِّزني فإنّي خارج يوم كذا وكذا، فجعلت أجهزه، فجاء ذلك اليوم وقد بقيَ من جهازه شيء لم أفرغ منه فقال: يا أنس إنّي خارج، فقلت: لو أقمت حتى أفرغ من بقية جهازك، فقال: إنّي قد قلت لأهلي أنّي خارج يوم كذا وكذا، وإن كذبت أهلي كذبوني، وإن خنتهم خانوني، وإن أخلفتهم أخلفوني، فخرج وقد بقيَ من حوائجه بعض شيء لم يُفرغ منه.

٨٢ ـ هكذا كانوا يستحون

وفيه أيضاً:

عن أبي موسى الأشعري قال: إنّي لأغتسل في البيت المُظلم فأحني ظهري حياءً من ربي..

٨٠ ـ هل ترضى أن يُدعى لك بهذا الدُّعاء؟

وفيه أيضاً:

ودعا رجل لبعض الملوك فقال: جعل الله جرأتك جرأة ذباب، وقوتك قوة نملة، وكيدك كيد امرأة! فغضب الملك من قوله، فقال له: على رسلك أيُّها الملك، إنّه يبلغ من جرأة الذباب أن يقع على أنف الملك، ويبلغ من قوة النملة أن تحمل أضعاف وزنها، والفيل لا يشتغل ببعض ذلك، ويبلغ من كيد المرأة ما لا يبلغه دهاء الرجال.

٨١ ـ دهاء الرجال

لا تكذب على أهلك فيكذبوك، ابن سعد في «الطبقات»:

عن أنس بن مالك قال: قال الأشعري (أبو موسى) وهو على البصرة: جهِّزني فإنّي خارج يوم كذا وكذا، فجعلت أجهزه، فجاء ذلك اليوم وقد بقيَ من جهازه شيء لم أفرغ منه فقال: يا أنس إنّي خارج، فقلت: لو أقمت حتى أفرغ من بقية جهازك، فقال: إنّي قد قلت لأهلي أنّي خارج يوم كذا وكذا، وإن كذبت أهلي كذبوني، وإن خنتهم خانوني، وإن أخلفتهم أخلفوني، فخرج وقد بقيَ من حوائجه بعض شيء لم يُفرغ منه.

٨٢ ـ هكذا كانوا يستحون

وفيه أيضاً:

عن أبي موسى الأشعري قال: إنّي لأغتسل في البيت المُظلم فأحني ظهري حياءً من ربي..

٨٣ ـ مسؤولية الحاكم

في مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي:

عن عمرو بن مُرة أنّه قال لمعاوية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن ولّاه الله شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجاتهم، وخلّتهم، وفقرهم، احتجب الله دون حاجته، وخلّته، وفقره**»، فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس، رواه أبو داود والترمذي، وفي رواية له ولأحمد: «**أغلقَ الله له أبواب السماء دون خلّته وحاجته ومسكنته**».

٨٤ ـ شروط عمر على ولاته

وفيه أيضاً:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه كان إذا بعث عماله شرط عليهم: أن لا تركبوا برذوناً (هو الفرس الأعجمي) ولا تأكلوا نقياً (ما نخل مرّة بعد أخرى)، ولا تلبسوا رقيقاً، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلّت بكم العقوبة، ثم يشيعهم، رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

وجاء في الهامش تعليقاً على هذا الحديث: قال الطيبي: النهي عن ركوب البرذون نهي عن التكبّر، وعن أكل النقي ولبس الرقيق نهي عن التنعم والشرف، والنهي عن الاحتجاب نهي عن تقاعدهم عن قضاء حوائج الناس والاشتغال عنهم بخويِّصة نفسه.

٨٥ ـ الجهاد أفضل من العبادة

📖 **وفيه أيضاً:**

وعن أبي هريرة: قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعب فيه عُيينة من ماء عذب، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشِّعب، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**لا تفعل، فإنَّ مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويُدخلكم الجنة؟ أغزوا في سبيل الله ولو فُواق ناقة**»، رواه الترمذي.

٨٦ ـ سبعة أحسنوا التصنيف في العلم

📖 **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي في «الإكمال في أسماء الرجال»: ٨٠٦/٣ من المشكاة:**

قالوا: سبعة من الحُفاظ أحسنوا التصنيف وعَظُم الانتفاع بتصانيفهم:

١ ـ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني.

٢ ـ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري.

٣ ـ أبو محمد عبد الغني الأزدي حافظ مصر.

٤ ـ أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني.

٥ ـ أبو عمر بن عبد البر النمري حافظ أهل المغرب.

٦ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٧ ـ أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادي.

٨٧ ـ لا تصحب ثلاثة

أبو نصر السراج في «اللمع»:

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى: اجتنب صُحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة الغافلين، والقرّاء (العلماء) المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

٨٨ ـ شروط الصُحبة

وفيه أيضاً:

قال يوسف بن الحسين الرازي: قلت لذي النون رحمه الله تعالى: مَن أصحب؟ فقال: مَن لا تكتمه شيئاً يعلمه الله منك.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى إذا صحبه إنسان يشارطه على ثلاثة أشياء: أن تكون الخدمة والأذان له، وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كيَدِه، فقال له رجل من أصحابه: أنا لا أقدر على ذلك، فقال: أعجبني صدقك.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ربّما ينظر البساتين، ويعمل في الحصاد، ويُنفق على أصحابه..

٨٩ ـ من أخلاق الرسول ﷺ

وفيه أيضاً:

وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ كما روي عنه: كان رسول الله ﷺ يعقل البعير، ويعلف الناضح،

ويقمُّ البيت (ينظفه ويكنسه)، ويخصف النعل (يرقعه)، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معها إذا هي أعيت، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير، ويسلم مبتدئاً، وكان لا يردّ مَن دعاه، ولا يحقّر ما دُعي إليه ولو إلى حشف التمر (رديئه)، وكان لين الخُلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسّاماً من غير ضحك، محزوناً من غير عُبوس، متواضعاً من غير ذلّة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، دائم الإطراق (التفكير)، رحيماً بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولا مدّ يده إلى طمع.

٩٠ ـ الكليات في القرآن الكريم

وفيه أيضاً: أبو نصر السراج في «اللمع»:

الباب الأول: في الكليات، وهي ما أطلق أئمة اللغة في تفسيره لفظة: كل.

فصل: فيما نطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة:

كل ما علاك فأظلّك فهو سماء، كل أرض مستوية فهي صعيد، كل حاجز بين الشيئين فهو مَوْبق، كل بناء مربع فهو كعبة، كل بناء عالٍ فهو صَرح، كل شيء دبّ على وجه الأرض فهو دابة، كل ما غاب عن العيون وكان محصلاً في القلوب فهو غيب، كل ما يستحيا من كشفه من أعضاء الإنسان فهو

عورة، كل ما امتير عليه (حمل عليه) من الإبل والخيل والحمير فهو عير، كل ما يُستعار من قدُوم أو شفرة أو قدر أو قصعة فهو ماعون، كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار كثمن الكلب والخنزير والخمر فهو سحت، كل شيء من متاع الدنيا فهو عرَض، كل أمر لا يكون موافقاً للحقّ فهو فاحشة، كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك فهو تهلكة، كل ما هيجت به النار إذا أوقدتها فهي حصب، كل نازلة شديدة بالإنسان فهي قارعة، كل ما كان على ساق من نبات الأرض فهو شجر، كل شيء من النخل سوى العجوة فهو اللين واحده لينة، كل بستان عليه حائط فهو حديقة والجمع حدائق، كل ما يصيد من السباع والطير فهو جارح والجمع جوارح.

٩١ ـ الدرهم والدينار

الباجوري في حاشيته على ابن قاسم:

النار آخر دينار نطقت به
والهمّ آخر هذا الدرهم الجاري؟
والمرء بينهما ما لم يكن ورعاً
موزع القلب بين الهمّ والنار

فالمرء إن أحبهما قلبه معذب بين الهمّ في الدنيا والنار في الآخرة بسبب اكتسابهما من حرام أو عدم أداء زكاتهما.

أقول: ومعنى البيت الأول قد تناوله كثير من الشعراء.

٩٢ ـ تصدّر المجالس

الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» وهو مخطوط:

سمعت عينية المهللبتي ـ وكان مؤدِّب لأمير عبد الله بن طاهر ـ ويُكنى أبا المنهال، يقول: لا يتصدر إلا فايق أو مايق (أي: متفوق على أقرانه أو).

وعن عبد العزيز بن داود كان يُقال: من شرف التواضع: الرِّضا بالدون من شرف المجلس.

٩٣ ـ ضيق الدنيا وسعتها

وفيه أيضاً:

عن أبي محمد اليزيدي قال: أتيت الخليل بن أحمد في حاجة، فقال لي: ها هنا يا أبا محمد، فقلت: أضيق عليك، فقال لي: إنَّ الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين، وإنَّ شبراً في شبر لا يضيق عن متحابين..

وأنشدني محمد بن علي بن عبد الله قال: أنشدني محمد بن معقل الأزدي بحمص لنفسه:

لم يضق مجلس بأهل ودا
د قط لكنه فسيح رحيب
بسط الفضل بينهم من بساط الـ
سود ما استجمعت عليه القلوب

٩٤ ـ لا يكون التواضع في الثياب

وفيه أيضاً لعلي بن جعفر الوراق:

أجد الثياب إذا اكتسيت فإنّها
زين الرجال بها تعزّ وتكرم
ودع التواضع في الثياب تحوُّباً[1]
فالله يعلم ما تقول وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك زلفة
عند الإله وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن
تخشى الإله وتتقي ما يحرم

٩٥ ـ من علامة القبول

وفيه أيضاً:

عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه نية، ثم جاءتنا النية والعمل بعد.

٩٦ ـ عزة الإسلام

في «الكامل» لابن الأثير في حوادث سنة ١٨٠هـ:

«وفي سنة ثمانين ومائة مات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، صاحب الأندلس، في صفر، وكان عاملاً حازماً ذا رأي وشجاعة وعدل، خيّراً

---

(١) أي: تحرجاً وتورعاً.

محبّاً لأهل الخير والصلاح، شديداً على الأعداء، راغباً في الجهاد.

ومن أحسن عمله أنّه أخرج مصدقاً يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنّة نبيِّه أيام ولايته.

وبلغ من عزّ الإسلام في أيامه وذلّ الكفر: أنَّ رجلاً مات في أيامه، وكان وصى أن يفك أسير من المسلمين من تركته فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير يُشترى ويُفكّ، لضعف العدو وقوة المسلمين.

٩٧ ـ هكذا كان حكامنا:

روى الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى في كتابه «الآثار»: أخبرنا أبو حنيفة عن علي بن الأقمر، قال: كان عمر بن الخطاب يُطعم الناس بالمدينة، وهو يطوف عليهم بيده عصا، فمرَّ برجل يأكل بشماله فقال: يا عبد الله كُل بيمينك، قال: يا عبد الله إنّها مشغولة ثلاث مرات، قال: وما شغلها؟ قال: أصيبت يوم مؤتة! قال: فجلس عمر عنده رضي الله عنه يبكي!! فجعل يقول له: مَن يوضئك؟؟ مَن يغسل رأسك وثيابك؟! مَن يصنع كذا وكذا؟! فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغي له؛ حتى رفع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصواتهم يدعون لعمر رضي الله عنه مما رأوا من رقّته بالرجل واهتمامه بأمر المسلمين، ص١٣٥ (طبع الهند) بِلا تاريخ.

٩٨ ـ من دقائق لغة العرب

📚 **أبو جعفر الطبري في «تفسيره»:**

عند الكلام على تفسير قوله تعالى حكاية على لسان نوح مع حواره مع قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وهذه الكلمة: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ ممّا حولت العرب الفعل عن موضعه، وذلك أنَّ الإنسان هو الذي يعمى عن إبصار الحق إذ يعمى عن أبصاره، و«الحق» لا يوصف بالعمى إلّا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام، وهو في جوازه لاستعمال العرب إيّاه نظير قولهم: «خلّ الخاتم في يدي والخفّ في رِجلي»، ومعلوم أنَّ الرِّجل هي التي تدخل في الخفّ، والإصبع في الخاتم، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك لِما كان معلوماً المراد فيه.

٩٩ ـ معنى الغواية

📚 **وفيه أيضاً:**

في تفسير قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام، وإن كان الله يريد أن يغويكم، أي: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه، حُكي عن طيِّء أنّها تقول: «أصبح فلان غاويّاً» أي: مريضاً. وحُكي عن غيرهم سماعاً منهم: «أغويت فلاناً» بمعنى: «أهلكته» و«غوي الفصيل» إذا فقد اللبن فمات، وذكر أنَّ قول الله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي: هلاكاً.

١٠٠ ـ أنواع التوبة

أبو بكر الكلاباذي في «التعرُّف»:

سُئل الحسين المغازلي عن التوبة فقال: تسألني عن توبة الإنابة أو توبة الاستجابة؟ فقال السائل: ما توبة الإنابة؟

قال: أن تخاف من الله من أجل قدرته عليك.

قال: فما توبة الاستجابة؟

قال: أن تستحي من الله لقربه منك.

١٠١ ـ لماذا توجّه أبرهة لهدم الكعبة؟

الكلبي في «كتاب الأصنام»:

وقد كان أبرهة الأشرم قد بنى بيتاً بصنعاء: كنيسة سمّاها: «القُلَيس» بالرخام وجيد الخشب المُذهب، وكتب إلى ملك الحبشة: «إنّي قد بنيتُ لك كنيسة لم يبنِ مثلها أحد قط ولستُ تاركاً العرب حتى أصرف حجّهم عن بيتهم الذي يحجّونه إليه (الكعبة)»، فبلغ ذلك بعض نسَأَة الشهور، فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يخرجا حتى يتغوطا فيها، ففعلا، فلمّا بلغه ذلك غضب وقال: مَن اجترأ على هذا؟ فقيل: بعض أهل الكعبة، فغضب وخرج بالفيل والحبشة فكان من أمره ما كان.

١٠٢ ـ أوّل ما عُملت الأصنام

وفيه أيضاً:

أوّل ما عُملت الأصنام أنَّ آدم عليه السلام لمّا مات جعله بنو

شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند!.. ويُقال للجبل: «نَوْذ» وهو أخصب جبل في الأرض، ويُقال (في المثل): أمرع من نوذ، وأجدب من بَرَهوت، وبرهوت وادٍ بقرية يُقال لها: «تِنْعة».

ثم قال الكلبي عن ابن عباس: وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل بن آدم: «يا بني قابيل! إنَّ لبني شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء»، فنحت لهم صنماً فكان أوّل مَن عملها.

١٠٣ ـ أصنام العرب في جاهليتهم

وفيه أيضاً:

وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسّح به، وإذا قدِمَ من سفره كان أوّل ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسّح به أيضاً، فلمّا بعث الله نبيّه وأتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له قالوا: «أَجَعل الآلهة إلٰهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عُجاب» يعنون: الأصنام.

واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم مَن اتّخذ بيتاً، ومنهم مَن اتّخذ صنماً، ومَن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره ممّا استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسمّوها الأنصاب، فإذا كانت تماثيل

دعوها: الأصنام والأوثان، وسمّوا طوافهم: الدَّوار.

فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فينظر إلى أحسنها فاتّخذه ربّاً، وجعل ثلاث أثافيَّ القدرة، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

١٠٤ ـ ما يشبه الولد فيه أباه

ابن قتيبة في «عيون الأخبار»:

قال بعض بني أسد ـ والقيافة فيهم ـ لا يُخطىء الرجل من أبيه خلّة من ثلاث: رأسه، أو صوته، أو مشيته.

١٠٥ ـ هل تسمّي أبناءك بهذه الأسماء؟

وفيه أيضاً:

عيَّرت نَوَّار ـ امرأة الفرزدق ـ الفرزدق بأنّه لا ولد له، فقال الفرزدق:

وقالت أراه واحداً لا أخا له
يورثه في الوارثين الأباعدُ

لعلّك يوماً أن تريني كأنّما
بنيَّ حواليَّ الأسود الحواردُ[1]

فإنَّ تميماً قبل أن يلد الحصى[2]
أقام زماناً وهو في الناس واحد

---

(١) الحوارد: المجتمعة الخَلق الشديدة الهيبة، واحدها: حارد.

(٢) المراد بالحصى هنا العدد الكثير.

فولد بعد ذلك وُلده: «سَبَطَة»، و«لَبَطة»، و«حَبَطة»!

١٠٦ ـ يفضل الثناء على العذاب

ابن خلكان في «الوفيات» في ترجمة خالد بن عبد الله القسري، وكان أمير العراق في زمن هشام بن عبد الملك، ثم عزله وولّى مكانه يوسف بن عمر فحبسه وعذّبه:

ولمّا كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيات وهي في كتاب الحماسة:

ألا إنَّ خير الناس حيّاً وميتاً
أسير ثقيف عندهم في السلاسل
لعمري لئن عمَّرتم السجن خالداً
وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهَّاضاً بكل مَلمَّة
ومُعطي اللُّها غمراً كثير النواقل
وقد كان يبني المكرُمات لقومه
ويُعطي اللّها في كل حقّ وباطل
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسـ
ـمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل

وكان يوسف جعل على خالد حمل مال معلوم إن لم يقم به في يومه عذّبه، فلمّا مدحه أبو الشغب بهذه الأبيات وأوصلها إليه كان قد حصل في قسط يومه سبعين ألف درهم، فأنفذها له وقال: اعذرني فقد ترى ما أنا فيه فردّها أبو الشغب

وقال: لم أمدحك لمال وأنت على هذه الحال، ولكن لمعروفك وأفضالك، فأنفذها إليه ثانياً وأقسَم عليه ليأخذنّها، فأخذها، وبلغ ذلك يوسف فدعاه وقال: ما حملك على فعلك؟! ألم تخش العذاب؟ فقال: لأن أموت عذاباً أسهل عليّ من كفي بذلي لا سيّما على مَن مدحني..

١٠٧ ـ المُستشار مؤتمَن

ابن خلكان في «الوفيات» في ترجمة القاضي شُريح:

ويُروى أنَّ زياد بن أبيه كتب إلى معاوية: «يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي، وفرغت يميني لطاعتك فولّني الحجاز»، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وكان مقيماً بمكة فقال: اللَّهمَّ اشغل عنا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم فأشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شُريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال له: لك رزق معلوم وأجل محتوم وإنّي أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بِلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربّك مقطوع اليد، فإذا سألك: لِمَ قطعتها؟ قلت: بغضاً في لقائك، وفراراً من قضائك، فمات زياد من يومه، فلامَ الناس شُريحاً على منعه (زياداً) من القطع ـ لبغضهم له ـ فقال: إنّه استشارني والمُستشار مؤتمَن، ولولا الأمانة في المَشورة لوددت أنّه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً..

١٠٨ ـ يكتب في الفقراء وهو أمير

ابن الجوزي في «صفوة الصفوة»:

لمّا أتى عمر رضي الله عنه الشام طاف بكُوَرها (أي: بحواضرها) فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا له فقراءهم فرفع إليه الكتاب فإذا فيه «سعيد بن عامر بن حذيم» أميرها، فقال: مَن سعيد بن عامر؟ قالوا: أميرنا! قال: أميركم؟ قالوا: نعم، فعجب عمر، ثم قال: كيف يكون أميركم فقيراً؟ أين عطاؤه؟ أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين لا يمسك شيئاً، قال: فبكى عمر، ثم عمد إلى ألف دينار فصرَّها ثم بعث بها إليه، وقال: أقرئوه منِّي السلام وقولوا: بعث إليك بهذه أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك، قال: فجاء بها إليه الرسول فنظر، فإذا هي دنانير فجعل يسترجع فجعلت امرأته تقول له: ما شأنك يا فلان؟ أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فظهرت آية؟ قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فأمر من أمور الساعة؟ قال: بل أعظم من ذلك! قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني! الفتنة دخلت عليّ! قالت: فاصنع فيها ما شئت، قال: عندك عون؟ قالت: نعم، فأخذ دريعة (قميص أو ثوب) فصرّ الدنانير فيها صراراً، ثم جعلها في مخلاة، ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: رحمك الله، لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به؟ فقال لها: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت الأرض ريح مسك**»، وإنّي والله ما كنت لأختارك عليهن، فسكتت.

١٠٩ ـ الكويفة الصُغرى

ﷺ وفيه أيضاً:

استعمل عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلمّا قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يُقال لأهل حمص: الكويفة الصُغرى لشكايتهم العمال، قالوا: نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها! قال: وماذا! قالوا: لا يجيب أحداً بِليل، قال: وعظيمة! قال: وماذا؟ قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج به إلينا، قال: عظيمة! وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام ـ أي: تأخذه موتة ـ فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللَّهمَّ لا تُغَيِّل رأيي فيه اليوم! ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، فقال سعيد: والله إن كنت لأكره ذكره، إنّه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينها ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم، فقال عمر: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يُجيب أحداً بليل، قال: ما يقولون؟ قال سعيد: إن كنت لأكره ذكره، إنّي جعلتُ النهار لهم، وجعلتُ الليل لله ﷻ، قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إنَّ له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما يقولون؟ قال سعيد: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأحبس حتى تجفّ ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال عمر: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، قال عمر: ما يقولون؟ قال سعيد: شهدت مَصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش

لحمه، ثم حملوه على جذع، فقالوا: أتحبّ أنَّ محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أنّي في أهلي وولدي، وأنَّ محمداً شيك بشوكة ثم نادى يا محمد، قال سعيد: فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم إلَّا ظننتُ أنَّ الله لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً، فتصيبني تلك الغنظة، فقال عمر: الحمد لله لم يغيّل (لم يخيب) فراستي، فبعث إليه بألف دينار، وقال: استفي بها على حاجتك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك خير من ذلك؟ ندفعها إلى مَن يأتينا بها أحوج ما نكون إليها، قالت: نعم، فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صراراً، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة فلان، وإلى يتيم آلِ فلان، وإلى مسكين آلِ فلان، وإلى مبتلي آلِ فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين.

١١٠ ـ من معجزات الرسول ﷺ

الطبري في تاريخه في حوادث السنة السادسة للهجرة:

وفيها كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وبعث الكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمي فيه: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلامٌ على مَن اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشَهِد أن لا إلٰه إلَّا الله وأنّي رسول الله**

إلى الناس كافة لينذر مَن كان حياً، أَسْلِم تَسلم فإن أَبيت فعليك إثم المجوس». فمزّق كتاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**مُزق ملكه**».

وقد كان. . .

١١١ ـ الأرض للّه

وفيه أيضاً:

كان مسيلمة بن حبيب الكذاب كتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله! . . إلى محمد رسول الله: سلام عليك فإنّي قد أُشركت في الأمر معك (يعني: أنّه صار نبيّاً مثله) وإنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم لا يعدلون! فكتب إلى مسيلمة: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلامٌ على مَن اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

١١٢ ـ شؤم واعتراف بالحقّ

في «تهذيب تاريخ ابن عساكر» لبدران في ترجمة «أشعب»:

قال الشعبي: لقيتُ أشعب، فقلت له: ما بلغ من شؤمك؟ ـ وكان قد قال: أنا أشأم الناس ـ بلغ من شؤمي أنيّ وُلدت يوم قُبض النبيّ ﷺ، فلمّا خُتنت مات أبو بكر، فلمّا راهقتُ قُتل عمر، فلمّا دخلتُ الكُتّاب قُتل عثمان، فلمّا تعلمتُ

القرآن قُتل علي، فلمّا أن تعلمتُ الشِّعر قُتل الحسين، فقلتُ: ما أظن أنّه بقيَ من شؤمك شيء، قال: بلى بقيَ من شؤمي حتى أدفنك، قال الشعبي: وأنا دفنته بحمد الله.

قال المدايني: كان أشعب يروي حديثاً عن ابن عمر فأتاه قوم فسألوه عن الحديث فقال: حدّثني عبد الله بن عمر وكان يبغضني في الله! فقيل له في ذلك، فقال: ما قلت إلّا حقّاً..

١١٣ ـ المصائب

أبو نعيم في «الحلية»:

قال إبراهيم بن الوليد: دخلتُ على إبراهيم المغربي وقد رفسته بغلة فكسرت رجله، فقال: لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس..

١١٤ ـ من بدائع الكنايات في التعبير

وفيه أيضاً:

قال عبد الملك لرجل: ما لي أراك واجماً لا تنطق؟ قال: أشكو إليك ثِقَل الشرف، فقال عبد الملك: أعينوه على حمله.

ورأى زياد على مائدته رجلاً قبيح الوجه كثير الأكل، فقال له: كم عيالك؟ قال: تسع بنات، قال: أين هنَّ منك؟ قال: أنا أجمل منهنَّ وهنَّ آكل مني، قال زياد: ما أحسن ما تلطفت في السؤال! وفرض له وأعطاه.

ووقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت: أشكو إليك قلّة

الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

وقال بعض القصّاص: اللَّهمَّ أقِلَّ صبياننا وأَكْثر جرذاننا!

١١٥ - الاتفاقات الطريفة

الشابشتي في «الديارات»:

وكان مَولد الرشيد بالري أوّل سنة ثمان وأربعين ومائة، وبُويع له بالخلافة ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة، ووِلِدَ في هذه الليلة عبد الله المأمون من جارية تسمّى مراجل، ففي هذه الليلة (وتسمّى: ليلة الخلافة) مات خليفة (وهو: الهادي)، ووليّ خليفة (وهو: الرشيد)، ووِلِد خليفة (وهو: المأمون) وهذا من الاتفاقات الطريفة.

١١٦ - يرى نهاية عمره في منامه

ابن خلكان في «الوفيات» في ترجمة خارجة بن زيد بن ثابت أحد الفقهاء السبعة:

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات أنَّ خارجة قال: رأيتُ في المنام كأنّي بنيتُ سبعين درجة، فلمّا فرغت منها تدهورت، وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها، قال: فمات فيها، رحمه الله تعالى.

١١٧ ـ لذّة العلم

الحافظ الذهبي في «تذكرة الحُفاظ»:

قال علي بن الحسن بن شقيق: قمت مع ابن المبارك في ليلة باردة يخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته، فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذن فأذَّن الفجر.

١١٨ ـ العلم بين الفقه والورع

ابن القيم في «أعلام الموقعين»:

كان ميمون بن مهران إذا ذكر ابن عباس وابن عمر عنده يقول: ابن عمر أورعهما، وابن عباس أعلمهما، وقال أيضاً: ما رأيتُ أفقه من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس.

١١٩ ـ عالم السوء

أبو بكر بن الحسين بن عبد الله الآجري في «أخلاق العلماء»:

قد تقدّمت الأخبار عن النبيّ ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم وعن أئمة المسلمين رحمهم الله بصفة علماء في الظاهر لم ينفعهم الله بالعلم، ممّن طلبه للفخر والرياء والجدال والمراء، وتأكّل به الأغنياء (أي: تقرَّب به إلى الأغنياء ليأكل أموالهم) وجالس به الملوك وأبناء الملوك لينال به الدنيا، فهو ينسب نفسه إلى أنّه من العلماء، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء، فتنة لكل مفتون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء.

فإن قال قائل: فاذكر الأخبار في ذلك لنحذر ما حذرتنا، قيل: نعم إن شاء الله:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تعلَّم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار**».

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان عُبَّاد جهّال وعلماء فسّاق**».

قال سفيان الثوري: يُقال: تعوَّذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العابد الفاجر، فإنَّ فتنتهما فتنة لكل مفتون.

عن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله ﷻ فيما يعاتب به أحبار بني إسرائيل: «**تَفَقَّهون لغير الدين، وتعلَّمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة، تلبسون جلود الضأن، وتخفون أنفس الذئاب، وتتقون القذا من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدِّين على الناس أمثال الجبال، تطيلون الصلاة وتبيِّضون الثياب، تنتقصون مال اليتيم والأرملة، فبعزّتي حلفتُ لأضربنّكم بفتنة يضلّ فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم**».

١٢٠ ـ صيانة العلم

وفيه أيضاً:

قال عبد الله بن مسعود: لو أنَّ أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به زمانهم، ولكنّهم بذلوه لأهل الدنيا

(أي: تقرّبوا به لأهل الدنيا) لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها، سمعتُ نبيّكم ﷺ يقول: **«مَن جعل الهموم همّاً واحداً: همّ آخرته كفاه الله همَّ دنياه، ومَن تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك»**.

١٢١ ـ مَن هم الناس والملوك؟

الشيخ سليمان في «من أخلاق العلماء نقلاً عن مفتاح دار السعادة»:

سُئل ابن المبارك: مَن الناس؟ قال: العلماء، قيل: فمَن الملوك؟ قال الزُّهاد: (أي: الذين لم تملأ الدنيا قلوبهم)، قيل: فمَن السفلة؟ قال: الذي يأكل بِدِينه..

١٢٢ ـ عظمة العالم الربّاني

الشيخ محمد سليمان في «أخلاق العلماء»:

قال الشيخ الباجي: طلع شيخنا عز الدين (عز الدين بن عبد السلام الذي باع أمراء مصر بالمزاد العلني) مرّة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة (في القاهرة) فشاهد العسكر مصطفّين بين يديه ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الدِّيار المصرية، وأخذت الأمراء تقبِّل الأرض بين يدَي السلطان، فالتفتَ الشيخ إلى السلطان وناداه:

يا أيوب! ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوىء لك

ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟ فقال السلطان: هل جرى ذلك؟ فقال: نعم، الحانة الفلانية يُباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة؟ يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال السلطان: يا سيدي!.. هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ على أمة (طريقة)؟ فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة، قال الباجي: سألت الشيخ لمّا جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال الشيخ: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أُهينه لئلَّا تَكبر عليه نفسه فتؤذيه! فقلت: يا سيدي أما خفته؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله في نفسي فصار السلطان قدّامي كالقط!..

١٢٣ ـ دعيه فهو أعلم بي

📚 أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني»:

قال الأصمعي: كان الفرزدق الشاعر وأبو شفقل ـ راويته ـ في المسجد، فدخلت امرأة فسألت عن مسألة، وتوسَّمت هيئة أبي شفقل فسألته عن مسألتها فقال الفرزدق:

أبو شفقل شيخ عن الحقّ جائر
بباب الهدى والرشد غير بصير

فقالت المرأة: سبحان الله تقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال لها أبو شفقل: دعيه فهو أعلم بي!..

١٢٤ ـ دعاء مَن بلغ الأربعين

الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»:

في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قال بعد تفسيره هذه الآية، وفي هذه الآية دليل على أنّه ينبغي لِمَن بلغ عمره أربعين سنة أن يستكثر من هذه الدعوات.

١٢٥ ـ رؤيا ودعوة بالشهادة

ابن سعد في «الطبقات»:

عن حفصة زوج النبيّ ﷺ أنّها سمعت أباها (عمر رضي الله عنه) يقول: اللَّهمَّ ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيّك، قالت: قلت: وأنّى ذلك؟ قال: إنَّ الله يأتي بأمره أنّى شاء.

ثم ذكر ابن سعد بعد ذلك:

رأى عوف بن مالك (أي: في الرؤيا) أنَّ الناس جُمعوا في صعيد واحد، فإذا رجل قد علا الناس بثلاثة أذرع، قلت: مَن هذا؟ قال: عمر بن الخطاب، قلت: بمَ يعلوهم؟ قال: إنَّ فيه ثلاث خصال: لا يخاف في الله لومة لائم، وإنّه شهيد مستشهد، وخليفة مُستخلف، فأتى عوف أبا بكر فحدّثه فبعث إلى عمر فبشّره فقال أبو بكر: قُصّ رؤياكِ، قال: فلمّا قال: خليفة مستخلف، انتهره عمر فأسكته، فلمّا وليَ عمر انطلق إلى

الشام فبينما هو يخطب إذ رأى عوف بن مالك، فدعاه، فصعد معه المنبر فقال: اقصص رؤياك، فقصّها، فقال: أما ألا أخاف في الله لومة لائم فأرجو أن يجعلني الله فيهم، وأما خليفة مستخلف، فقد استُخلِفتُ، فأسأل الله أن يعينني على ما ولّاني، وأما شهيد مستشهد فأنّى لي الشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب لستُ أغزو والناس حولي؟ ثم قال: ويلي ويلي يأتي بها الله إن شاء الله.

وقد أورد البخاري في روايته عن ابن عمرو عن حفصة صيغة دعاء عمر السابق بقوله: اللّهمَّ ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ.

١٢٦ ـ ذكر المساوىء في أيام الفتن

وفي طبقات ابن سعد أيضاً:

قال عبد الله بن عُكيم (بعد مقتل عثمان رضي الله عنه): لا أُعين على دم خليفة أبداً بعد موت عثمان، فقيل له: يا أبا معبد، أَوَ أعنت على دمه؟ فقال: إنّي لأعدُّ ذكر مساويه عوناً على دمه!

١٢٧ ـ أولاد علي رضي الله عنه

وفيه أيضاً:

فجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصُلبه أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة امرأةً، وكان النسل من ولده لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس ابن

الشام فبينما هو يخطب إذ رأى عوف بن مالك، فدعاه، فصعد معه المنبر فقال: اقصص رؤياك، فقصّها، فقال: أما ألا أخاف في الله لومة لائم فأرجو أن يجعلني الله فيهم، وأما خليفة مستخلف، فقد استُخلِفتُ، فأسأل الله أن يعينني على ما ولّاني، وأما شهيد مستشهد فأنّى لي الشهادة وأنا بين ظهراني جزيرة العرب لستُ أغزو والناس حولي؟ ثم قال: ويلي ويلي يأتي بها الله إن شاء الله.

وقد أورد البخاري في روايته عن ابن عمرو عن حفصة صيغة دعاء عمر السابق بقوله: اللَّهمَّ ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ.

١٢٦ ـ ذكر المساوىء في أيام الفتن

وفي طبقات ابن سعد أيضاً:

قال عبد الله بن عُكيم (بعد مقتل عثمان رضي الله عنه): لا أُعين على دم خليفة أبداً بعد موت عثمان، فقيل له: يا أبا معبد، أَوَ أعنت على دمه؟ فقال: إنّي لأعدُّ ذكر مساويه عوناً على دمه!

١٢٧ ـ أولاد علي رضي الله عنه

وفيه أيضاً:

فجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصُلبه أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة امرأةً، وكان النسل من ولده لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس ابن

الكلابية، وعمر ابن التغلبية، ولم يصح لنا من ولد علي ﷺ غير هؤلاء.

١٢٨ ـ ما هي محبة اللّه؟

أبو عبد الرحمن السُّلمي في كتابه «طبقات الصوفية»:

سأَلَ أحدهم ذا النون عن المحبة فقال: أن تحب ما أحبَّ الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتّباع رسول الله ﷺ في الدِّين.

١٢٩ ـ من الجهل

وفيه أيضاً:

قال الفضيل بن عياض: إنَّ فيكم خصلتين هما من الجهل: الضحك من غير عجب، والتصبُّح (أي: التأخّر في الاستيقاظ من النوم صباحاً) من غير سهر.

وقال أيضاً: خير العمل أخفاه، وأمنعه من الشيطان أبعده من الرياء.

١٣٠ ـ الصبر والرِّضا

ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»:

ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرِّضا به، فأمّا الصبر فهو فرض، وأمّا الرِّضا فهو

فضل، وإنّما صعب الصبر لأنَّ القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن، بل هو يتنوع حتى يتحيّر العقل في حكمة جريان القدر.

١٣١ ـ البذاذة ليست من الدِّين

وفيه أيضاً:

وقد كان النبيّ ﷺ أنظف الناس وأطيب الناس، وفي الحديث عنه ﷺ أنّه كان يرفع يديه حتى تبين عُفرة إبطيه، وكان ساقه ربّما انكشفت فكأنّها جمارة (كناية عن الصفاء والنظافة)، وكان لا يفارقه السواك، وكان يكره أن يُشمَّ منه ريح ليس طيبة، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**ما لكم تدخلون عليَّ قُلحاً** (أي: صُفر الأسنان من قلّة نظافتها) **استاكوا**»، وقد كان النبيّ ﷺ يحبّ الطّيب، وقد رأيتُ جماعة يزعمون أنّهم زهاد، وهم من أقذر الناس، وذلك أنّهم ما قوّمهم العمل، ومَن تأمّل خصائص الرسول ﷺ رأى كاملاً في العلم والعمل، فيه يكون الاقتداء، وهو الحجة على الخلق.

١٣٢ ـ من مزاح الرسول ﷺ

الإبشيهي في «المستطرف»:

وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلّا حقّاً، فمن مزاحه أنّه جاءه رجل فقال: يا رسول الله احملني على جمل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا أحملك إلّا على ولد الناقة**»، فقال يا رسول الله: إنّه لا يطيقني، فقال له الناس: ويحك

وهل الجمل إلّا ولد الناقة. وقال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار: «**الحقي زوجك ففي عينيه بياض**»، فسعت إلى زوجها مرعوبة، فقال لها: ما دهاك؟ قالت: إنَّ النبيّ ﷺ قال لي: أنَّ في عينيك بياضاً، فقال: نعم والله وسواداً. وأتته عجوز أنصارية، فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال لها: «**يا أمّ فلان إنَّ الجنة لا يدخلها عجوز**»، فولّت المرأة تبكي، فتبسّم ﷺ وقال لها: «**أما قرأت قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾».

١٣٣ ـ أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه

الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البستي في «روضة العقلاء»:

كان إبراهيم بن أدهم كريم النفس يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم، فربّما اتّخذ لهم الشِّواء والجُوازبات (طعام من سكر وأرز ولحم) والخبيص، وربّما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم فيتصارعون، وكان يعمل عمل رجلين، وإذا صار إلى نفسه أكل عجيناً!

وقد أجمع أهل التجارب في الدهر، وأهل الفضل في الدِّين، والراغبون في الجميل على أنَّ أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا، وأجلّ ما يدّخر لها في العُقبى، هو: لزوم الكرم ومعاشرة الكرام، لأنَّ الكرم يحسن الذكر، ويشرف القدر، وهو طباع ركّبها الله في بني آدم، فمن الناس مَن يكون أكرم من أبيه، وربّما كان الأب أكرم من

ابنه، وربّما كان المملوك أكرم من مولاه، وربَّ مولى أكرم من مملوكه.

١٣٤ ـ علامة الكريم

وفيه أيضاً:

الكريم لا يكون حقوداً، ولا حسوداً ولا شامتاً، ولا باغياً ولا ساهياً، ولا لاهياً ولا فاجراً، ولا فخوراً، ولا كاذباً، ولا ملولاً، ولا يقطع إلفه، ولا يؤذي إخوانه، ولا يضيع الحُفاظ، ولا يجفو في الوداد، يعطي مَن لا يرجو، ويؤمِّنُ مَن لا يخاف، ويعفو عن قدرة، ويصل عن قطيعة.

١٣٥ ـ أخبث الحيوانات

التبريزي في «شرح المعلَّقات السَّبع الطِّوال»:

ويُقال: أخبث الذِّئاب: ذئب الغضا (شجر شائك يأكل منه الذئب)، وأخبث الحيّات: حيّة الحَمَّاط (نوع من الشجر شبيه بالتين).

وأخبث الأفاعي: أفعى الجدب، وأسرع الظِّباء: تيس الحُلَّب (وهو الذي رعى نبات الحُلَّب[1]).

وأشدّ الرجال: الأعجف (النحيل) الضخم، وأقبح النساء: الجفرة الجمهة (السمينة العبوس).

---

(١) انظر لسان العرب: مادة حلب.

١٣٦ ـ لو أبطأ الإسلام لأكلوا الناس!

❁ وفيه أيضاً في بدء الحديث عن عمرو بن كلثوم التغلبي وشرح معلّقته:

وقال أبو عمرو الشيباني: كانت بنو تغلب بن وائل من أشدّ الناس في الجاهلية، قال أبو عمرو: وقد ذكر لي بعض أهل العلم أنّهم شهدوا يوم خزاز، وخزاز: جبل كانت فيه وقعة، وهم (بنو تغلب) من أظهر الناس عدّة وسلاحاً وخيلاً ورجالاً.

قال أبو عمرو: وسألتُ ابن الكلبي عن بني تغلب؟ فزعم أنّه سمع أباه يقول: حدّثني بعض أصحابي قال: لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس!

١٣٧ ـ قتيل القرآن

❁ المناوي في «فتح القدير شرح الجامع الصغير»:

قال في شرح الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه فيما أخرجه مسلم وأحمد: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»، أي: قلوبهم مثل أفئدة الطير في رقّتها ولِينها، أي: أنّها لا تحمل أشغال الدنيا فلا يسعها الشيء وضده كالدنيا والآخرة، أو في التوكّل كقلوب الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً، وفي الهيبة والرهبة لأنَّ الطير أفزع شيء وأشدّ الحيوان خوفاً لا يطيق حبساً ولا يحتمل إشارة، هكذا أفئدة هؤلاء ممّا حلَّ بها من هيبة الحقّ، وخوف جلال الله وسلطانه لا يطيق حبس شيء يبدو من آثار القدرة، ألا ترى أنَّ المصطفى ﷺ

كان إذا رأى شيئاً من آثارها كغمام فزع، فإذا أمطرت سري عنه، وسمع إبراهيم بن أدهم قائلاً يقول: كل ذنب مغفور سوى الإعراض عنّا، فسقط مُغمى عليه، وسُمّيَ علي بن الفضيل قتيل القرآن، فمعنى يدخل الجنة إلخ. . أي: الذين هم لله خائفون، وله يجلّون، ولهيبته خاضعون، ومن عذابه مشفقون.

١٣٨ ـ سبب قراءة سيبويه النحو

وفيه أيضاً عند شرح الحديث الذي رواه البيهقي عن ابن عباس: «يُطبع المؤمن على كل خُلق ليس الخيانة والكذب»:

قال ابن مالك في شرح الكفاية: من أدوات الاستثناء «ليس» وهي على فعليتها وعملها إلَّا أنَّ المرفوع بها لا يكون إلَّا مستتراً، والتقدير المعنوي: يطبع على كل خلق إلّا الخيانة والكذب اهـ، وقد ذكروا أنَّ هذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه النحو، فإنّه جاء إلى حماد بن سلمة فاستملى منه حديث: «**ليس من أصحابي أحد إلّا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء**»، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد: لحنت يا سيبويه إنّما هذا استثناء، فقال: والله لأطلبن علمها، ثم مضى ولزِم الأخفش وغيره.

١٣٩ ـ النهي عن تلقي العلم من الصُحف دون أستاذ

أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في «التصحيف والتحريف»:

عن سليمان بن موسى قال: كان يُقال: لا تأخذوا القرآن

من مصحفي ولا العلم من صحفي (أي: ممَّن يأخذ العلم من الصُّحف لا من أفواه العلماء)، ويروي أعداء حمزة الزيات ـ وهو أحد أصحاب الروايات في قراءة القرآن ـ أنّه كان يتعلّم القرآن من المصحف، فقرأ يوماً وأبوه يسمع: الم ذلك الكتاب لا زيت فيه!.. فقال أبوه: دع المصحف وتلقّن من أفواه الرجال.

١٤٠ ـ من مُضحكات المصحِّفين

وفيه أيضاً:

ومَن صار ضحكة للماضين والغابرين في التصحيف، الكاتب الذي قرأ: حاضر طي، فقال: جاء ضريطي! وممّن صار ضحكة في مجلس الخلافة أحمد بن أبي خالد وزير المأمون، قرأ القصص يوماً على المأمون فقال: فلان الثريدي، وإنّما هي البريدي فضحك المأمون وقال: يا غلام، طعاماً لأبي العباس فإنّه أصبح جائعاً، فاستحيا وقال: ما أنا بجائع ولكن صاحب القصة أحمق فنقط (أي: فوضع النقط فوق الباء)، فقال المأمون: على ذلك، فجاؤوه بالطعام فأكل حتى انتهى، ثم عاد فمرَّ بقصة فلان الحمصي، فقرأها: الخبيصي! فضحك المأمون وقال: يا غلام، جامّاً فيه خبيص فإنَّ طعام أبي العباس كان مبتوراً، فقال (أحمد): وإنَّ صاحب القصة أحمق، فتح الميم فصارت كأنّهما حرفان! فضحك المأمون وقال: لو جمعهما لبقيت جائعاً، ثم جاء الخبيص فامتنع، فقال

المأمون: بحقي عليك ألا أكلت، فمضى فأكل ثم غسل يده وعاد إلى القراءة فما أسقط حرفاً.

١٤١ ـ ما رأي الأطباء؟

الفيروزآبادي في «القاموس» تحت مادة: حُمَّ:

والحمام طائر بري لا يألف البيوت أو كل ذي طوق، وتقع واحدته على الذكر والأنثى، ولا تقل للذكر: حمام (أي: بل حمامة) مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والجمود والسبات، ولحمه باهي يزيد اللحم والمني، ووضعها مشقوقةً وهي حيّة على لدغة العقرب مجربة للبرء، ودمها يقطع الرُّعاف!..

ثم قال في تلك المادة:

والحمائم: الحَبَق البُستاني العريض الورق، ويسمّى: الحَبَق النبطي، واحدته بهاء: جيد للزكام، مُفتح لسدد الدماغ، مقوّ للقلب، وشرب مقلوّه يشفي من الإسهال المُزمن بدهن ورد وماء بارد.

١٤٢ ـ فوائد لغوية

وفيه أيضاً:

ولا يُقال: طاب حمامك، وإنّما يُقال: طابت حمتك، أي: حميمك، أي: طاب عرقك.

١٤٣ ـ بئس الخليفة

هشام بن محمد بن السائب الكلبي في كتاب «الأصنام»:

ومرض أبو أُحيحة (وهو: سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف) مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكي فقال: ما يبكيك يا أبا أُحيحة؟.. أَمِنَ الموت تبكي، ولا بدّ منه؟.. قال: لا. ولكني أخاف أن لا تُعبد العزى بعدي، قال أبو لهب: والله ما عبدت حياتك (لأجلك)، ولا تُترك عبادتها بعدك لموتك، فقال أبو أُحيحة: الآن علمت أنَّ لي خليفة، وأعجبه شدّة نصبه في عبادتها.

١٤٤ ـ هذا هو الحبّ ويا نعمت هذه العُقبى!

ابن القيم في «الفوائد»:

كان ذو البجادين ـ أي: الكسائين واسمه عبد الله بن عبد نهم ـ يتيماً في الصِّغر فكفله عمّه فنازعته نفسه إلى اتّباع الرسول ﷺ، فهمَّ بالنهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقعد ينتظر العمّ، فلمّا تكاملت صحته نفد الصبر فناداه ضمير الوجد:

إلى كم حبسها تشكو المضيقا ... أثرها ربّما وجدت طريقا

فقال: يا عمّ طال انتظاري لإسلامك وما أرى منك نشاطاً، فقال عمّه: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك، فصاح لسان الشوق: نظرة إلى محمد أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها.

ولو قيل للمجنون: ليلى ووصلها
تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال تراب من تراب نعالها
ألذّ إلى نفسي وأشفى لبلواها

فلمّا تجرّد للسير إلى الرسول جرّده عمّه من الثياب فناولته الأمّ بجاداً (كساءً) فقطعه نصفين: اتَّزر بأحدهما وارتدى بالآخر، فلمّا نادى صائح الجهاد قنع أن يكون في ساقة الأحباب، والمحبّ لا يرى طول الطريق لأنَّ المقصود يعينه.

ألا بلَّغ الله الحمى مَن يريده
وبلغ أكناف الحمى مَن يريدها

فلمّا قضى نحبه نزل الرسول يمهِّد له لحده وجعل يقول: «**اللَّهمَّ إني أمسيتُ عنه راضياً فارضَ عنه**»، فصاح ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب القبر.

١٤٥ ـ أثر النحو

أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر»:

سمعتُ في مجلس أبي سعيد شيخاً من ذوي الألباب يقول: من الأفعال ما له وجهان، يعني يتصرَّف على معنيين مثل: أصاب عبدُ الله مالاً، وأصاب عبدَ الله مالٌ، إذا أصابه مال من قسمة. ووافق زيدٌ حديثَنا إذا أصابهم يتحدّثون، ووافق زيداً حديثُنا إذا سَرَّهُ وأعجبه. وأحرز زيدٌ سيفه، إذا صانه في غمده، وأحرز زيداً سيفُه، إذا خلَّصه من القتل وشبهه.

ولو قلت: أحرزَ امرؤٌ أجَلَه لم يجز، لأنَّ الرجل لا يحرز أجله، إلّا أن تذهب إلى قولك: أحرزتُ أجلي بالعمل الصالح.

انظر ـ فديتُك ـ إلى أثر النحو في مثل هذا القدر اليسير، وتعجَّب عنده من أبي حنيفة الصوفي حين قال لك: إنَّ الله يأمرنا بالطاعة والإيمان، ولم يأمرنا بالنحو، وإلَّا فهات أنّه يدلّ على أنّه أمر بأن يُتعلَّم، ضرب عبد الله زيداً!!

وقد رأيتُ رَوَغانه عن تحصيل الحجة في معرفة ذلك! ألا تعلم أنَّ الكلام كالجسم والنحو كالحلية، وأنَّ التمييز بين الجسم والجسم إنّما يقع بالحُلَى القائمة والأعراض الحالَّة فيه، وأنَّ حاجته إلى حركة الكلمة بأحد وجوه الإعراب حتى يتميّز الخطأ من الصواب كحاجته إلى نفس الخطاب.

١٤٦ ـ تَوَقَّ لحن العامّة

وفيه أيضاً:

العرب تقول في أمثالها: الحُسْنُ أحمر، أي: لا ينال النفيس إلّا بشقّ الأنفس، كأنّه لا يُنال إلّا بالقتال وسفك الدم..

ميم الدم: خفيفة، وباء الأب: خفيفة، فَتَوقَّ لحن العامّة وأشباه العامّة من الخاصة، وَرُض لسانك على الصواب.

١٤٧ ـ حديث معاوية

وفيه أيضاً:

قال الهيثم بن عدي: خرج معاوية يريد مكة، حتى إذا كان بالأبواء[(١)] اطَّلع في بئر عاديَّة[(٢)] فأصابته اللَّقْوَة[(٣)]، فأتى مكة، فلمّا قضى نسكه وصار إلى منزله دعا بثوب فلفّه على رأسه، وعلى جانب وجهه الذي أصابه فيه ما أصابه، ثم أذِن للناس فدخلوا عليه، وعنده مروان بن الحكم، فقال: إن أكن ابتُليت فقد ابتُليَ الصالحون قبلي، وأرجو أن أكون منهم، وإن عوقبت فقد عوقبَ الظالمون قبلي، وما آمن أن أكون منهم. وقد ابتُليت في أحسن ما يبدو مني، وما أحصي صحيحي، وما كان لي على ربي إلّا ما أعطاني. والله لئن كان عَتب بعض خاصتكم لقد كنت حَدِباً على عامّتكم، فرحم الله رجلاً دعا لي بالعافية!

قال: فَعجَّ الناس بالدُّعاء له، فبكى، فقال مروان: ما يُبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: كَبِرت سِنّي، وكثُر الدمع في عيني، وخشيتُ أن تكون عقوبة من ربي، ولولا يزيد لأبصرتُ قصدي!! وأنشد:

---

(١) الأبواء: قرية قرب المدينة، بها قبر آمنة بنت وهب أم النبيّ ﷺ، وإليها كانت أولى غزواته.

(٢) أي: قديمة، كأنّها نُسبت إلى عاد، وهم قوم هود النبيّ، وكل قديم ينسبونه إلى عاد وإن لم يدركهم.

(٣) اللقوة: داء يعرض للوجه فيميل إلى أحد جانبيه.

وإذا رأيت عجيبة فاصبر لها
فالدهر قد يأتي بما هو أعجب
فلقد أراني والأُسود تخافني
فأخافني من بعد ذاك الثعلب

١٤٨ ـ ظلم دون ظلم

الإمام البخاري في «الجامع الصحيح»:

عن عبد الله قال: لمّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال أصحاب رسول الله ﷺ: أيّنا لم يظلم؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

١٤٩ ـ يعارضها ولا يجري مجراها

أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني»:

وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان: عديّ بن زيد في الشُّعراء بمنزلة سُهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري معها مجراها. وكذلك عندهم أمية بن أبي الصَّلت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين: الكُميت والطِّرِمَّاح، قال العجاج: كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه، فقيل له: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّهما قرويّان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه. وكذلك عندهم عديّ وأمية!

١٥٠ ـ صورة شعرية

سامي الدّهان في «قدماء ومعاصرون»:

ومن أجمل شِعره ـ الخالدي الأكبر أبو بكر محمد ـ ما جاء في وصف النجوم والسماء والطبيعة، وقد وصف غيماً أبيض ظهر في السماء فقال:

وتنقَّبت بخفيف غيم أبيضٍ
هي فيه بين تخفُّرٍ وتبرّج
كتنفس الحسناء في المرآة إذ
كملتْ محاسنها ولم تتزوَّج

ونحن نرى في هذه الصورة جمالاً وابتكاراً وإبداعاً لم يسبق إليه، وهذا هو الشِّعر في رأينا: لمحات عبقرية وصور بديعة مُبتكرة يحدوها الإلهام إلى ساحِ الخلود، فالغيم حين بدا في السماء كان يشبه في خيال الشاعر هذه القطعة التي كونتها حسرة الحسناء في مرآتها وقد أرسلت في نفَسها الجميل وأساها العميق.

١٥١ ـ ضاعت الروح

العقاد في «القائد الأعظم محمد علي جناح»:

وكان من دأبه أن يذكِّر سامعيه وتلاميذه بحكمة هولندية هذه ترجمتها:

«ضاع المال.. لم يضع شيء».

«ضاعت الشجاعة.. ضاع شيء نفيس».

«ضاع الشرف.. ضاع أنفس ما نملك».

«ضاعت الروح.. كل شيء ضاع!».

١٥٢ ـ الحقّ الغريب

ابن رجب الحنبلي في «غربة الإسلام»:

ومن كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي: (إنّي أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بحبِّ الدنيا، يحبّ التعظيم والرئاسة. وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته، مخدوعاً صريعاً، غدره إبليس، قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها، وسائر ذلك من الرَّعاع همجٌ عُوجٌ، وذئاب مختلسة، وسباع ضارية، وثعالب ضوار. هذا وصف عيون أهل زمانك من حمَلة العلم والقرآن ودُعاة الحكمة).. فهذا وصف أهل زمانه، فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله؟

(قلت: فكيف بما حدث بعدهما من عظائم العظائم ودواهي الدواهي!! إلى الله المُشتكى ولا حول ولا قوة ولا صبر إلَّا بالله).

١٥٣ ـ مع أبي العيناء

ابن خلكان في «وفيات الأعيان»:

كان أبو العيناء محمد بن القاسم الهاشمي الضرير من أحفظ الناس، وأفصحهم لساناً، وكان من ظرفاء العلم، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه..

لقيَه بعض أصحابه في السَّحَر فجعل يتعجب من بكوره، فقال أبو العيناء: أراك تُشركني في الفعل، وتُفردني في التعجُّب.

وذُكر له أنَّ المتوكل قال: لولا أنّه ضرير لنادمناه! فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلّة، وقراءة نقش الفُصوص، فأنا أصلح للمنادمة.

وقيل له: إلى متى تمدح الناس وتهجوهم؟ فقال: ما دام المُحسن يُحسن والمُسيء يُسيء، بل أعوذ بالله أن أكون كالعقرب التي تلسب النبيّ والذميّ!

وكتب إلى بعض الرؤساء، وقد وعده بشيء فلم ينجزه: ثقتي بك تمنعني من استبطائك، وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك، ولست آمن ـ مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلوّ همّتك ـ اخترامَ الأجل، فإنَّ الآجال آفات الآمال، فسح الله في أجلك، وبلّغك مُنتهى أملك، والسلام.

١٥٤ ـ مجامع الطرق

ابن ناقيا في «الجمان في تشبيهات القرآن»:

وحدّثني أبي رَحِمَهُ اللهُ قال: لمّا صافَّ قتيبةُ بن مسلم التُّرك وهَالَه أمرهم، سأل عن محمد بن واسع: ما يصنع؟ فقيل: هو في أقصى الميمنة جانح على سيةِ قوسه[1] يُبصبص بإصبعه نحو السماء، فقال: تلك الإصبع الفاردة أحبُّ إليّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير! فلما فتح الله عليهم قال له: ما كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق!

١٥٥ ـ الحرب والسلاح

وفيه أيضاً:

قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعمرو بن معد يكرب: أخبرني عن الحرب، قال: هي كما قال الشاعر:

الحرب أوّل ما تكون فتية
تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها
عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت
مكروهة للضمّ والتقبيل

وقال له أيضاً: أخبرني عن السلاح. قال: سلني، قال:

(١) سية القوس: رأسها، أو ما اعوجّ منها.

الرمح، قال: أخوك وربّما خانك! قال: النبل، قال: منايا تخطىء وتصيب! قال: الترس، قال: ذاك المجنُّ وعليه تدور الدوائر! قال: الدرع، قال: مشغلة للفارس، متعبة للراجل، وإنّها لحِصن حصين. قال: السيف، قال: ثَمّ قارعتك أمُّك عن الثُّكل يا أمير المؤمنين[1]! قال: بل أمُّك! قال: الحُمَّى أضرعتني لك.

١٥٦ ـ الغضب والعداوة

ابن رشد في «تلخيص الخطابة»:

والفرق بين الغضب والعداوة: أنَّ الغضب يكون بالأشياء التي تفعل بالغاضب أو بِمَن هو من سببه، (أما) البغضة والعداوة فقد تكون وإن لم يفعل المبغض بالمبغض له شيئاً، فإنّا قد نبغض ذوي النقائص وإن لم يجنوا علينا شيئاً. وبالجملة: إذا ظننا بالمرء ما يستحقّ البغضة فنحن نبغضه أبداً.

وفرق آخر: وهو أنَّ الغضب إنّما يكون على الأشخاص، مثل زيد وعمرو، أو أقوام محصورين بالعدد، وأمّا البغضة والعداوة فإنّها تكون للجنس، فإنّا نبغض البربر ويبغضوننا!! وكذلك البغضة قد تكون للصنف، فإنّا نبغض السارق والنموم، وقد يبغضه الناس أجمعون.

وفرق ثالث: وهو أنَّ الغضب قد يسكن بطول الزمان من

(١) قارعتك أمك عن الثكل: أي: كفتك عما يسببه، وهو: المقاتلة بالسيف.

غير أن يفعل المغضوب عليه بالغاضب ما يُزيل الغضب عنه، والعداوة ليس تسكن بطول الزمان، ما لم يفعل المعادَى بالمعادِي ما يُوجب مودته.

وأيضاً، فإنَّ الغضب إنّما هو تشوّق إلى شرّ محدود أن ينزل بالمغضوب عليه، وأمّا البغضة فإنّها تشوّق إلى أن ينزل بالمبغض شرّ غير محدود؛ أعني أنّه كلما وقع به شرّ تشوّق العدو إلى أن يقع به شرّ أكثر؛ وذلك أنَّ الذي يغضب إنّما يهوى أن ينزل بالمغضوب عليه شرّ محدود يشفي به صدره، وأمّا العدو فإنّه ليس يهوى هذا، بل شرّاً غير محدود، أعني شرّاً أكثر مما نزل به. فالبغضة تخالف الغضب بهذه الفصول.

وأيضاً: فإنَّ المؤذيات مبغضات، والأشياء التي هي أكثر أذيَّة هي مُبغضات أكثر، مثل: الجُور والجهالة. وأيضاً فإنَّ الغاضب يجد حزناً مع لذّة، كما قيل، وأمّا المبغض فليس يجد لذّة.

وأيضاً: فإنَّ الغضب قد يزول بأيسر شيء يفعله الإنسان، أعني بأشياء كثيرة، وأمّا البغضة فليس تزول بذلك.

وأيضاً: فإنَّ الغاضب إنّما يهوى أن ينزل بالمغضوب عليه مكروه ما فقط، مع ألّا ينعدم من الوجود، وأمّا المبغض فأنّه يهوى أن ينعدم المبغَض من العالم أصلاً!

١٥٧ ـ الخط والكتابة

العلّامة ابن خلدون في «المقدمة»:

الكتابة من خواص الإنسان التي يتميّز بها عن الحيوان، فهي تُطلع ما في الضمائر، وتتأدّى بها الأغراض إلى البلد البعيد، ويُطَّلع بها على العلوم والمعارف، وتكون للإنسان بالتعليم، وعلى قدر العمران، لذلك تكون جودة الخط في المدينة، وأكثر البدو أميّون.

وقد بلغ الخط العربي الإتقان في التبابعة للترف، وانتقل إلى الحيرة في آلِ المنذر، ومنها لُقِّنه أهل الطائف وقريش، وكان لحِمْير كتابة تسمّى: المسند، حروفها منفصلة، ومنهم تعلمت مُضَر، وكان الخط العربي أوّل الإسلام غير بالغ الغاية؛ لمكان العرب من البداوة، ثم لمّا فتحوا الأمصار، ونزلوا البصرة والكوفة، استعملوا الخط وتعلّموه، فترقّى واستحكم، ثم انتشر العرب في الأقطار، وترقَّت الخطوط لمّا استبحر العمران في بغداد، وتنافس أهل الأقطار في ذلك.

ثم انحلَّ نظام الدولة الإسلامية فانتقل شأن الخط والكتابة والعلم إلى مصر، فلم تزل أسواقه بها نافقة، وله معلمون لتعليم الحروف بقوانين وضعها وأشكالها، وأمّا إفريقية والمغرب فصارت على الرسم الأندلسي، حتى تقلّص ظلّ الموحّدين ففسدت رسومه، ومال إلى الرداءة حتى إذا انتُسخت الكتب، فلا فائدة لمُتصفحها إلّا العناء والمشقة؛ لكثرة الفساد

والتصحيف، وقد وقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة. وبقيت إجادة الخط بالمشرق للعجم.

١٥٨ ـ الظلم وخراب العمران

وفيه أيضاً:

العدوان على أموال الناس ذاهب بآمالهم في تحصيلها، وإذا ذهبت آمالهم انقبضت أيديهم عن السعي. وعلى قدر الاعتداء يكون الانقباض، والعمران إنّما هو بالأعمال، فإذا قعد الناس كسدت أسواق العمران، وتفرّق الناس في طلب الرزق، فخفّ ساكن القطر، وخربت أمصاره، واختلّ حال الدولة.

... وليس الظلم هو أخذ المال من مالكه بغير عوض ولا سبب فحسب، بل هو أعمّ من ذلك؛ فَجُباة الأموال بغير حقها ظَلَمةٌ، والمعتدون عليها ظَلَمة، وكذلك المنْتَهِبُون لها، والمانعون لحقوق الناس، وغصّاب الأملاك ـ على العموم ـ كلهم ظَلَمة. ووبال ذلك على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها.

وهذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، لأنّه مُؤذنٌ بانقطاع النوع البشري، وهي نفس حكمة الشرع في مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدِّين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

ولو كان كل واحد قادراً على الظلم لوضع له من

العقوبات ما وُضع لغيره من المفسدات للنوع، إلّا أنَّ الظلم لا يقع إلّا من أهل القدرة والسلطان، فبُولغَ في ذَمِّه وتكرير الوعيد فيه، عسى أن يكون الوازع للقادر عليه من نفسه.

١٥٩ ـ الكنيسة والدولة والثورة

نورمن هامبسن في «التاريخ الاجتماعي للثورة الفرنسية»:

وترك هذا الجوّ، جوّ الانتشاء بالحماسة الوطنية، والرِّيبة والعنف، أثراً دائماً على الموقف الدِّيني أيضاً، فقد تعذّر على الثوار ـ كما تعذّر على معاصريهم جميعاً ـ أن يتصوروا وجود كنيسة غير رسمية، فالكنيسة والدولة أتوماتياً حليفتان أو عدوتان في علاقة ينتفي فيها الحياد. ومن ثم ارتبط الكهنة الدستوريون ارتباطاً وثيقاً بسير الثورة، فاحتفلت الأمّة بالانتصارات الشعبية بترتيل ترنيمة الشكر Te Deum، وفسرت القوانين الجديدة من فوق منابر الكنائس، وكان رجال السلطة العلمانيون يمثلون في الأعياد الكنسية. وبلغ من أتوماتية هذا الإدماج للكنيسة والدولة أنَّ عدم الاختلاف إلى الكنيسة في بعض أنحاء فرنسا كان ذنباً يعاقَب عليه مرتكبه ـ على افتراض أنَّ المتخلف مؤيد للكهنة الممتنعين عن أداء اليمين ـ على أنَّ الثوار أخذوا يضيقون أكثر فأكثر بشركائهم الدينيين منذ الإطاحة بالملكية. وربّما كان هذا راجعاً من بعض الوجوه إلى عوامل سياسية، كعدم رضا بعض رجال الدِّين عن إعدام الملك، ولكن هناك أسباباً أهم لانقلاب «الوطنيين» على الكنيسة: ذلك أنَّ الثورة نفسها راحت تنتحل

بعض صفات العبادات الدينية، وكانت بأيمانها المقدسة، ومذابحها المُكرسة للوطن، وأشجار حريتها المقدسة. . إلخ، تتخذ شيئاً فشيئاً شكل دين مدني شبيه بذلك الدِّين الذي دعا إليه روسو في آخر فصل من فصول كتابه «العَقد الاجتماعي».

وبازدياد أهمية المواطن على الفرد وعلى عضو الكنيسة كليهما ازداد الضيق بدعاوى الكنيسة التي تزعم أنّها تمثل مستوى من القيم خارج المجتمع المدني. ومع أنَّ قيمة الدِّين ظلت إلى ذلك الحين غير منازعة، فقد فرّق القوم بين الدِّين والإكليروس، وأخذوا يحكمون على الإكليروس أكثر فأكثر بمعايير المجتمع العلماني. كتب أحد مندوبي وزارة الداخلية في ٧ آب «أغسطس» يقول: «وددتُ لو كان جميع القساوسة متزوجين. . إنَّ في القساوسة من قلّة الفائدة بقدر ما في الدِّين من فائدة». واستاء الثوار من تبتل الإكليروس لأنّه خطر على الفضيلة، وإهانة للطبيعة، وإنكار لواجب المواطن في إنجاب أبناء محبين لوطنهم. وبما أنَّ الزواج أصبح عقداً مدنيّاً فإنّه لم يكن هناك حائل ـ في نظر الدولة ـ يَحول دون استجابة رجل الدِّين لداعي هذا الواجب الوطني. وفي **١٩** تموز «يوليو» **١٧٩٣م** ثار غضب المؤتمر لقضية أسقف منع أحد قساوسته من الزواج؛ وندَّد دولاكروا بهذا العمل باعتباره «تجديفاً على سيادة الشعب»، وقرّر المؤتمر في النهاية أن يرحل الأساقفة الذين يتدخلون على هذا النحو ويُعيَّن غيرهم في وظائفهم. وكان بعض قساوسة الأبرشيات قد تزوجوا فعلاً قبل صيف **١٧٩٣م**،

خصوصاً حيث توافر رضاء الأسقف المحلي كما في الدوردون، ووجدت هذه الحركة مشجعاً قوياً في عظة تورنيه، أسقف الشير، التي ألقاها في ١٨ آب. ووجدت شواهد على نزوع العلمانيين إلى التحول عن الكاثوليكية التقليدية إلى عبادة الثورة نفسها! فبدأ في أيلول **١٧٩٢م** إطلاق أسماء جديدة على الأماكن الدينية في اللوار ـ إيه ـ شير. وغيرت أسماء الشوارع في كومبيين في آب **١٧٩٣م**، وفي بلوا في أيلول، وفي بوفيه في تشرين الأول.. وأطلقت على المواليد من المواطنين أسماء «غير مسيحية» في أنحاء من فرنسا، وشاعت هذه العادة شيوعاً واضحاً في بوفيه في أوائل **١٧٩٣م** وفي **٢٣** يوليو قرر المؤتمر ألّا يترك لكل أبرشية سوى جرس كنيسة واحد، وأن تصهر الأجراس الباقية لصنع المدافع من معدنها، وهذا مثل مبكر على ارتباط الدافع القومي بالهجوم على الكنيسة!!

١٦٠ ـ من كلام يحيى بن خالد

الجهشياري في «الوزراء والكتّاب»:

وكان يحيى بن خالد ـ البرمكي ـ يقول: التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة!

وكان يحيى يقول: رسائل المرء في كتبه أدلّ على مقدار عقله، وأصدق شاهد على عيبه لك، ومعتقده فيك، من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة.

وكان يقول: الكريم إذا تقرَّأ ـ أي: تنسَّك ـ تواضع،

واللئيم إذا تقرَّأ تكبَّر، والخسيس إذا أيسر تجبَّر!

وكان يقول لكتّابه: إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات اختصاراً، فافعلوا.

ومن أقواله: لست ترى أحداً تكبّر في إمارة إلّا وقد دلّ على أنَّ الذي نال فوق قدره، ولست ترى أحداً تواضع في إمارة إلّا وهو في نفسه أكبر مما نال في سلطانه.

وكان يقول: الدَّالَّة تفسد الحرمة القديمة، وتضرّ بالمحبة المتأكدة.

وقال لجعفر ابنه: يا بني انتقِ من كل علم شيئاً، فإنّه مَن جهل شيئاً عاداه، وأنا أكره أن تكون عدواً لشيء من الأدب.

١٦١ ـ مائدة.. وإبرة!

وفيه أيضاً:

وكان محمد بن يحيى قبيح البخل، فدخل يوماً أبو الحارث جُمير على يحيى بن خالد، وكان يَألف محمداً، فقال له يحيى: يا أبا الحارث، صف لي مائدة محمد؛ قال: هي فِتر في فِتر، وصِحافة منقورة من حبّ الخشخاش، وبين نديمه وبين الرغيف نَقدَةُ جَوزة[1]! قال: فمَن يحضُره؟ قال: الكرام الكاتبون، قال: فمَن يأكل معه؟ قال: الذباب!

---

(١) نقدة جوزة، أي: بقدر المسافة التي تقطعها الجوزة إذا ضربتها بإصبعك، يريد مسافة طويلة.

فقال: سَوءةٌ له، أنت خاصٌ به وثوبك مُخَرَّق! قال: والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النُّوبة مملوءاً إبراً، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبيّ يضمنان له عنه إبرة، ويسألانه إعارته إياها، ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دُبُر، ما فعل.

١٦٢ ـ نفس العالم!

البيهقي في «معرفة السنن والآثار»:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا أبو زكريا العنبري، قال: أخبرنا أبو عبد الله: محمد بن إبراهيم العَبْدي، فيما ذكره من فضائل الشافعي رحمه الله ومناقبه، قال:

ثم بلغ من حرصه ـ يعني من حرص الشافعي ـ رحمه الله، على إفهام المسترشدين أنّي سمعت ربيعاً يقول: قال الشافعي رحمه الله: «وددتُ لو أنَّ الناس نظروا في هذه الكتب ثم نَحَلوها غيري!»، طلباً منه للنصيحة لهم، وأنَّ قصده إنّما كان من وضع الكتب وتيسيرها في الناس أن يفهموها، ليدُلَّهم البيان فيها على الأرجح من المذاهب، التي هي الأتبع للكتاب والسنّة، وما أشبه الكتاب والسنّة، تبريّاً إلى الله جلَّ ذكره من حوله وقوته، غير ملتمس بها ذِكراً، ولا في الناس شرفاً. وهذه صحة النية، ومشكور الطويّة، وما يُحمد من الصالحين من الصبر والعزيمة.

١٦٣ ـ أوّل ذنب

الثعالبي في «لطائف المعارف»:

قال بعض السلف: إياكم والحسد، فإنّه أوّل ذنب عُصي الله تعالى به في السماء والأرض. أمّا في السماء فما كان من حسد إبليس لآدم حتى ترفَّع عن السجود له! وأمّا في الأرض فما كان من حسد قابيل لأخيه هابيل على تقبُّل القربان منه دونه، حتى قتله فأصبح من النادمين.

١٦٤ ـ الجلاء

الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾، قال الشوكاني: أي: لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه، وقضى به عليهم، لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة. والجلاء: مفارقة الوطن؛ يُقال: جلا بنفسه جلاء، وأجلاه غير إجلاء. والفرق بين الجلاء والإخراج، وإن كان معناهما في الإبعاد واحداً، من جهتين: **إحداهما**: أنَّ الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد. **الثاني**: أنَّ الجلاء لا يكون إلّا لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولواحد، كذا قال الماوردي.

١٦٥ ـ حبّ الله: طاعة وجهاد

ابن تيمية في «العبودية»:

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حبّ الله أنواعاً من

أمور الجهل بالدِّين: إمّا من تعدي حدود الله، وإمّا من تضييع حقوق الله، وإمّا من ادّعاء الدعاوي الباطلة التي لا حقيقة لها، كقول بعضهم: أيُّ مريد لي ترك في النار أحداً فأنا بريء منه! فقال الآخر: أيُّ مريد لي ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء! **فالأوّل**: جعل مريده يخرج كل مَن في النار. **والثاني**: جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار. ويقول بعضهم: إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد!! وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين. وهي إمّا كذب عليهم، وإمّا غلط منهم.

ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الإنسان، أو يضعف حتى لا يدري ما قال. والسُّكر هو لذّة مع عدم تمييز، ولهذا كان من هؤلاء مَن إذا صحا استغفر من ذلك الكلام!

والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحبّ والشوق واللوم والعذل والغرام، كان هذا أصل مقصدهم، فإنَّ هذا الجنس يحرك ما في القلب من الحبّ كائناً ما كان، ولهذا أنزل الله محنة يمتحن بها المُحب، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، فلا يكون مُحباً لله إلّا مَن يتبع رسوله. وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلّا بتحقيق العبودية. وكثير ممّن يدَّعي المحبة يخرج عن شريعته وسنّته ﷺ، ويدّعي من الحالات ما لا يتّسع هذا الموضع لذكره، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له، وغير ذلك ممّا فيه مخالفة شريعة الرسول وسنّته وطاعته.

بل قد جعل الله محبّته ومحبّة رسوله: الجهاد في سبيله. والجهاد يتضمن كمال محبّة ما أمر الله به، وكمال بغض ما نهى عنه. ولهذا قال في صفة مَن يحبّهم ويحبّونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

١٦٦ ـ الصعلكة

الدكتور يوسف خليف في «الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي»:

تدور كلمة «الصعلكة» في دائرتين: دائرة لغوية، ودائرة اجتماعية. وتبدأ الدائرتان من نقطة واحدة هي الفقر، فأمّا الدائرة اللغوية فتنتهي حيث بدأت، يبدأ الصعلوك فيها فقيراً، ويظلّ في نطاقها فقيراً، يخدم الأغنياء، أو يستجديهم فضل مالهم، ثم يموت فقيراً. وأمّا الدائرة الاجتماعية فتتسع وتبتعد عن نقطة البدء لتنتهي أو لتحاول أن تنتهي بعيداً عنها، يبدأ الصعلوك فيها فقيراً، ثم يحاول أن يتغلب على الفقر الذي فرضته عليه أوضاع اجتماعية أو ظروف اقتصادية. وأن يخرج من نطاقه ليتساوى مع سائر أفراد مجتمعه، ولكنه ـ من أجل هذه الغاية ـ لا يسلك السبيل التعاوني، وإنّما يدفعه «لا توافقه الاجتماعي» إلى سلوك السبيل الصراعي، فيتخذ من «الغزو والإغارة للسلب والنهب» وسيلة يشقّ بها طريقه في الحياة، فيصطدم بمجتمعه الذي يرى في هذه الفوضوية الفردية مظهراً

من مظاهر التمرد. وتنقطع الصلة بين المجتمع والصعلوك، فيتخلى المجتمع عنه، ويحرمه حمايته، ويعيش الصعلوك خليعاً مشرداً، أو طريداً متمرداً، حتى يلقى مصرعه، فأمّا أعداؤه فقد استراحوا من هذا الفزع الذي كانوا يترقبونه في كل حين، كما يترقّب غائباً مُتَنَظَّراً أهلُه ـ على حدّ تعبير عروة ـ وأمّا أصدقاؤه فقد سقط أحدهم في سبيل فكرته بعد أن أدّى رسالته في هذه الحياة.

١٦٧ ـ تحقيق!

أبو حاتم البستي في «روضة العقلاء»:

قال بعضهم: مررتُ بالبصرة على باب دار فإذا بصوت غراب يُجلد! فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار، وبين يديها جَوارٍ، وهي تأمر بجلده، فقلت: أَما تتقون الله في هذا الغراب! فقلن لي: هذا الغراب الذي قيل فيه:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي
أحاذر من لبنى، فهل أنت واقع؟

فقلت: ليس هذا ذاك الغراب! فقالت: والله ما نزال نأخذ البريء بالسقيم حتى نظفر بذلك الغراب.

١٦٨ ـ هجرة

الإسكافي في «لطف التدبير»:

حُكيَ أنَّ عدي بن حاتم طيّ لمّا بلغه خبر رسول الله ﷺ

أراد اللحاق به، وخاف قومه على إبله وماله، فأمر ابنه أن يتمسّى بإبله فلا يردها إلّا في الليل، ففعل، فلامه بحضرة قومه! ثم أمره بعد فتمسّى بالإبل أيضاً، فلامه وشتمه وتوعده! فلمّا كان اليوم الثالث قال لأهله: إنَّ لابني لشأناً في تمسيته بالإبل، وإنّي خارج يومي هذا لأنظر ما شأنه، فخرج مع إبله وجعل وجهه إلى رسول الله ﷺ، فلم يفتقده قومه إلّا في الغد، فخرجوا في طلبه فلم يدركوه!

١٦٩ ـ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾

الشوكاني في «فتح القدير»:

والضلال هنا بمعنى الغفلة، كما في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾، وكما في قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾. والمعنى: أنّه وجدك غافلاً عمّا يُراد بك من أمر النُّبوَّة، واختار هذا الزجاج. وقيل معنى ﴿ضَآلًّا﴾: لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع فهداك لذلك. وقال الكلبي والسدّي والفراء: وجدك في قوم ضلّال فهداهم الله لك. وقيل: وجدك طالباً للقبلة فهداك إليها كما في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾، ويكون الضلال بمعنى الطلب. وقيل: وجدك ضائعاً في قومك فهداك إليه، ويكون الضلال بمعنى الضياع.

١٧٠ ـ السهيلي صاحب «الروض الأنف»

ابن دحية في «المطرب من أشعار أهل المغرب»:

وكان ببلده يتسوَّغ بالعفاف، ويتبلَّغ بالكفاف، إلى أن

وصلتُ إليه، وصُحح «الروض الأنف» بين يديه، فطلعتُ به إلى حضرة مراكش فأوقفت الحضرة عليه. فأمروا بوصوله إلى حضرتهم، وبذلوا له من مراكبهم وخيلهم ونعمتهم. وقُوبل بمكارم الأخلاق، وأزال الله عنه علام الإملاق. واستُقبل بالجاه الجسيم، والوجه الوسيم. وفي كل يوم يُجنيهم من حديثه أزهاراً، ويُقطفهم من مُلَحه آساً وبهاراً؛ حتى حسده الطلبة وجرّدوا لملامه حساماً، وحدوداً للكلام فصولاً وأقساماً.

وكان وصوله إلى الحضرة والعمر قد عسا وذَبُل عوده، وذهب العيش وأفل سعوده. فعندما عاش مات، وهيهات من الانقطاع لغير الله هيهات! فتفرّد في لحده ومهاده، وتوحَّد في نجده ووهاده. وتوسَّد التراب والصفيح، وتوهّد اليباب والفيح.

وكان مقامه بالحضرة نحواً من ثلاثة أعوام، كلّها أضغاث أحلام. سألته عن مولده، فأخبرني أنّه وُلد سنة ثمان وخمسمائة. وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ بحضرة مراكش يوم الخميس، ودُفن ظُهره. وهو اليوم السادس والعشرون من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة.

١٧١ ـ التواضع والكِبَر

أبو حاتم البستي في «روضة العقلاء»:

أفضل الناس مَن تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة. ولا يترك المرء التواضع إلّا عند استحكام

التكبّر، فلا يتكبّر على الناس أحد إلّا بإعجابه بنفسه، وعُجب المرء بنفسه أحد حُسّاد عقله. وما رأيت أحداً تكبّر على مَن دونه إلَّا ابتلاه الله بالذلة لمَن فوقه!

١٧٢ - من صفات العاقل

وفيه أيضاً:

والعاقل لا يبتدىء بالكلام إلّا أن يُسأل، ولا يكثر التماري إلّا عند القبول، ولا يُسرع إلّا عند التثبت.

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه؛ لأنَّ مَن خفيَ عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره، وإنَّ من أشدّ العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه، لأنّه ليس بمقلعٍ عن عيبه مَن لم يعرفه، وليس بنائلٍ محاسن الناس مَن لم يعرفها! وما أنفع التجارب للمبتدي.

١٧٣ - تلقيح العقول

وفيه أيضاً:

عن محمد بن أبي مالك الغزي، قال سمعت أبي يقول: جالسوا الألبّاء، أصدقاء كانوا أو أعداء، إنَّ العقول تلقح العقول.

١٧٤ - الرُّصافة

ابن خلكان في «وفيات الأعيان»:

والرُّصافي: بضم الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الألف

فاء، هذه النسبة إلى الرُّصافة، وهي بُليدة صغيرة بالأندلس عند بلَنسِيَة، وبالأندلس أيضاً بُليدة صغيرة اسمها الرصافة، وهي عند قرطبة، أنشأها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي أوّل ملوك الأندلس من بني أمية، ويعرف بالداخل، لأنّه دخل إلى الأندلس من بلاد الشام خوفاً من أبي جعفر المنصور العباسي، وقصته مشهورة، فلمّا دخلها ملكها وبويع له بقرطبة يوم عيد الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة، وعمره يومئذٍ خمس وعشرون سنة! وبنى هذه الرصافة وسمّاها برصافة جدّه هشام بن عبد الملك بن مروان، وهي بُليدة مشهورة بالشام، كذا قاله ياقوت الحموي في كتابه المسمّى بـ«المشترك وضعاً والمفترق صقعاً»، وذكر أنَّ الرصافة اسم تسع مواضع، وعدَّدها، ولولا خوف التطويل لذكرتها، غير أنّه لم يذكر رصافة بلنسية. وبهذه الرصافة تكون عشرة مواضع، والله تعالى أعلم.

١٧٥ ـ ثقافة.. وطرب

وفيه أيضاً:

وذكر أنَّ رجلاً عاد المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنَّت جارية من وراء ستارة:

وقالوا لها هذا حبيبك معرضٌ
فقالت ألا إعراضه أيسر الخطبِ
فما هي إلّا نظرة بتبسُّم
فتصطك رجلاهُ ويسقطُ للجنبِ

فطرب كل مَن حضر إلّا المبرد، فقال له صاحب المجلس: كنت أحق بالطرب! فقالت الجارية: دعْه يا مولاي، فإنّه سمعني أقول: هذا حبيبك معرضٌ، فظنني لحنت ولم يعلم أنَّ ابن مسعود قرأ: ﴿**وهذا بعلي شيخ**﴾، قال: فطرب المبرد من قولها إلى أن شقَّ ثوبه!

١٧٦ ـ عارضة الأحوذي

وفيه أيضاً:

وهذا الحافظ (أبو بكر بن عبد الله، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي) له مصنفات منها: كتاب «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» وغيره من الكتب.

ومعنى «عارضة الأحوذي»، العارضة: القدرة على الكلام، يُقال: فلان شديد العارضة، إذا كان ذا قدرة على الكلام، والأحوذي: الخفيف في الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي: المشمِّر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذّ عليه منها شيء. وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة، وفي آخره ياء مشددة.

١٧٧ ـ من شروطهم في التفسير

محمد الخضر حسين في «بلاغة القرآن»:

وعلماء جامع الزيتونة لا يقرأون تفسير القرآن إلّا إذا قرأوا علوم المعقول والمنقول، حتى يدركوا بلاغة القرآن.

وأذكر أنّه طلب منّي بعض الطلبة أن أقرأ لهم تفسير البيضاوي في جامع «حمودة باشا» فأجبت رغبتهم وقرأت منه دروساً، فأرسل إليَّ القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة، فذهبت إليه، فقال لي: بلغني أنّك تدرّس التفسير، فقلت: نعم، فقال لي: على مَن قرأته؟ فقلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار، فقال لي: هؤلاء ما قرأوا التفسير إلّا بعد أن صاروا شيوخاً كباراً! فبلغ الأمر إلى الوزير الكبير الشيخ محمد العزيز بوعتور، فقال: يترك المسجد الذي تكلّم عنه القاضي المالكي، عملاً بقاعدة عدم النزاع مع الكبراء! ويدرّس في مسجد آخر، فقرأت التفسير في مسجد «أبي القاسم الجليزي».

١٧٨ ـ تفسيرا أهل الباطن

وفيه أيضاً:

والتفسير المنسوب إلى الباطن صنفان: صنف اخترعه طائفة من الزنادقة ليعطلوا أحكام الشريعة أو ليقلبوا حكمة القرآن إلى معانٍ سخيفةٍ، وهذا باطل ببداهة العقل. وصنف يُنسب إلى المتصوفة، ويطلق عليه بعضهم: الكلام في القرآن من باب الإشارة، وقد تحدّث عن هذا الصنف بعض أهل العلم، وأنكروا أن يكون من قبيل التفسير؛ قال الواحدي: صنّف أبو عبد الرحمن السُّلمي «حقائق التفسير»، فإن كان قد اعتقد أنَّ ذلك تفسير فقد كفر! وقال ابن الصلاح: لا يريدون

التفسير، ولو أرادوا أنَّ ما يقولونه تفسير للقرآن لكانوا من الباطنية! وإنّما ذلك تنظير منهم لما ورد، أي: هي معانٍ يجدونها في نفوسهم عند التلاوة.

فالفرق بين تفسير الباطنية وبين تفسير أصحاب الإشارة: أنَّ الباطنية يفسرون الآيات بتلك المعاني المنبوذة على أنّها هي المقصود من القرآن، أمّا أصحاب الإشارة فيسلِّمون أنَّ المراد من القرآن هي المعاني التي يذكرها أهل التفسير، غير أنّهم يذكرون عند تفسير الآية معاني تخطر أذهانهم عند التلاوة وإن لم تدلّ عليها الآية بطريق من طُرق الدلالات المعروفة في الاستعمال العربي.

ومع هذا الفرق الواضح بين صنفَي التفسير بالباطن، فإنَّ الاقتصار في تفسير ألفاظ القرآن على ما يقتضيه استعمالها العربي يكفي لتقويم العقول وتزكية النفوس، وإرشادها إلى وجوه الإصلاح الذي تُدرك به السعادة في الآخرة والأولى.

١٧٩ ـ إذا خالفت المرأة ترتيبها وراء الإمام

الشوكاني في «السبيل الجرار..»:

إذا لم تقف المرأة في موقفها الذي عيّنه رسول الله ﷺ لها، وهو وقوفها في صفّ النِّساء، أو وقوفها وحدها بعد الرجال؛ فقد صارت بذلك عاصية.

وأمّا فساد صلاتها بذلك فلا دليل يدلّ عليه. وهكذا لا دليل يدلّ على فساد صلاة الرجال لأنَّ غاية الأمر دخول

الأجنبية معهم ونظرهم إليها، وهذا لا يُوجب فساد الصلاة، بل يكون مَن وقف بجنبها ـ مختاراً لذلك ـ أو نظر إليها: عاصياً وصلاته صحيحة. وأمّا مَن لم يقف بجنبها ولا نظر إليها فليس بعاصٍ؛ فضلاً عن كون صلاته (لا) تفسد بمجرد دخولها معهم في الصلاة، ومشاركتها لهم في الائتمام بإمامهم.

١٨٠ ـ الجذب في الصلاة

وفيه أيضاً:

أمّا مشروعية انجذاب مَن بجنب الإمام فيدلّ على ذلك ما تقدّم في صحيح مسلم وغيره من حديث جابر «أنَّ النبيّ ﷺ أقامه عن يمينه فجاء آخر فوقف عن يسار النبيّ ﷺ، فأخذ النبيّ بأيديهما فدفعهما حتى أقامهما خلفه».

وأمّا مشروعية انجذاب مَن في الصفّ المنسد لمَن لحق ولم يجد مَن ينضم إليه فلم يثبت ما يدلّ على ذلك بخصوصه.

. . . ولكن الانجذاب معاونة على البرّ والتقوى، فيكون مندوباً من هذه الحيثية.

١٨١ ـ عقيدة أبي العلاء المعري

قال في «رسالة الغفران»:

● أُشهد الله الذي بإذنه نشأت السمٰوات والأرض أنّي مقرٌّ بالقدرة على الرجعة، والخوف من الآخرة، أحافظ على صلاتي وأصوم، وأعتصم لَعَلِّي معصوم.

• وممّا حثّني على ترك أكل الحيوان أنَّ الذي في السنة نيفٌ وعشرون ديناراً، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقيَ ما لا يُعجب، فاقتصرتُ على فول وبُلْسِن، وما لا يعذب بالألسن.

. . . ولستُ أريد في رزقي زيادة ولا أُوثر لسقمي عيادة، وأضمر من عقباي الحذر، وذكرت ما ذكرته لأُعذر.

١٨٢ ـ شروط الانتفاع بالقرآن

ابن القيم في «الفوائد»:

إذا أردت الانتفاع بالقرآن الكريم فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور مَن يخاطبه به مَن تكلّم به سبحانه. فإنّه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

وذلك أنَّ تمام التأثير لمّا كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمّنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبيَنه وأدلّه على المراد، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من أوّل السورة إلى ههنا، وهذا هو المؤثر. وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحيّ الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيّ القلب. وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾

أي: وجّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يُقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام. وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب...

فإن قيل: إذا كان التأثير إنّما يتمّ بمجموع هذه فما وجه دخول أداة «أو» في قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾، والموضوع موضوع «واو» الجمع لا موضوع «أو» التي هي لأحد الشيئين؟

قيل: هذا سؤال جيد. والجواب عنه أن يُقال: خرج الكلام بـ«أو» باعتبار حال المخاطب المدعوّ، فإنَّ من الناس مَن يكون حيّ القلب، واعيه، تامّ الفطرة، فإذا فكّر بقلبه وجال بفكره، دلّه قلبه وعقله على صحة القرآن وأنّه الحق، وشَهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قيل فيهم: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾.

وقال في حقّهم: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾، فهذا نور الفطرة على نور الوحي. وهذا حال صاحب القلب الحيّ الواعي... فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها كأنّها قد كُتبت فيه فهو يقرؤها عن ظهر قلب. ومن الناس مَن لا يكون تامّ الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة

قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحيّ الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام، وقلبه لتأمّله والتفكّر فيه وتعقّل معانيه، فيعلم حينئذٍ أنّه الحق، فالأوّل: حال مَن رأى بعينيه ما دُعي إليه وأُخبر به، والثاني: حال مَن علم صدق المُخبر وتيقنه، وقال: يكفيني خبره، فهو في مقام الإيمان، والأول في مقام الإحسان.

١٨٣ ـ إنابة وعكوف

وفيه أيضاً:

الإِنابة هي عكوف القلب على الله ﷻ، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك: عكوف القلب على محبته، وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله. ومَن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظّه العكوف على الربّ الجليل.

والتماثيل: جمع تمثال، وهي الصورة الممثلة، فتعلّق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه: عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإراداتهم على تماثيلهم، فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفاً عليها، فهو نظير عكوف عابد الأصنام عليها، ولهذا

سمّاه النبي ﷺ عبداً لها، ودعا عليه بالتعس والنكس، فقال: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»**.

١٨٤ ـ أمير المؤمنين بالأندلس

المقري في «أزهار الرياض»:

والناصر أوّل مَن تسمّى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس، لأنَّ الدولة عظمت في أيامه، حين اختلّ نظام ملك العباسيين بالمشرق، وتغلّبت عليه الأعاجم، ولم يَتَسَمَّ أحد من سلَفِه بالأندلس إلّا بالأمير.

وكان مُلكه بالأندلس في غاية ما يكون من الضخامة ورفعة الشأن، وهادته الروم وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومُتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبقَ أمّة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلّا وجَرَت إليه، أو وفدت خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية.

١٨٥ ـ استسقاء

وفيه أيضاً:

وقَحِطَ الناس آخر مدة الناصر، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فتأهّب لذلك، وصام بين يديه أياماً ثلاثة، تنفلاً وإنابةً ورهبةً، فاجتمع له الناس في مصلّى الرَّبض بقرطبة، بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم،

وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشارف الناس، ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى، والضراعة له، فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس، وغصّت بهم ساحة المصلّى، ثم خرج نحوهم ماشياً متضرعاً، مُخبتاً متخشّعاً، وقام ليخطب، فلمّا رأى بدار الناس إلى ارتقابه، واستكانتهم من خِيفة الله، وإخباتهم له، وابتهالهم إليه، رقَّت نفسه، وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حيناً، ثم افتتح خطبته بأن قال: يا أيّها الناس سلام عليكم! ثم سكت، ووقف شبيه الحَصِر، ولم يك من عادته! فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ولا ما أراد بقوله، ثم اندفع تالياً لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، استغفروا ربّكم إنّه كان غفاراً، استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه، وتزلّفوا بالأعمال الصالحة لديه.

قال الحاكي: فضجّ الناس بالبكاء، وجأروا بالدُّعاء، ومضى على تمام خطبته، فقرع النفوس بوعظه، وانبعث الإخلاص بتذكيره، فلم ينقضِ النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روّى الثرى وطرد المحل، وسكّن الأزْل، والله لطيف بعباده.

وكان له في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب، ومنه أن قال يوماً وقد سَرَّح طرفه في ملأ الناس عندما شخصوا إليه بأبصارهم، فهتف كالمنادي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ﴾ وكرّرها عليهم،

مُشيراً بيده في نواحيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ فاشتدّ وَجْد الناس، وانطلقت أعينهم بالبكاء، ومضى في خطبته.

١٨٦ ـ شعب بَوَّان

ابن خلكان في «وفيات الأعيان»:

وهو موضع عند شيراز كثير الأشجار والمياه. وهو منسوب إلى بوان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام. قال أبو بكر الخوارزمي: مستنزهات الدنيا أربعة مواضع: غوطة دمشق، ونهر الأبلَّة، وشعب بوان، وصغد سمرقند، وأحسنها غوطة دمشق!

١٨٧ ـ أسيرهم!

وفيه أيضاً:

أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة، كان فقيهاً شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها. وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه. وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطّه قال: امتُحنتُ بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون النعم ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم ولا

يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهراً طويلاً، وكنّا نشتي بالدهناء ونتربع بالصمّان ونقيظ بالسّتارين، واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها في كتابي (يعني: «التهذيب»).

وكانت وقعة الهبير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وكان مقدّم القرامطة يوم ذاك أبا طاهر الجنابي القرمطي، ولمّا ظهر على الحُجاج قتل بعضهم واسترق آخرين، واستولّى على جميع أموالهم، وذلك في خلافة المقتدر ابن المعتضد.

والهبير: الموضع المطمئن من الأرض.

١٨٨ ـ أعمى.. ويتيم

وفيه أيضاً:

ولّى أبو جعفر المنصور رجلاً على الإجراء على العميان والقواعد من النِّساء اللواتي لا أزواج لهنّ، فدخل على هذا المتولي بعض المتخلفين ومعه ولده، فقال له: إن رأيت أصلحك الله أن تثبت اسمي مع القواعد! فقال له المتولي: القواعد نساء فكيف أثبتك فيهنّ؟ فقال: ففي العميان! فقال: أمّا هذا فنعم، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾، فقال: وتثبت ولدي في الأيتام، فقال: وهذا أفعله أيضاً، فإنَّ مَن تكن أباه فهو يتيم. فانصرف عنه وقد أثبته في العميان وولده في الأيتام.

١٨٩ ـ دليل واحد

📖 ابن رشد في «المقدّمات على المدونة»:

قــال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

فصل: وليس رجوع إبراهيم ﷺ عمّا استدل به أولاً من أنَّ الله يُحيي ويُميت إلى أنّه يأتي بالشمس من المشرق انتقالاً من دليل إلى دليل؛ لأنَّ التنقُل من دليل إلى دليل عجز عن قطع الخصم بالدليل الذي استفتح الكلام به ولا يصحّ ذلك، بل إنّما قطع الكافر بالدليل الذي استدلّ به أولاً، ولم يخرج عنه إلى غيره لأنّه إنّما حكم بالربوبية لمَن يقدر على خلق الأفعال واختراعها، فقال: إنَّ الله يُحيي ويُميت، أي: يفعل الموت والحياة، فلمّا ادّعى الكافر القدرة على ما يصحّ أن يُراد بالإحياء والإماتة من فعل ما أجرى الله العادة بخلق الموت والحياة عنده من الجسد المفعول به ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾، وكان القتل أيضاً قد يعبَّر عنه بالإماتة عند العرب؛ بيّن له إبراهيم ﷺ أنَّ علّته ليست الأفعال التي حمل عليها كلامه جهلاً منه بمراده أو تمويهاً؛ لأنَّ الإحياء والإماتة إذا أُطلقت أظهر في اختراع الموت والحياة منها فيما حمله عليه الكافر فكيف إذا اقترنت بها قرينة تدلّ على أنّه لم يرد بها إلّا ذلك وهي ما استفتح بها

الكلام معه من الربوبية التي تقتضي ذلك وأتاه ﷺ بألفاظ لا يمكنه فيها تمويه ولا يسعه فيها عمل ولم يخرج عمّا ابتدأ به الكلام معه من الحكم بالربوبية لمَن يقدر على اختراع الأفعال وخلقها، لأنَّ الصفة في ذلك واحدة لا تتزايد ولا تختلف، فقال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، أي: إن كان ما ادّعيت حقّاً من أنَّ الإحياء والإماتة أنت فاعلهما وتقع بحسب إرادتك لأنَّ مَن يقدر على فعل شيء يقدر على فعل مثله، فلمّا رأى الكافر ما ألزمه عليه الصلاة والسلام به ولم يقدر على دفعه، ولا أمكنه فيه تمويه ولا عمل، بهت كما قال تعالى، فلم يخرج إبراهيم ﷺ من دليل إلى دليل إنّما قطعه وأبهته بالدليل الذي استفتح به كلامه والحمد لله.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، فاستدلّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام بما عاين من حركة الكواكب والشمس والقمر على أنّها محدَثة لأنَّ الحركة والسكون من علامات المحدَثات، ثم عَلِمَ أنَّ كل محدَث فلا بدّ له من مُحدِث وهو ربّ العالمين وهذا وجه الاستدلال، وحقيقتهُ قصّه الله تبارك وتعالى علينا تنبيهاً لنا وإرشاداً إلى ما يجب علينا، وهذا في القرآن كثير لا يحصى كثرة. ولم يستدلّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام بما عاينه

في الكواكب والشمس والقمر لنفسه إذ لم يكن جاهلاً بربّه ولا شاكّاً في قِدمه، وإنّما أراد أن يُري قومه وجه الاستدلال بذلك ويعيّرهم بالذهول على هذا الدليل الواضح ويوقفهم على باطل ما هم عليه، وكان من أحجّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك بيِّن من كتاب الله تعالى ألا ترى إلى ما حكى الله من قوله بعد أن أراهم أنهم على غير شيء: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وقوله في أول الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾، وقد قيل: إنَّ ذلك كان في صباه وفي أوّل ما عقل، والأوّل أصحّ وأبيَن والله تعالى أعلم.

١٩٠ ـ أمر وإذعان

وفيه أيضاً:

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فقد قيل: إنَّ معناها: إلّا لآمرهم بعبادتي، وقيل: معناها: ليذعنوا لي بالعبودية ويعترفوا لي بالربوبية، لأنَّ معنى العبادة: التذلّل للمعبود، فكل الخلق على هذا التأويل متذلّل لأمر الله مُذعن لقضائه لأنّه جارٍ عليه، لا قدرة له على الامتناع منه إذا نزل به، وإن خالف الكافر أمر الله تعالى فيما أمره به من الإيمان والطاعة، فالتذلّل لقضاء الله الجاري عليه موجود منه.

١٩١ ـ مهر!

ابن مسكويه في «الحكمة الخالدة»:

أتى رجلٌ مطيع بن إياس فقال: جئتك خاطباً مودتك! ـ فقال له مطيع: فاجعل المهر أن لا تقبل فيَّ قول الناس.

١٩٢ ـ الصبر الجميل

وفيه أيضاً:

وقال محمد ابن الحنفية في قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾، قال: صبراً لا يشوبه الشكوى إلى الناس. فقال: ومن شروط الصبر: أن تعرف كيف تصبر، ولمَن تصبر، وما تريد بصبرك، وإلّا كنت كالبهيمة تصبر أو تضطرب من غير معرفة بحقوق الصبر ولا وضعه في موضعه.

١٩٣ ـ رأي!

وفيه أيضاً:

وقال يونس بن حبيب النحوي: العرب لا تقول: «تزوجت بامرأة» إنّما تقول: «تزوجت امرأةً»، فقال الله ﷻ: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾. المعنى: قرناهم، فهناك ازدواج ما واقتران، وليس كما تذهب إليه العامّة.

١٩٤ ـ طلب العلم

وفيه أيضاً:

قيل لابن المبارك: لو أنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إليك أنّك ميت

العشيةَ، ما كنت صانعاً اليوم؟ ـ قال: أقوم أطلب فيه العلم! ✳

١٩٥ ـ التبشير والاستعمار

جان مندلسون في «الأديان في إفريقيا المعاصرة»:

إنَّ قلقاً روحياً واسعاً يحيط بإفريقيا، فالمسيحية ـ وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ـ أصبحت في موقف شديد الحرج. والإسلام بدأ نشاطه. والطقوس الدينية الأهلية ـ برغم أنّها قوية في بعض النواحي ـ متراخية في نواحٍ أخرى. والاحتفالات القديمة: الرقص، والطبول، والطقوس الطبيعية أصبح يُنظر إليها باهتمام وتأثّر جديدين ـ سواء بين الشُّبان الإفريقيين المتعلمين أو السفسطائيين ـ على أنّها تعبيرات تربوية للروح الإفريقية. وبرغم تقهقر الآلهة والأرواح القديمة فإنَّ الإفريقي الناهض في بحثه عن نفسه بدأ يتابع الاتّجاهات الدينية الموسومة بالطابع الإفريقي الخالص. وماذا عن حركة الدعوة التبشيرية المسيحية؟ إنَّ تقدّمها البطيء المستمر قد اصطدم الآن بإفريقيا الجديدة، وأُقيمت ضدّها اتّهامات ساخرة ومؤلمة معاً.

وحينما تكون حالة الشُّبان الإفريقيين النفسية سعيدة، لا يتعبون من ترداد القصّة القديمة: إنَّ المبشرين جاؤوا إلينا، وقالوا: إننا نريد أن نعلّمكم العبادة، وقلنا: حسناً إننا نريد أن نتعلم العبادة، وطلب المبشرون منّا أن نغلق أعيننا، وفعلنا ذلك وتعلّمنا التعبُّد. وحينما فتحنا أعيينا وجدنا الإنجيل في يدنا، ووجدنا أراضينا قد اغتُصبت!

ولكن هناك أيضاً تلك الكلمات المريرة، كلّما تكررت بِلا توقّف في إفريقيا كلّها: إنَّ حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لإخماد الروح الإفريقية. لقد حاولت أن تُحوّل الإفريقيين إلى أوربيين مسيحيين، فركلت مدنيتنا لتُظهر لنا مع أي جانب يقف الربّ.

«إنَّ المُبشرين غير واقعيين فيما يتعلق بتعدّد الزوجات».

«وحينما يكون للرجل الأبيض اليد العليا، فإنَّ المبشرين يتقبّلون برضاء غريب التفرقة العنصرية».

«إنَّ المبشرين يتثاقلون حينما يكون الأمر متعلقاً بتدريب أحد الإفريقيين لتولي الرئاسة والسلطة في الكنيسة».

«إنَّ الإرساليات تقف موقف عدم الاهتمام، بل العداء، من القومية ولم يوجد شعور صادق حقيقي للتوجيه السياسي الذي يسيطر على الشباب الإفريقي».

١٩٦ ـ أعدادهم!

وفيه أيضاً:

وطِبقاً لتقدير يعتمد عليه، يعمل في إفريقيا **١٥٩٧٠** مُبشراً بروتستانتيّاً أو زهاء **٣٥**٪ تقريباً من المجموع البالغ **٤٢٢٥٠** مُبشراً، وبما أنَّ كنائس أمريكا الشمالية هي التي تسيطر الآن على المسرح الإرسالي، فإننا يمكننا أن نفترض أنّها المسؤولة عن نصيب الأسد في مصروفات الإرساليات.

وتقرّر مكتبة البحوث الإرسالية في نيويورك أنَّ المصروفات التي تحملتها الولايات المتحدة للإرساليات في الخارج قد ارتفعت بنسبة **٣٢٪** في السنوات الأربعة الماضية. ومعظم هذا قد ذهب إلى إفريقيا. والمعدل الساري للمصروفات الخاصة بأعمال إرساليات الهيئات البروتستانية الأمريكية وحدها حوالي **١٧٠** مليون دولاراً في السنة.

ومن الواضح أنَّ إفريقيا، من وجهة النظر الإرسالية، هي قلب العالم. ويرعى أكثر من أربعمائة منظمة كَنَسية أمريكية نوعاً أو آخر من المجهودات الإرسالية، في حين أنّه بالمقارنة، لا يعمل في كل سفارات وقنصليات وزارة الخارجية سِوى سبعمائة مواطن أمريكي، وقد أفاد جون جيبسون أنَّ عدد الإرساليات المختلفة في روديسيا الجنوبية كبير لدرجة أنَّ الحكومة قد حاولت كبح المنافسة على البشر بتحريم إرسالية على بُعد أقلّ من خمسة أميال من الأخرى!!

١٩٧ ـ حقيقة العبادة

القرضاوي في «العبادة في الإسلام»:

إنَّ العبادة المشروعة لا بدّ لها من أمرين:

الأول: هو الالتزام بما شرّعه الله، ودعا إليه رسله، أمراً ونهياً، وتحليلاً وتحريماً، وهذا هو عنصر الطاعة والخضوع لله.

الثاني: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحبّ الله تعالى، وحقيقة المحبّة لا تتمّ إلّا بموالاة المحبوب.

قال ابن القيم: أصل العبادة محبّة الله، بل إفراده بالمحبّة، وأن يكون الحبّ كلّه لله فلا يحبّ معه سواه، وإنّما يحبّ لأجله وفيه.

١٩٨ ـ عييت وأعييت

ياقوت في «معجم الأدباء»:

ولقيَ أحمد بن سهل الأمير أبا زيد ـ أحمد بن سهل البلخي ـ في طريق وقد أجهده السير، فقال له: عييتَ أيّها الشيخ، فقال أبو زيد: نعم أعييتُ أيّها الأمير، فنبّهه أنّه لحن في قوله: «عييتَ» إذ العِيُّ في الكلام، والإعياء في المشي.

١٩٩ ـ عبور!

وفيه أيضاً في ترجمة أبي زيد:

أنَّ صاحب خراسان استدعاه إلى بخارى ليستعين به على سلطانه، فلمّا بلغ جَيحون ورأى تَغَطْمُط[1] أمواجه وجرية مائه وسعة قطره كتب إليه: إن كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإنّي إن عبرت هذا النهر فلست بذي رأي! ورأيي يمنعني من عبوره. فلمّا قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع إلى بلخ.

٢٠٠ ـ الجريب والذراع

أبو يعلى الحنبلي في «الأحكام السلطانية»:

أمّا الجريب فهو: عشر قصبات. والقفيز: عشر قصبات

(١) اصطحاب الأمواج واضطرابها، يقال: غطمط موج البحر: اضطرب.

في قصبة. والعشير: قصبة في قصبة. والقصبة: ستة أذرع. فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة. والقفيز: ثلاثمائة وستين ذراعاً مكسرة، وهو عُشر الجريب. والعشير: ستة وثلاثون ذراعاً، وهو عُشر القفيز.

والأذرع سبعة: أقصرها القاضية، ثم اليوسفية، ثم السوداء، ثم الهاشمية الصغرى، وهي البلالية، ثم الهاشمية الكبرى، وهي الزيادية، ثم العمرية، ثم الميزانية.

فأمّا القاضية - وهي التي تسمّى: ذراع الدور - فهي أقلّ من ذراع السوداء بإصبع وثلثي إصبع، وأوّل مَن وضعها ابن أبي ليلى القاضي. وبها يتعامل أهل كلواذي.

وأمّا اليوسفية فهي التي يذرع بها القضاة الدور بمدينة السلام، وهي أقلّ من الذراع السوداء بثلثي إصبع. وأوّل مَن وضعها أبو يوسف القاضي.

وأمّا الذراع السوداء فأوّل مَن وضعها الرشيد، قدّرها بذراع خادم أسود كان على رأسه. وهي التي يتعامل بها الناس في ذرع البرّ والتجارة والأبنية، وقياس نيل مصر.

وأمّا الذراع الهاشمية الصُغرى فهي أطول من الذراع السوداء بإصبعين وثلث إصبع، وأوّل مَن أحدثها بلال بن أبي بردة، وذكر أنّه ذراع جدّه أبي موسى الأشعري، وهي أنقص من الزيادية بثلاثة أرباع عشر، وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة.

وأمّا الهاشمية الكبرى فهي ذراع الملك. وأوّل مَن نقلها إلى الهاشمية المنصور. وهي أطول من ذراع السوداء بخمس أصابع وثلثي إصبع، يكون ذراعاً وثمناً وعشراً بالسوداء، وتنقص عنها بالهاشمية الصغرى ثلاثة أرباع عشرها، وسمّيت زيادية لأنَّ زياداً مسح بها أرض السوداء. وهي التي يذرع بها أهل الأهواز.

وأمّا الذراع العمرية فهي ذراع عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي مسح بها أرض السواد، قال موسى بن طلحة: رأيت ذراع عمر التي مسح بها أرض السواد، وهي ذراع وقبضة وإبهام قائمة. قال الحكم بن عتيبة: إنَّ عمر رضي الله عنه عمد إلى أطولها ذراعاً وأقصرها، فجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها، وزاد عليها قبضة وإبهاماً قائمة، ثم ختم في طرفيه بالرصاص، وبعث بذلك إلى حذيفة وعثمان بن حنيف حتى مسحا بها السواد، وكان أوّل مَن مسح بها عمر بن هبيرة.

وأمّا الذراع المأمونية فتكون بالذراع السوداء ذراعين وثلثي ذراع وثلاث أصابع، وأوّل مَن وضعها المأمون. وهي التي يتعامل الناس بها في ذرع البرندات والسكور، وكري الأنهار، والحفائر.

وقد اعتبر أصحابنا الذراع الهاشمي في مساحة الفراسخ التي تقصر فيها الصلاة.

٢٠١ ـ ما يلزم الإمام

❁ وفيه أيضاً:

ويلزم الإمام من أمور الأمّة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدّين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمّة. فإن زاغ ذو شبهة عنه بيّن له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدّين محروساً من خلل، والأمّة ممنوعة من الزلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بينهم، حتى تظهر النصفة، فلا يتعدّى ظالم ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة والذبّ عن الحوزة، ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين.

الرابع: إقامة الحدود لتُصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتُحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

الخامس: تحصين الثغور بالعدّة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بعزّة ينتهكون بها محرماً ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد.

السادس: جهاد مَن عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمّة.

السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصّاً واجتهاداً من غير عسف.

الثامن: تقدير العطاء وما يستحقّ في بيت المال من غير سرف ولا تقصير فيه، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوّضه إليهم من الأعمال ويَكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة.

العاشر: أن يباشر مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمّة وحراسة الملّة، ولا يعوّل على التفويض تشاغلاً بلذّة أو عبادة. فقد يخون الأمين ويغش الناصح. وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾، فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة، وقال النبيّ ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**».

٢٠٢ ـ عالمية شكسبير

العقّاد في «التعريف بشكسبير»:

وآية الشاعر العالمي متى وجد في أمّة من الأمم أنَّ هذه الأمّة لا تستطيع أن تحصره فيها، لأنّه استحقّ «العالمية» بمزاياه الإنسانية المشتركة بين الأقوام والأزمنة، ولم يستحقّها بمزية مقصورة على قومه يكرِّرونها ويعيدونها بما استأثروا به من صفاتهم المكرّرة المُعادة. وإذا لم يكن في انجلترا شكسبيران ولم يكن في اليونان هومران فليست علاقة الوطن في أحدهما بأثبت من علاقة الإنسان حيث كان.

ولهذا يحدث أحياناً أن يتشيع للشاعر العالمي أناس من غير وطنه على أناس من صميم وطنه. وقد يهجرونه في بلاده زمناً ثم يعودون إليه بهداية جديدة من الغرباء عنهم، فهم يستوردونه مرّات من «الخارج» ولا يحقّ لهم أن يمنّوا على «الخارج» بأنّهم قد أصدروه إليهم.

تلك آية من آيات «العالمية» تتمثّل في شكسبير كما تمثّلت في نظرائه من عباقرة العالم، فلا تستأثر بلاده اليوم بمأثرة من مآثر العناية به فيما عدا القُربى «المحلية» التي فرضتها اللغة والمكان، وفي بلاد اللغة الإنجليزية من أجل ذلك متاحف لآثاره ومعاهد لذكرياته وطبعات من أصول كتبه لا يضارعها بلد آخر يتكلّم بلغة أخرى. . . أمّا دراسته ومراجعة أقواله وأقوال نقّاده وشُراحه فذلك مجال يتسابق فيه قومه وغير قومه، ولا يندر أن يكون قومه هم المسبوقين فيه.

على أنَّ هذه الشهرة العالمية لم تتوطد لشكسبير على عجل، فقد مضى أكثر من مائة سنة قبل أن ينتقل اسمه من جزيرته شوطاً بعيداً إلى أرجاء القارة الأوروبية، ثم سرى فيها على مهل، فاختلف مجراه ومجرى السياسة في دولته اختلافاً يُنبىء عن كثير من أسرار العظمة الأدبية، وأظهر ما يُنبىء عنه أنَّ العظمة الأدبية التي ترتفع إلى أوج المكانة العالمية تسير بخطاها ولا تسير في ركاب دولة تحميها. فلو كانت القارة الأوروبية تحتجب عنها شهرة شكسبير لسبب من أسباب السياسة الدولية لكانت فرنسا وألمانيا وروسيا أحقّ البلاد أن

تحتجب عنها تلك الشهرة وأن تقف عند حدودها فلا تعبرها، فإنّها الدّول الثلاث التي أقامتها الحوادث منذ القرن السابع عشر مقام المنافسة ـ أو المنازعة ـ للدولة البريطانية في طلب السيادة على القارة وما وراءها ومَن لم يشتبك منها في حرب مع دولة شكسبير خلال القرن التاسع عشر فقد كان في ذلك القرن يجمع عدّته لتلك الحرب ويتوقّعها في أوانها، ولكن هذه الدّول كانت بين أَسبق الدّول الأوروبية إلى تعظيم الشاعر الغريب عن القارة وترويج أدبه والتنويه بِقَدره، وكان أَسبقها في الزمن وفي التنويه فرنسا التي كانت خلال القرن كلّه تتلقى زحوف شكسبير زحفاً بعد زحف وتذود جيوش بلاده في ميادين القارات الأربع بين العالمين القديم والجديد.

٢٠٣ ـ ما وراء التأليف

عباس محمود العقّاد في «حياة قلم»:

فمن غضباته ـ المازني ـ التي نذكرها تلك الغضبة التي أشرت إليها في مَعْرِض الكلام على تأليف العبقريات، وأوّلها «عبقرية محمد» صلوات الله عليه.

كنّا نزور ساحة المولد النبويّ على مَقرُبة من مَسكني بالعباسية، في جولة من جولاتنا التي كنّا نسمّيها بالتفتيش الفنيّ على أحياء المدينة. فذكرنا مقال البطولة النبويّة في كتاب «الأبطال» للفيلسوف الأيقوسي: توماس كارليل. وكان يعرف إعجابي بما يكتب ذلك الفيلسوف. فقال:

ـ ولِمَ لا تكتب أنت ذلك المقال من جديد ونحن أَولى بهذا الواجب من كتّاب الغرب. مهما يكن من إخلاصهم في تقدير البطولة المحمدية؟

وكان في الجماعة فتى متحذلق يحسب أنَّ حرية الفكر إنّما تُقاس بمقدار التطاول على المقدّسات الموقرة، وعلى مقدساتنا نحن دون سائر العالمين.. ففاهَ بكلام هازل يشير به إلى السيف وإلى الزوجات الكثيرات... وما راعنا إلّا المازني الوديع الساخر ينتفض غضباً كأنّما لمسته لفحة من وقود مضطرم وإلّا حركة يوشك أن يتبعها عمل وهو يقول تعقيباً على صيحتي في وجه ذلك الدعي المتحذلق: كلا. كلا. إنَّ هذا الهجر لا يثبت الحاجة إلى الضرب بالسيف في نشر الدعوات. إنّه يثبت الحاجة إلى ما هو أصلح من ذلك لِداء البذاءة والقحة: إنّه الضرب بالحذاء توقيراً للسيف عن مثل هذا المقام..

٢٠٤ ـ شروط التأليف والتدريس

المقري في «أزهار الرياض»:

قال الإمام أبو عبد الله الأُبِّيّ رحمه الله تعالى في شرح مسلم، عند كلامه على قوله ﷺ: «**أو عِلم يُنتفع به بعدَه**»:

كان شيخنا أبو عبد الله بن عَرَفة يقول: إنّما تدخل التواليف في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة، وإلّا فذلك تخسير للكاغَد. ونعني بالفائدة الزائدة على ما في الكتب السابقة عليه، وأمّا إذا لم يشتمل التأليف إلّا على نقل ما في الكتب المتقدّمة فهو الذي قال فيه: إنّه تخسير للكاغَد.

وهكذا كان يقول في مجالس التدريس، وإنّه إذا لم يكن في مجلس التدريس التقاط زائدة من الشيخ، فلا فائدة في حضور مجلسه، بل الأَولى لِمَن حصلت له معرفة بالاصطلاح، والقدرة على فهم ما في الكتب، أن ينقطع لنفسه ويُلازم النظر.

٢٠٥ - بديهة.. وبيان

وفيه أيضاً في ترجمة ابن رشيد:

حدّثني بعض شيوخنا، قال: قعد يوماً على المنبر، فظن أنَّ المؤذن الثالث قد فرغ! فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستفظع ذلك بعض الحاضرين، وهمَّ آخر بإشعاره وتنبيهه، وكلّمه آخر! فلم يَثنه ذلك عمّا شرع فيه، وقال بديهة: أيُّها الناس، رحمكم الله، إنَّ الواجب لا يُبطله المندوب، وإنَّ الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهّبوا لطلب العلم وتنبّهوا، وتذكّروا قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فقد روينا عنه ﷺ أنّه قال: «**مَن قال لأخيه والإمام يخطب انصت فقد لغا، ومَن لغا فلا جمعة له**». جعلنا الله وإياكم ممّن عَلِمَ فعمل، وعمِلَ فقُبل، وأخلص فتخلَّص.

٢٠٦ - من أيادي العربية عليهم

ألفرد جيوم في مقدمة «تراث الإسلام»:

ونحن مدينون فوق هذا بما للغة العربية من فضل كبير علينا في دراسة التوراة، فإنَّ هذه اللغة لم تكد تصبح لغة رسمية

حتى أدرك اليهود صلتها الوثقى باللغة العبرية، وقد أخذ اليهود يقلّدون العرب ـ أو بالأحرى المسلمين من غير العرب ـ في إبان القرن الثالث للهجرة، ويُخضعون لغتهم لقواعد النحو العربي.

ثم إنَّ علم النحو الذي وضعه الحاخام ديفيد كمحي daved qimhi المتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف، والذي أثر تأثيراً بعيد المدى فيما تلا ذلك من دراسة اللغة العربية بين المسيحيين، قد استمدّ من الأصول العربية كثيراً من مادته. وكثيراً ما كان الحاخام يرجع في تفسيره القائم على النحو الذي وضعه إلى الترجمات المعتمدة لمخطوطات العهد القديم.

ومنذ فجر القرن التاسع عشر لم يزل الباحثون يلجأون إلى اللغة العربية ليلتمسوا في رحابها تفسير الكلمات والصِّيغ النادرة في اللغة العبرية، لأنَّ العربية وإن كانت تصغر من العبرية بألف عام من حيث أنّها لغة آداب، فإنّها تكبر عنها من ناحية الفقه اللغوي بقرون لا يحصيها العدّ!

والألفاظ العبرية التي لا نستطيع تحقيق الأصول التي نشأت عنها يمكن ردّها في أغلب الأحيان إلى آثار صِيَغ بَطَلَ استعمالها وانقطعت صلتها بغيرها، وهي صِيَغ شائعة في اللغة العربية التي تشترك مع العبرية في أصل واحد.

والألفاظ والعبارات التي فقدت في العبرية معناها الدقيق يسهل تفسيرها تفسيراً مقنعاً بالرجوع إلى الأصل العربي.

أجل.. ليس في وسع باحث جادّ يدرس العهد القديم أن يستغني عن الإحاطة باللغة العربية، وتكشف لك التعليقات التي تناولها جميع نُقّاد التوراة عن فضل اللغة العربية في تفسير الإنجيل، وما زال تراث العربية للعبرية باقياً حتى اليوم.

٢٠٧ ـ يُولَد على الفطرة

الشريف المرتضى في «الفوائد ودرر القلائد»:

والصحيح في تأويل قوله عليه السلام: «**كل مولود يُولَد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه**»، أنّه يحتمل أمرين:

أحدهما: أن تكون الفطرة ها هنا الدِّين، وتكون «**على**» بمعنى: اللام؛ فكأنه قال: كل مولود يولَد للدِّين ومن أجل الدِّين؛ لأنَّ الله تعالى لم يخلق مَن يُبلغه مبلغ المكلّفين إلّا ليعبده فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾. والدليل على أنَّ «**على**» تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السِّكِّيت عن أبي زيد عن العرب أنّهم يقولون: صِف عَليَّ كذا وكذا حتى أعرفه، بمعنى: صف لي، ويقولون: ما أغيظك عليَّ! يريدون: ما أغيظك لي، والعرب تقيم بعض حروف الصفات مقام بعض فيقولون: سقط الرجل لوجهه، يريدون: على وجهه...

وإنّما ساغ أن يريد بالفطرة، التي هي الخِلقة في اللغة ـ الدِّين؛ من حيث كان هو المقصود بها، وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلّق والاختصاص؛ وعلى هذا

يتأوّل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾، أراد: دِين الله الذي خلق الخَلق له. وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ المراد به: أنَّ ما خُلق العباد له من العبادة والطاعة ليس ممّا يتغيّر ويختلف، حتى يخلق قوماً للطاعة، وآخرين للمعصية. ويجوز أن يُراد بذلك الأمر وإن كان ظاهره الخبر، فكأنّه تعالى قال: ولا تبدِّلوا ما خلقكم الله له من الدِّين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا.

والوجه الآخر: في تأويل الفطرة: أن يكون المراد بها الخِلقة، وتكون لفظة: «**على**» على ظاهرها لم يرد به غيرها، ويكون المعنى: كل مولود يولَد على الخلقة الدالّة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به، لأنّه ﷻ قد صوَّر الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر في معرفتة والإيمان به، وإن لم ينظروا ولم يعرفوا، فكأنّه عليه السلام قال: كل مخلوق ومولود فهو يدلّ بخلقه وصورته على عبادة الله تعالى، وإن عَدَل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً. وهذا الوجه يحتم له أيضاً قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾.

وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله: «**حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه**» يحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّ مَن كان يهودياً أو نصرانياً ممّن خلقته لعبادتي ودِيني، فإنّما جعله كذلك أبواه ومَن جرى مجراهما ممّن أوقع له الشبهة وقلّده الضلال عن الدِّين، وإنّما خصَّ

الأبوين لأنَّ الأولاد في الأكثر ينشؤون على مذهب آبائهم ويألفون أديانهم ونِحلهم، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم، وأنّه إنّما خلقهم للإيمان فصدَّهم عنه آباؤهم، أي: ومَن جرى مجراهم.

والوجه الآخر: أن يكون معنى: «**يهوّدانه وينصّرانه**» أي: يلحقانه بأحكامهما، لأنَّ الأطفال أهل الذمّة قد ألحقَ الشرع أحكامهم بأحكامهم، فكأنّه عليه السلام قال: لا تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنّهم خُلقوا لدِينهم، بل لم يُخلقوا إلّا للإيمان والدِّين الصحيح، لكن آباءهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم، وعبّر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله: «**يهوّدانه وينصّرانه**» وهذا واضح.

٢٠٨ ـ كتاب «الإحياء»

أنور الجندي في «الإمام المراغي»:

يقول المراغي: ذهبت ليلة سفري إلى السودان لتولّي قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر سنة **١٩٠٤م** إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده لتوديعه فسألني: هل معك رفقاء السفر؟ فقلت: نعم، بعض كتب آنس إليها وأستديم بها اتّصالي بالعلم، فقال: أوَمعك كتاب الإحياء؟ فقلت: نعم، قال: الحمد لله.. هذا كتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفراً طويلاً دون أن يكون رفيقه.

٢٠٩ ـ الهوى والشهوة

📚 **الماوردي في «أدب الدنيا والدِّين»:**

فأمّا فرق ما بين الهوى والشهوة، مع اجتماعهما في العلّة والمعلول، واتّفاقهما في الدلالة والمدلول، فهو أنَّ الهوى مختصّ بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصّة بنيل المستلذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، وهي أخصّ، والهوى أصل، هو أعمّ. ونحن نسأل الله أن يكفينا دواعي الهوى، ويصرف عنّا سُبُل الردى، ويجعل التوفيق لنا قائداً، والعقل لنا مرشداً، فقد روي: أنَّ الله أوصى إلى عيسى عليه السلام: «**عِظ نفسك، فإن اتعظت فعِظ الناس، وإلّا فاستحي مني!**».

٢١٠ ـ التفاضل بالتقوى

📚 **العاملي في «أسرار البلاغة»:**

قال معاوية يوماً على المنبر: أيّها الناس إنَّ الله فضّل قريشاً بثلاث، فقال لنبيّه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ونحن عشيرته الأقربون، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ ونحن قومه، وقال ﷻ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ونحن قريش! فقال رجل من الأنصار: على رَسلك يا معاوية، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وأنتم قومه، وقال عزَّ مَن قال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ وأنتم قومه، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ وأنتم قومه! وهذه ثلاثة بثلاثة، ولو زدت لزدناك، فأفحمه.

٢١١ ـ غلاء

وفيه أيضاً:

وسامَ بعضهم دجاجة هندية، فقيل له: بدينار! قال: والله لو كانت في الحُسن كيوسف، وفي العِظَم ككبش إسماعيل، وكل يوم تبيض، ولي عهد للمسلمين ما اشتريتها بدرهم.

٢١٢ ـ الرؤية والرؤيا

العاملي في «الكشكول»:

قد فرّق أهل العربية بن الرؤيا والرؤية، فقالوا: الرؤيا مصدر: رأى الحلم، والرؤية مصدر: رأت العين. وغلّطوا أبا الطيب في قوله:

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي
ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

٢١٣ ـ من دقائق التلاوة

وفيه أيضاً:

يُقال: إنَّ أبا عمرو بن العلاء قال: قرأت: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فاخترت تحريك الياء ها هنا، لأنَّ السكون ضرب من الوقف، فلو سكنت الياء ها هنا كنت كالذي ابتدأ وقال: لا أعبد الذي فطرني، فاخترت تحريك الياء هرباً من ضرر الوقف. وهذا من أبي عمرو في غاية الدقة والنظر في المعاني اللطيفة.

٢١٤ ـ قيم القوم!

الدكتور وافي في «الأدب اليوناني القديم»:

غير أنّه قد شاع في أسبرطة في هذا الصدد ـ حماية المُلكية عند اليونان ـ تقليد غريب، فقد كان يباح للأحداث والشُّبان السرقة من المخازن العامة المملوكة للدولة ومن غيرها، بل كانوا يشجَعون على ذلك لما تتضمّنه هذه المغامرات من تدريب على أعمال الحرب، وتمرين على ما يلزم للجندي في ساحة القتال من مهارة وخدعة وسرعة حركة ومواجهة لِما يطرأ من مفاجآت لم تكن في الحسبان. وكان الشاب السارق لا يُعاقب إلّا إذا قُبض عليه وبيده الشيء المسروق قبل أن يتمكّن من إخفائه. وكان لا يُعاقب في الحقيقة على السرقة نفسها، وإنّما كان يُعاقب لعدم مهارته في اقترافها وإحكام وسائلها، ولذلك كان الشُّبان يحرصون أيّما حرص على نجاح سرقاتهم، وكانوا يعانون من ذلك عنتاً كبيراً؛ حتى أنّه ليُروى أنَّ شاباً أسبرطياً سرق ثعلباً من حظيرة عامة، وبينما كان يقوده إلى حيث يريد إخفاءه إذ لمح جماعة في طريقه، فأخفى الثعلب في داخل جسمه حتى لا تكشف سرقته، فأنشب الثعلب أظافره وأنيابه في جسمه وظلَّ الشاب متجلداً لِما أصابه فلم تبدر منه أيّة بادرة تنمّ عن ألم أو توجع حتى مرَّ بالجماعة بدون أن تفطن لفعلته، وهكذا نجحت مغامرته، ولكن نجاحها كان على حساب حياته، فقد مات عقب ذلك متأثراً بجراحه.

٢١٥ ـ بيت المال أحقّ

الأصفهاني في «الأغاني»:

كان العرجي غازياً فأصابت الناس مجاعة، فقال للتجار: أعطوا الناس وعليّ ما تعطون، فلم يزل يعطيهم ويُطعم الناس حتى أخصبوا، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار، فألزمها العرجي نفسه، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال: بيت المال أحقّ بهذا، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال.

٢١٦ ـ الخيال والوهم

العقّاد في «حياة قلم»:

لم يسبق أحد عبد الرحمن شكري فيما أذكر إلى تطبيق البلاغة النفسية ـ السيكولوجية ـ المستمدة من أدب الغرب على ما يقرؤه من شعر الفحول في اللغة العربية. ولعلّه أوّل مَن كتب في لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال Immagination وتصوير الوهم Fancy وهما ملتبسان حتى في موازين بعض النقّاد الغربيين. ومن ذلك التفرقة بين تشبيه الشفق والفجر بدم الشهداء في قول المعرّي:

وعلى الأفق من دماء الشهيد　　ين علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجرا　　ن وفي أولياته شفقان

وبين تشبيه ابن الرومي للأصلع حيث يقول:

فوجهه يأخذ من رأسه　　أخذ نهار الصيف من ليله

فالأول وهم في خاطر المعري لا يلتفت إليه أحد غيره لو لم يذكره، والآخر خيال مطبوع يخطر لك بديهة مصورة تتقن من التشبيه ما يتقنه الشاعر!

٢١٧ ـ السنّة تقضي على اللغة

أبو العباس ثعلب في «مجالس ثعلب»:

وفي الحديث: «**لا صلاة لِمَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعداً**»، قال أبو العباس: لا يجزيه إلّا بالحمد وأخرى، قال أبو إسحاق بن جابر ـ شيخ من أهل الفقه ـ: فما تقول في قول النبيّ ﷺ: «**لا قَطْعَ إلّا في ربع دينار فصاعداً**»؟ قال: القطع في الرُّبع فما زاد، قال: فهلّا قلتَ مثل ذلك في الحمد أنّها تجزي وحدها؟

قال أبو العباس: السُّنَّة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنّة. وظنَّ أنّه جاء خبر عن النبيّ ﷺ أنّه لا تجزي الصَّلاة بالحمد وحدها، فقيل له: إنَّ السنّة لم تجىء بهذا، فقال: إن كان هذا كان فالقول فيهما واحد.

٢١٨ ـ وأدبار السجود

وفيه أيضاً:

وقال أبو العباس في قوله ﷻ: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: اختار الكسائي في السجود فتح الألف، على الجمع، لأنَّ لكل سجدة دُبْراً والنجوم لها دُبْرٌ واحد في السَّحَر فتقول: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

فالأول وهم في خاطر المعري لا يلتفت إليه أحد غيره لو لم يذكره، والآخر خيال مطبوع يخطر لك بديهة مصورة تتقن من التشبيه ما يتقنه الشاعر!

٢١٧ ـ السنّة تقضي على اللغة

أبو العباس ثعلب في «مجالس ثعلب»:

وفي الحديث: «**لا صلاة لِمَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعداً**»، قال أبو العباس: لا يجزيه إلّا بالحمد وأخرى، قال أبو إسحاق بن جابر ـ شيخ من أهل الفقه ـ: فما تقول في قول النبيّ ﷺ: «**لا قَطْع إلّا في ربع دينار فصاعداً**»؟ قال: القطع في الرُّبع فما زاد، قال: فهلّا قلتَ مثل ذلك في الحمد أنّها تجزي وحدها؟

قال أبو العباس: السُّنَّة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنّة. وظنَّ أنّه جاء خبر عن النبيّ ﷺ أنّه لا تجزي الصَّلاة بالحمد وحدها، فقيل له: إنَّ السنّة لم تجيء بهذا، فقال: إن كان هذا فالقول فيهما واحد.

٢١٨ ـ وأدبار السجود

وفيه أيضاً:

وقال أبو العباس في قوله ﷻ: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: اختار الكسائي في السجود فتح الألف، على الجمع، لأنَّ لكل سجدة دُبْراً والنجوم لها دُبْرٌ واحد في السَّحَر فتقول: ﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

٢١٩ ـ توهم لا يزول

وفيه أيضاً، في مقدمة التحقيق:

ويُروى أنَّ بعض أكابر أولاد طاهر سأل أبا العباس ثعلباً أن يكتب له مصحفاً على مذهب أهل التحقيق، فكتب: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ بالياء. ومن مذهب الكوفيين أنّه إذا كان كلمة من هذا النحو أوّلها ضمة أو كسرة كتبت بالياء وإن كانت من ذوات الواو. والبصريون يكتبون بالألف. فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال: ينبغي أن يكتب: «والضحا» بالألف لأنّه من ذوات الواو. فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد: لِمَ كتبت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ بالياء؟ فقال: لضمة أوّله، فقال له: ولِمَ إذا ضُمّ أوّله وهو من ذوات الواو تكتبه بالألف؟ فقال: لأنَّ الضمة تشبه الواو، وما أوّله واو يكون آخره ياء، فتوهموا أنَّ أوّله واو! فقال أبو العباس المبرد: أفلا يزول هذا التوهّم إلى يوم القيامة؟!

٢٢٠ ـ الأذان في وقت واحد

الكندي في «ولاة مصر وقضاتها»:

ثم وليها مسلمة بن مُخلَّد الأنصاري من قِبل معاوية... وفي سنة ثلاث وخمسين أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها، وأمر المؤذنين أن يكون أذانهم في الليل في وقت واحد، فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر، فإذا فرغوا من أذانهم أذّن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد، فكان الأمر على

ذلك إلى أن دخلت المسوِّدة[1]!

٢٢١ - حراسة وسلطان

وفيه أيضاً:

ثم وليها أبو صالح الخُرْسي يحيى بن داود من قبل المهدي على صَلاتها وخراجها، قدمها في ذي الحجة سنة اثنتين وستين ومائة.

وكان صالح من أشدّ الناس سلطاناً وأعظمهم هيبة، ولمّا ولّي مصر منع من غلق الأبواب بالليل، ومنع أهل الحوانيت من غلقها حتى حطّوا عليها شرائح القصب تمنع منها الكلاب، ومنع حرّاس الحمامات أن يجلسوا فيها، وقال: مَن ضاع له شيء فعليّ أداؤه، فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول: يا أبا صالح احفظها! فكانت الأمور على هذا مدة ولايته.

٢٢٢ - ورع وخوف

وفيه أيضاً:

ثم ولّي القضاء بها توبة بن نمر الحضرمي من قبل الوليد بن رفاعة، فكانت ولايته مستهل صفر سنة خمس عشرة ومائة.

---

(١) المسودة: هم العباسيون، لقبوا بهذا الاسم لأنّهم اتّخذوا السواد شعاراً لهم.

ولمّا تولّى القضاء دعا امرأته عفيرة فقال: يا أم محمد أي صاحب كنت لك؟ قالت: خير صاحب وأكرمه، قال: فاسمعي، لا تعرضنَّ لي في شيء من القضاء، ولا تذكِّرنِّي بخصم، ولا تسأليني عن حكومة، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق! فإمّا أن تقيمي مكرَّمة، وإمّا أن تذهبي ذميمة! فكانت ترى دواته قد احتاجت إلى الماء فلا تأمر بها أن تمد؛ خوفاً من أن يدخل عليه في يمينه شيء.

٢٢٣ ـ ديوان الأوقاف

وفيه، في ترجمته أيضاً:

أوّل قاضٍ وضع يده على الأحباس: توبة بن نمر في زمن هشام، وإنّما كانت الأحباس في أيدي أهلها، وفي أيدي أوصيائهم، فلمّا كان توبة قال: ما أرى مرجع هذه الصدقات إلّا إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها من التَّواء والتوارث، فلم يمت توبة حتى صارت الأحباس ديواناً عظيماً.

٢٢٤ ـ عيوب الاختصار

ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»:

والمرتضى رحمه الله لا يورد كلام قاضي القضاة بنصه، وإنّما يختصره ويورده مبتوراً، ويومىء إلى المعاني إيماءً لطيفاً، وغرضه الإيجاز، ولو أورد كلام قاضي القضاة بنصه لكان أَليق، وكان أبعد عن الظنة، وأدفع لقول قائل من خصومه: إنّه

يحرّف كلام قاضي القضاة ويذكره على غير وجهه. ألا ترى أنَّ من نصّب نفسه لاختصار كلام فقد ضمّن على نفسه أنّه قد فهم معاني ذلك الكلام حتى يصحّ منه اختصاره، ومن الجائز أن يظن أنّه قد فهم بعض المواضع ولم يكن قد فهمه على الحقيقة، فيختصر ما في تصنيف ذلك الشخص، وأمّا مَن يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعة، وعرض عقلَ غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين.

٢٢٥ ـ عيّ!

البيهقي في «المحاسن والمساوىء»:

قال الأصمعي: أنشد رجل بشاراً العقيلي بيت الطِّرماح:

فما للنوى لا بارك الله في النوى
وهَمٌّ لنا منها كَهَمِّ المُبايِنِ

فقال: إنَّ هذا البيت لو وثبت عليه الشاة لأكلته! يعني: إعادته النوى في البيت مرتين، فقلت: صدق بشّار، إعادة الأسماء في بيت أكثر من مرة عِيّ.

٢٢٦ ـ العلم والغِنى

ياقوت في «معجم الأدباء»:

ذكر أنَّ ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد الباجي صاحب كتابي: «المنتقى» و«الاستغناء» وغيرهما من التواليف، وجرت بينهما مناظرة، فلمّا انقضت قال الفقيه أبو

الوليد: تعذرني فإنَّ أكثر مطالعتي كانت على سرج الحراس، قال ابن حزم: وتعذرني أيضاً فإنَّ أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة! أراد أنَّ الغِنى أضيع لطلب العلم من الفقر.

وقال العقاد في مقدمته «للموسوعة التيمورية»:

قيل لابن حزم: إنّك لا فضل لك في علمك لأنّك حصلته وأنت تطالع الكتب على مصابيح الذهب! فقال ما معناه: بل الفضل لي في ذلك فضل لا ينازعه مَن طالع الكتب على غير تلك المصابيح؛ لأنّه طلب العلم ليصير إلى مثل ما أنا فيه، ولكنني طلبته مُستغنياً به عن كل طلبة، لأنني لم أبلغ به نعمة كنت أفقدها قبل الوصول إليه!

ويحقّ لنا أن نضع هذه الكلمة على لسان علّامتنا السريّ بعلمه وماله رحمه الله ـ المحقّق المغفور له أحمد تيمور باشا ـ فإنّها حقّ له لم يكن يذكره لنفسه، فلنذكر له في هذا المقام أنّه صحب الدنيا وفارقها وهو يُحسن بعلمه كما يُحسن بماله، أحسن الله إليه، وأجزل له مثوبة الخير والذِّكر الجميل.

٢٢٧ ـ لبنيَّة!

وجاء في الموسوعة المذكورة:

في «كنز الفوائد في الموائد» ص**٥٩**: لبنيَّة وهي بلحم وكشك. وفي «الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه» للصفدي من مخطوطات الخزانة الأهلية بباريس رقم **٣٣٤** ص**٩١**:

(وقلت: وقد وقع ثلج كثير في الجامع الأموي):

لا تحسبُوا الثلج يُرمى   في جامع ابن أميَّهْ
لكن (كانونَ) يملا   في صحنه (البنيَّهْ)!

قلت: وهو من التشبيهات العقم عند «أرباب العزائم» في الشام.

٢٢٨ ـ من رسائل النُحاة

وفي معجم ياقوت، في ترجمة عطاء بن يعقوب بن ناكل:

صدْر كتاب صَدَر منه إلى بعض الصدور[١].

أطال الله بقاء الشيخ في عز مرفوع كاسم كان وأخواتها إلى فلك الأفلاك، منصوب كاسم إن وذواتها إلى سمْك السِّماك[٢]، موصوف بصفة النَّماء، موصول بصلة البقاء، مقصور على قضية المُراد، ممدود إلى يوم التَّناد، معرَّف به، مضاف إليه، مفعول له، موقوف عليه، صحيح سالم من حروف العلّة، غير معتلّ ولا مهموز همز الدالة، يُثنّى ويُجمع دائماً جمع السلامة والكثرة، لا جمع التكسير والقلّة، ساكن لا تغيره يد الحركة، مبني على اليُمن والبركة، مضاعف مكرّر على تناوب الأحوال، زائد غير ناقص على تعاقب الأحوال، مبتدأ به خبره الزيادة، فاعل مفعوله الكرامة، مستقبله خير من ماضيه

(١) الصدور: الرؤساء.
(٢) السِّماك: اسم لكوكبين: أحدهما: السِّماك الرامح، وثانيهما: السِّماك الأعزل، ويُضرب بهما المَثل في العلو.

حالاً، وغده أكثر من يومه وأمسه جلالاً، له الاسم المتمكّن من إعراب الأماني، والفعل المضارع للسيف اليماني، لازم لربعه لا يتعدّى، ولا ينصرف عنه إلى العدا، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً، يقرأ باب التعجب مَن يراه منصوباً على الحال إلى أعلى ذراه، متحركاً بالدولة والتمكين، منصرفاً إلى ربوة ذات قرار ومعين.

٢٢٩ ـ من حكم ابن حزم

في «رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق»:

• لا يسرّك أن تُمدح بما ليس فيك، بل ليَعْظُم غمّك بذلك لأنّ نقصك ينبّه الناس عليه وتسمع إياه، وسخرية منك وهزء بك، ولا يرضى بهذا إلّا أحمق ضعيف العقل. ولا تأس إن ذممت بما ليس فيك، بل افرح به فإنّه فضلك ينبّه الناس عليه. لكن افرح إذا كان فيك ما تستحق به المدح، سواء مدحت به أو لم تمدح، واحزن إذا كان فيك ما تستحقّ به الذم، سواء ذممت به أو لم تذم.

• ولا تصاهر إلى صديق ولا تبايعه، فما رأينا هذين العملين إلّا سبباً للقطيعة؛ وإن ظنَّ أهل الجهل أنَّ فيهما تأكيداً للصلة فليس كذلك؛ لأنَّ هذين العقدين داعيان كل واحد إلى طلب حظّ نفسه، والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً، فإذا اجتمع طلب كل امرىء حظّ نفسه وقعت المنازعة، ومع وقوعها فساد المودة. وأسلم المصاهرة مغبة مصاهرة الأهلين بعضهم

بعضاً لأنَّ القرابة تقتضي الصبر وإن كرهوه، لأنّهم مضطرون إلى ما لا انفكاك لهم منه من الاجتماع في النسب الذي توجب الطبيعة لكل أحد: الذبّ عنه والحماية له.

• رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات يقسمون أقساماً ثلاثة:

أحدها: مَن لا يبالي فيما أنفق كلامه، فيتكلم بكل ما سبق إلى لسانه غير محقّق نصر حقّ ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس.

والثاني: أن يتكلم ناصراً لِما يقع بنفسه أنّه حق، ودافعاً لما توهم أنّه باطل، غير محقّق لطلب الحقيقة لكن لجاجاً فيما التزم، وهذا كثير، وهو دون الأول.

والثالث: واضع الكلام في موضعه، وهذا أعزّ من الكبريت الأحمر.

٢٣٠ ـ الحشمة والحياء

ابن السيد البطليوسي في «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»:

قال ابن قتيبة.. ومن ذلك «الحِشمة» يضعها الناس موضع الاستحياء، قال الأصمعي: وليس كذلك، وإنّما هي بمعنى الغضب، وحُكيَ عن بعض فصحاء العرب أنّه قال: أنَّ ذلك لما يحشم بني فلان، أي: يغضبهم. قال ابن السيد: هذا قول الأصمعي كما ذكر عنه، وهو المشهور. وقد ذكر غيره أنَّ

الحشمة تكون بمعنى الاستحياء، وروي عن ابن عباس أنّه قال: لكل داخل دهشة فابدأوه بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدأوه باليمين. وقال المغيرة بن شعبة: العيش في إبقاء الحشمة. وقال صاحب كتاب العين: الحشمة الانقباض عن أخيك في المطعم وطلب الحاجة؛ تقول: احتشمت عني، وما الذي حشمك وأحشمك؟ وقد روي في شعر عنترة:

وأرى مطاعمَ لو أشاء حويتها
فيصدُّني عنها كثير تحشُّمي

وقال كثير:

إني متى لم يكن عطاؤهما
عندي بما قد فعلت أحتشمُ

وقال الطرماح:

ورأيت الشريف في أعين الناس
وضيعاً وَقلَّ منه احتشامي

وقد يمكن أن تتأوّل هذه الأبيات كلها على ما قال الأصمعي فلا تكون فيها حجة، فيكون معنى قول عنترة: فيصدني عنها كثير تحشمي، أي: إن أنفتي وحميتي من أنَّ يتعلق بي عار وخلق أسب به يمنعني من أخذ ما لا يجب، لأنَّ همتي ليست في السلب ولكن في المسلوب، فيكون نحو قول أبي تمام:

إنَّ الأسود أسود الغاب همتها

يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وكذلك قول كثير يكون معناه: إني أغضب وآنف أن يكون لهما فضل عليَّ ولا أجازيهما عليه. وكذلك قول الطرماح: وقلَّ منه احتشامي، يكون معناه: وقلَّ منه غضبي وأنفتي؛ لأنَّ الشريف يأنف من أن يكلم الخسيس ويتكرّم عن مراجعته، كما قال الآخر:

وأعرض عن شتم اللئيم تكرماً

وكان الأصمعي لا يرى الطرماح حجة. وقد استعمل أبو الطيب المتنبي الاحتشام بمعنى الاستحياء، وذلك أحد ما رد عليه في شعره، فقال:

ضيفٌ ألمَّ برأسي غير محتشم

السيف أحسن فعلاً منه باللمم

٢٣١ ـ بأيكم المفتون

وفيه أيضاً:

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾، فإنما ذهب من ذهب إلى زيادة الباء لأنّه اعتقد أنَّ: ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مفعول من «فتنته» فوجب على هذا الاعتقاد أن يُقال: أيّكم المفتون؛ على الابتداء والخبر، وصارت الباء هنا زائدة كزيادتها في قولهم: بحسبك قول السوء! وقول الشاعر:

بـحـسـبـك فـي الـقـوم أن يـعـلـمـوا
بـــأنّـــك فـــيـــهـــم غـــنـــيٌّ مُـــضَـــرْ

والأجود في هذه الآية أن يكون المفتون مصدراً جاء على زنة المفعول، كقولهم: خذ ميسوره ودع معسوره، فيرتفع بالابتداء، ويكون قوله: ﴿بِأَيِيِّكُمُ﴾ في موضع رفع على خبره، كأنّه قال: بأيّكم المفتون كما تقول: بأيّكم المرض.

وقد قيل: إنَّ الباء ههنا بمعنى: «في» كما تقول: زيد بالبصرة وفي البصرة، والمفتون اسم مفعول مرفوع بالابتداء، والمجرور متضمن لخبره، كأنّه قال: في أيّكم المفتون كما تقول: في أيّكم الضالّ، وفي أي الطائفتين الكافر.



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
لبس البياض في الأحزان ـ طبيعتهن في كل زمان	٨٨
أي الرأسين أثقل؟ ـ كم عدد علوم القرآن، وما هي أهم هذه العلوم؟	٨٩
حمل البقولات والخضر مزروعة على الجمال ـ أصل كلمة «آغا» ـ برقية من نار	٩٠
دين العقل والفطرة ـ الصراط المستقيم ـ ماذا تذم منه؟	٩١
من مجازات القرآن	٩٢
فضل الكتابة على الحفظ ـ تلد خمسة توائم خمس مرات	٩٣
مدح السلطان في خطبة الجمعة ـ الصامت والناطق ـ تولية الظالمين	٩٤
لا تفريط في النوم ـ أعمار الزوجات	٩٥
يصاب بالماليخوليا فيقتل أصحابه ونساءه وأبناءه ـ يفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه ـ حشو اللوزينج	٩٦
النساء ذوات اللحى والشوارب ـ كسنور عبد الله	٩٧
معرفة الرسول ﷺ بلغة العرب ـ منطق الأقوياء الظالمين	٩٨
الصدق أنجى ـ جواب امرأة جميلة تزوجت قبيحاً	١٠٠
من أمثلة التورية في القرآن ـ تضيء للناس وهي تحترق	١٠١
الظلم ثلاث دواوين ـ فتوى في مصلحة الشعب ـ الخليفة المثمن	١٠٢
توبة أمير	١٠٣
بين نحوي وطبيب	١٠٤
مصر وأهلها	١٠٥
الإمامة لا تورث ـ لِمَ سميت المولدة بالقابلة؟	١٠٦
من علامات الحمق	١٠٧
أيهما أعلم بالنحو ـ ست هن أزواج ـ ببركة امتناعه عن القضاء	١٠٨
فقيه ينقذ زوجة الرشيد من الطلاق	١٠٩
لا تنسَ الكامخ ـ يعشيه ويحبسه ـ حقيقة القلب السليم	١١٠
اشترِ من باعة حيِّك ـ هل يستحقون هذا الإكرام	١١١

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

* كتاب يجمع من فرائد الحكمة، وفوائد العلم، وطرائف الأدب، ما تفرق في بطون أمهات المراجع التي لا تتيسر لكل مثقف وباحث.

* وهو يقرب إليك دقائق اللغة العربية، ويجلو لك عن جمال البيان العربي بحيث تتذوقه وتستسيغه وتُقبل عليه.

* وهو يتحفك بغرائب التاريخ الموثوق الصحيح من تاريخ أمتنا وعظمائنا بما يملأ نفسك روعة وإكباراً، أو عظة واعتباراً.

* وهو بهذا يحتاج إليه الكاتب والأديب والخطيب والداعية وغيرهم من روّاد الثقافة، ويغنيهم عن مراجعة الكتب والمصادر.